



عَمَّا فِي طَرِيقِ الْبَهْضَةِ

مراجعة لتاريخ مصر الإسلامية منذ الحملة الفرنسية إلى النكسة

١٨٩٨ - ١٩٦٤

دار الأعلام

عَمَّا فِي رِوَايَاتِ أَبِي بَكْرٍ عَمَّا فِي رِوَايَاتِ أَبِي بَكْرٍ

مراجعة التاريخ مصر الإسلامية منذ الجملة لفرسيه الى الكسنة

١٨٩٨ - ١٩٦٤

أنوار الجندی

دار الإحياء

آفاق البحث

صفحة

• • • • •	مدخل إلى البحث	•
١٧ • • • • •	الباب الأول : من التبعية إلى اليقظة	•
١٩	الفصل الأول : نفوذ التغريب بعدمروور مائة عام على الاحتلال	•
٢٧ • • • • •	• الثاني : أهداف الحملة الفرنسية	•
٣٢ • • • • •	• الثالث : محمد علي : تغريب النظم والقوانين	•
٣٩ • • • • •	• الرابع : إسماعيل قنطرة إلى الاحتلال	•
٤٢ • • • • •	• الخامس : جمال الدين وإسماعيل	•
٥٣ • • • • •	• السادس : مواجهة الاحتلال البريطاني	•
٥٩ • • • • •	• السابع : سعد زغلول : وائد التحول نحو التغريب	•
٦٤ • • • • •	• سعد زغلول وطه حسين	•
٦٧ • • • • •	• الثامن : التبعية بعد الحرب العالمية الأولى	•
٧٣ • • • • •	• التاسع : الخروج من التبعية	•
٧٩ • • • • •	الباب الثاني : من النكسة إلى الأصالة	•
٨٠ • • • • •	الفصل الأول : تاريخ مصر السياسى	•
٩٢ • • • • •	• الثاني : تغريب مصر	•
١٠١ • • • • •	• الثالث : النكسة والسبع ضد التيار	•
١١١ • • • • •	• الرابع : النكسة تحول حقيقى نحو الأصالة	•
١٢١ • • • • •	الباب الثالث : تزيف حقائق الإسلام	•
١٢٤ • • • • •	الفصل الأول : إزالة التميز الإسلامى الخاص	•
١٣٠ • • • • •	• الثاني : تزيف حقائق الإسلام	•
١٣٦ • • • • •	• الثالث : قضايا الاستشراق	•
١٤٣ • • • • •	• الرابع : المدرسة والمناهج التعليمية	•
١٤٨ • • • • •	• الخامس : الجامعة وتبعية المناهج التعليمية	•
١٦٣ • • • • •	• السادس : تغريب الأزهر	•

- ١٩٩ . . . السابع : مدرسة الترفيه والتسلية .
- ١٧٥ . . . الثامن : مدرسة الصحافة .
- ١٨٩ . . . الباب الرابع : تمزيق الوحدة الإسلامية .
- ١٩١ . . . الفصل الأول : المؤامرة على الوحدة الإسلامية .
- ٢٠٥ . . . الثاني : تأمر دول الغرب على الإسلام .
- ١١٩ البعده الخامس : تدمير المجتمع الإسلامي .
- ٢٢١ الفصل الأول : فساد المجتمع .
- ٢٢٠ . . . الثاني : المؤامرة على المرأة المسلمة .
- ٢٤٠ . . . الثالث : إحتواء الأجيال الجديدة .
- ٢٤٩ الباب السادس : القانون الوضعي والاقتصاد الربوي .
- ٢٥١ الفصل الأول : تاريخ القانون الوضعي .
- ٢٦٠ . . . الثاني : ما يؤخذ على القانون الوضعي .
- ٢٦٦ . . . الثالث : عقبات في طريق التطبيق .
- ٢٦٩ . . . الرابع : مؤامرة تطوير الإسلام .
- ٢٨٢ . . . الخامس : الاقتصاد الربوي .
- ٢٩٨ . . . الباب السابع : تحديات في وجه الثقافة العربية الإسلامية .
- ٣٠٧ . . . الثقافة - ٣٠٠ . . . الأدب - ٣٠٣ . . . اللغة .
- ٣١٥ . . . التاريخ - ٣٠٩ . . . العلم - ٣١٢ . . . الفلسفة .
- ٣١٨ الفن .
- ٣٢١ الباب الثامن : إفتحام العقبات .
- ٣٢٩ أولا : أخطاء مناهج التعليم .
- ٣٣٢ ثانياً : التحديث في إطار الأصالة .
- ٣٣٧ ثالثاً : الإسلام قوة عالمية .
- ٣٤٣ رابعاً : الغرب يكتشف الإسلام .
- ٣٤٩ . . . خامساً : ذاتية الإسلام وتميز الشخصية الإسلامية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى البحث

على الكاتب المسلم إضاءة الطريق أمام الأمة الإسلامية لتعرف واجها ومستوليها إزاء ربنا الخالق العظيم ، إيماناً به وجهاداً في سبيل إعلاء كلمته وتحريراً للكلمة المسلمة من تلك الغواشي والعواصف والسموم التي تحاول قوى التغريب والغزو الثقافي أن تملأ بها جو الفكر الاسلامي حتى تحول دون الرؤية الحقيقية ، ودون الايمان الصادق بأن هذا الدين هو الحق الذي أضاء للبشرية الطريق إلى معرفة أهدافها وغاياتها ويكشف لها مسئولياتها الفردية والخلقية والجماعية ، وهو اليوم مطمح أمل الأمم في كل القارات الخمس بعد أن تهاوت الحضارة الغربية وعجزت الأيدلوجيات خلال القرون الخمس الماضية عن أن تحقق لها الأمن أو السلام أو مطامح الروح .

ولعل من أخطر القضايا التي تطرحها قوى التغريب والصهيونية اليوم في أفق الاسلام : محاولة تجميع مفهوم الاسلام الاصيل وصهره مع الاديان في بوتقة واحدة .

وقد جاء كاشفاً ومصححاً لما وقعت فيه الأمم من إنحرافات عن دين الله الحق ، ولذلك تطلع علماء الغرب إلى الاسلام في أعظم ظاهرة في مطالع القرن الخامس عشر بوصفه منقداً للحضارة المعاصرة والمجتمعات المعاصرة وأنه وسيلة الانقاذ الوحيدة من التردى في المزعجة والتدمير الذي وقع بالحضارات الرومانية والفارسية والفرعونية .

ولقد مر اليوم على الاحتلال البريطاني لمصر مائة عام (أي قرن كامل من الزمان) يوازي القرن الرابع عشر الهجري تماماً حيث جرت المحاولة في مراحلها المختلفة لتغريب هذه الأمة وفصلها عن عقيدتها وقيمتها ومقوماتها ، وهي محاولة بدأت منذ الحملة الفرنسية ووصلت غايتها بالاحتلال البريطاني وذلك

المخطط الذي رسم كرومر والذي سار عليه خلفاؤه ، ولقد كانت هذه السنوات عبادة عن صراع دائم متصل بين الاصلة والتغريب ، وبين فرض أسلوب العيش الغربي ورفض هذا الأسلوب ، وبين الادعاء بأن قبول تجربة الغرب السياسية والاجتماعية هو المنقذ للأمة الاسلامية من التخلف ، وقد تبين فساد ذلك كله وعجز معطيات الليبرالية الغربية والماركسية الشيوعية عن إعطاء النفس المسلمة التي تشكلت خلال أربع عشر قرناً في محيط الاسلام والقرآن ، عجزت هذه الابدولوجيات عن إعطائها أسواقها ومطامحها ، وإن كانت قد استطاعت التأثير في عاداتها وأخلاقها وإمراقها ، ولكن نكسة ١٩٦٧ هزت وجدان الأمة هزاً شديداً وكشفت الحقيقة التي لا مناص منها وإنه لا سبيل لهذه الأمة في بناء وجودها وتشكيل مجتمعتها واستئناف حضارتها إلا عن طريق واحد : هو طريق منهج الله وحكم القرآن وقد نشأت منذ ذلك الوقت وإلى اليوم ظاهرة حقيقية لا سبيل إلى تجاوزها هي : (الصحوة الاسلامية) .

ويعمر العالم الاسلامي اليوم بمرحلة حاسمة من تاريخه الطويل ، ونخشى أن يكون هناك تسليم لمفاهيم الخضوع والقبول بالعناصر الغربية في قلب الأمة الاسلامية تحت ضغط القوى المسيطرة أو استسلاماً للترف والمتاع المادي .^١ ينبغي لكاتب ، وربما كانت هناك محاولات لا حتواء الصحوة الاسلامية ضرباً وبدلاً ، يتحرر خارج السيمر من مرحلة (اليقظة) إلى مرحلة (النهضة) وأخطر ما في ذلك ان يذهب الاعداد والمهاد والمراپطة في الثغور ، والقول بمعطيات الغرب في منهج التحلل والترف والانحلال التي تكاد تنحطها من كل طريق ، وخاصة طريق المسرح والتلفاز والكتب الرخيصة والقصص وأ-ادب السهرة ، والعرايين وقصر الحب والهيام بما يضعف القدرة على الحصانة والمقاومة ، وبما يؤدي إلى انحراف المسلمين عن الطريق الصحيح : طريق الأسرة وبناء المجتمع . وحماية المرأة وسلامة الاجيال ، كذلك فإن الخطر قائم بما يخشى أن يكون التفتح على جميع المعارف والمذاهب (دون تعرف لموقف الاسلام منها) مما يجعلنا نقلل من شأن قيمنا الانسانية وشأن الحدود التي أنعمها الله تبارك وتعالى ، وتلك الضوابط التي بثها فينا

الإسلام لحماية شخصيتنا الفردية والجماعية ، مما يؤدي إلى الاستسلام لانحراف حضارة مناره . ولما كان الإسلام هو القوة الوحيدة التي لها قدرة التبعية وقت الخطر ولحظة المصير ، وهو الذي يجمع القلوب حين يهدد الأمم الاجتياح والزوال ، فإن من أهداف النفوذ الاجنبي أن تطوى هذه الصفحة ، إذ أنه قد أطن مراراً عن رغبته في نزع فتيل الدين عن أرض الإسلام ليحولها إلى قطعة من الحديد المخرقة التي لا فعل لها ولا أثر ، ويصبح معها المسلم أجنبياً في أرض بلا هوية ولا بطاقة ، مما يؤدي إلى نفس الوحدة الإسلامية ، من جذورها وخلع المسلمين من نسبهم وإثباتهم وتاريخهم .

فقد انفتحت جهود القوى الاجنبية على طرب الوحدة الإسلامية وفتحت مجتمعات المسلمين إلى شظايا صغيرة ، بما يمكن للقوى الفاصلة من السيطرة والتحكم .

ولقد كان التجمع الاسلامي دائماً إنسانياً للسلام والحق والدفاع عن الشخصية الإسلامية وإبراز ملامحها وليس للغزو أو الفتح أو العدوان .

لقد احتوت تلك الفترة الخطيرة على مؤامرات متعددة :

- ١ - ضربت الوحدة الإسلامية وفرضت القوميات والاقليميات .
- ٢ - ضربت الشريعة الإسلامية وفرض القانون الوضعي :
- ٣ - ضربت اللغة العربية الفصحى وفرضت اللغات الاجنبية والعاميات .
- ٤ - ضرب مفهوم الجهاد :
- ٥ - ضرب مفهوم الاقتصاد الاسلامي وفرض الاقتصاد الرأسمالي .

وكان أخطر ذلك كله التفرقة بين الاستثمار وبين التبعية الثقافية ، فقد كان كتاب مصر يهاجمون النفوذ الاجنبي في نفس الوقت الذي كانوا يشيدون فيه بالتقافات الغربية والحضارة الغربية ويعلمون ولاهم لها وحبهم لها.

ولكن ظهور النقطة الاسلامية وقيام مفهوم أصيل لمواجهة الاحداث يستمد قوته ومصادره من الإسلام مرة أخرى بعد أن حجبت هذه المفاهيم ونهاوت ، كان عاملاً خطيراً في مواجهة المدرسة العلمانية التغريبية التي أنشأها النفوذ الاجنبى وقادها لطفى السيد وسعد زغلول ، والتي عملت على تحويل مفهوم الإسلام إلى دين عبادة ومسجد ، وحجب مفهومه الأصيل بوصفه نظام مجتمع ومنهج حياة ، وله أيدولوجيته الكاملة في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية مستمدة من القرآن الكريم على النحو الذى طبقها المسلمون والذى كان قائماً حتى ما قبل الاحتلال البريطانى الذى أوقف تطبيق الشريعة الإسلامية وأقام المحاكم المختلطة والاهلية على أساس القانون الوضعى .

وكان سقوط الخلافة الاسلامية ١٩٢٤ علامة على اليقظة كما كان سقوط القدس في نكسة ١٩٦٧ علامة على الصحوة .

ولقد اتسع نطاق الدعوة الاسلاميه وكان عليها أن تقدم منهجاً في التعليم والصحافة والثقافة ، غير أن المعوقات التي قادها النفوذ الاجنبى مازالت تؤخر هذه الخطوة ، وما يزال يسمع اليوم رأى المنهج الغربى الليبرالى ورأى المنهج الماركسى الانتراكي في مختلف الامور ، دون أن يسمع رأى المنهج الغربى الذى هو صاحب الحق الاول في أرضه وبلاده .

ولكن نكسة ١٩٦٧ فجرت طاقات جديدة فاستعلت دعوة العودة إلى الله ، وخطت الامة الاسلامية خطوات نحو تقنين الشريعة الاسلامية وعدلت الدساتير في عديد من البلاد العربية والاسلامية ليكون الشريعة الاسلامية هي المصدر الاساسى للقانون .

وهي خطوة جاءت في ظلال الصحوة الاسلامية التي لا يتوقف طلبها عند تطبيق الشريعة ، ولكنها تأمل في أن ينتظم الاسلام المجتمع كله ، في كل شئونه وأموره ، بما يؤدي إلى إمتلاك الامة الاسلامية لاراداتها وإقامة مجتمعها وتبليغ رسالتها العالمين .

ويبقى بعد ذلك على المسلمين أن يتعلموا من عبرة التاريخ البشرى ،

وليس في التاريخ البشرى إلا تجربة واحدة مستمرة على مدى الاجيال : تلك هي الخشوع لله تبارك وتعالى (أو الاعراض عنه) فالمجتمعات التي قامت حضارتها واتسعت ونمت ، هي المجتمعات التي قامت على أساس الاذعان لإرادة الله تبارك وتعالى والإيمان به فإذا أعرضت المجتمعات عن أمر الله أصابتها سنة الإزالة والإبادة ، ومن ثم تحطمت الحضارات الباذخة واحدة بعد أخرى لأنها فسدت حين انحرفت عن سنن الحق إلى الترف والفساد والزنا والاباحه والبغاء ، هنالك كان هلاكها وهذه هي عبارة التاريخ قائمة بالحضارة التي تعيشها اليوم ، فالمسلمون مطالبون بالناس من الله الحق والسير على طريقه المستقيم وتحرير مجتمعهم من العوامل الضاغطة التي تفرضها القوى الاستعمارية واليهودية والشيوعية لاحتواء عالم الاسلام والحيلولة دون تميزه وتفرد بذائنه الخاصة ورسائله العالمية وبذلك يسقط في أنون التبعية والاحتواء وينهار مع هذه الحضارة حين تنهار .

وليس غريباً على المسلمين ما يعمرون به الآن من أزمت تشدد كلها زاد الوعي ، فإن الإسلام لم يترك منذ السنوات الاولى من تاريخه وشأنه ، ولكنه واجه كثيراً من التحديات الروحية والسياسية والثقافية من الغرب ، وكان على الإسلام أن يناضل ويكافح ويخوض المعارك وقد أفلح في أن يصمد أمام الغزو والاستعمار الأوربي إلى المناطق التي يسود فيها ولكن الإسلام لم يكتف بالدفاع عن نفسه خلال ذلك كله ، بل أخذ المبادرة في مواجهة الهجوم واستطاع في خلال القرن الرابع عشر أن يكشف زيف التغريب والاستشراق والغزو الثقافي وأن يؤكد أن منهجه أعظم المناهج ، وأهلنا أننا أمة واعية فطنة غير خادعة ولا مخدوعة ، تستفيد من تجارب الآخرين ، وتصهرها في بوتقة فكرها ولا تخرجها عن جوهر أصالتها وأمانتها وتجربة العلمانية التي ابتدعتها الغرب في مجتمعه وقد فسدت وفتشت وحطمت السكبان النفسى الإنسانى للفرد والمجتمع ، والفكر القومى وقد توهل بعد أن أجهضت إمكاناته بعد أن استهلك ، وبأن عوارده ، وتكشف فساد نظرية الوحدة البشرية .

وتبين أن لكل أمة خصائص خاصة غير خصائصها العامة تعتمد منها منهجها

وأشواها الروحية وتختلف بها عن الأمة الأخرى ، وتميز بها وفي مقدمتها العقيدة وأن خصائص الأمة الإسلامية تختلف عن الأمية والنظرية المادية في مسألة التوحيد والعلاقة بين الرجل والمرأة والتعامل الاقتصادي ، وفي الأساس :

ليست الديمقراطية الغربية هي الشورى الإسلامية .

وليست الاشتراكية هي العدل الاجتماعي .

ولا بد من تحديد مصطلحات كثيرة :

(أولاً) : الأمة الإسلامية : حيث ينفرد الإسلام بمفهوم أصيل للأمة الإسلامية ، حيث يركز مفهوم الأمة في الحضارات المختلفة على أسس جغرافية ومنها الأسس القومية ، وفي كل الأحوال يركز مفهوم الأمة في الحضارات الأوروبية على فكرة المولد كما يفهم من استقامة كلمة (نبتن) بمفهوم الأمة في الحضارات الأخرى يدور حول المنبت أو الأصل البيولوجي أو الأمومة والولادة .

أما مفهوم الأمة في الإسلام فهو مفهوم فكري عقلي وجداني عقائدي ، أي أن الأمة الإسلامية يدور كيانها حول الهيكل الفكري والعقائدي للإسلام وينأس ذلك النظام ، فالتبليغ أو الدعوة الإسلامية هو وسيلة تكوين الأمة الإسلامية فلا بد من إقامة الإعلام الإسلامي على أسس عقائدية وحضارية .

وفي ثلاث أمور يجب أن تقوم الأمة الإسلامية :

١ - النظام الإسلامي الاقتصادي والسياسي .

٢ - النظام الإسلامي في التعليم والتربية .

٣ - النظام الإسلامي في العلاقات الاجتماعية ومنها مسئولية المرأة في بناء الأسرة والطفل .

فقد تشوهت مفاهيم المجتمعات الإسلامية في هذه القضايا الثلاث باستيراد النظم الأجنبية ، مما كان له أثره في تأخر النهضة ومما قام عقبة في وجهها .

(ثانياً) الاصاله : إن مصطلح الاصاله يقتضى المفهوم الصحيح الاسلام ووسائله الشاملة للحياة وإحياء الروح الإسلامية الحقيقية في النفوس وحملها على استكشاف ذاتها وتعلقها بالاصول وترويضها على رفض كل سيطرة أجنبية تفرض سلطانها بالقوة أو ثقافتها عن طريق الحيلة والاستدراج حيث إن مبادئ الإسلام لا ترضى للمؤمن أن يكون ذليلاً لغيره في إفكاره وسلوكه فعرفة الذات وفهم الواقع هما واجب الفكر الإسلامى المعاصر .

(ثالثاً) : مصطلح الحرية : والحرية في المجتمع الإسلامى هى حرية مضبوطة ، لا تحمل حراماً ولا تحرم حلالاً ، والحرية في المجتمع المسلم تضمن للفرد عدم الاعتداء على ماله وجسمه ونفسه وعرضه ، وإقامة الضوابط التى تحفظ هذه الحريات وهى تتمثل في التمسك بالقيم والاخلاق التى أقامها الإسلام وخوف الله (تبارك وتعالى) وبقراءه وأقامة الحدود .

والإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو مالك الكون والانسان وإن للإسلام مسئولية فردية والتزاماً أخلاقياً (وإن هذا صراطى مستقيماً فانبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

(رابعاً) : الإيمان الصادق بأن للإسلام مقاييسه الخاصة ومعاييره والتزاماته فهو صالح لذاته وليس صالحاً لانه موافق للديمقراطية أو للاشتراكية أو للرأسمالية أو لان فيه حرية فردية أو لان فيه مصلحة الجماعه ، أو لان فيه كذا وكذا إلى غير ذلك من المفاهيم المتشابهة مع مذاهب أخرى ، أن للإسلام مقاييسه في الخير والشر والحق والباطل ، وهى مقاييس مستمدة من مصدر ربانى إلهى أعظم ، فوق كل المصادر ؛ ومن هنا فقد تميزت بالخلود والمرونة والتدرة على العطاء في مختلف البيئات والعصور ، وهى التى أهتم بها المسلمون في مختلف مراحل حياتهم وتاريخهم ، وعادوا

إليها في الأزمات واللملمات ففتحت لهم أبواب النصر والتمكين ، ونحن اليوم لا نجد غيرها منطلقاً لامتنا بعد تجربة مع الأيدولوجيات البشرية التي استمرت أكثر من مائة عام أو تزيد .

(خامساً) : إن واقع المسلمين اليوم ليس حجة على الإسلام ذلك إن واقع المسلمين اليوم هو حصاد الاستعباد والاستعمار وما مر على الأمة الإسلامية من دعوات مسمومة ، فالاستعمار لم يترك المسلمين يعيشون واقعهم الحقيقي بل ضرب وحدتهم الكبرى وقسمهم إلى قوميات وطوائف وأحزاب بينهم العنصرية والشعبوية وزين لهم الرجوع إلى حضارات ما قبل الإسلام أمعانا في أبقائهم ممزقين ومتخلفين وصرفا لهم عن الدخول في تجمع إسلامي فالإسلام في الحقيقة اليوم محبوب بالمسلمين وإن إصدار أى على الإسلام من خلال واقع المسلمين ليس سائما والواقع أن هناك منهج الإسلام الأصيل وهناك التطبيق ، أما منهج الإسلام فهو الذى لا يأنه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أما واقع المسلمين خلال التاريخ فهو بين التجربة والخطأ وهو ليس حجة على الإسلام ولا كنه حجة على المسلمين .

(سادساً) : كان لا ستشراء المفاهيم المادية والماركسية أثر بعيد في بروز ظاهرة ، التسابق المادى والطموح إلى إقناص المال من أى طريق دون اعتبار لأى مقومات أخلاقية أو دينية وبروز ذلك التنافس حول الولاء والنفاق لذوى النفوذ لا نهاب أكبر قدر من المطامح المادية وغلبه مظهرية الترف والإسراف واختفاء طوابع القناعة والاقتناء والاستعفاف عن الحرام وإن الصدقات للفقراء والمموزين .

سابعاً : هناك أسلوبان لمواجهة الغزو الفكرى :

الأسلوب القوي ، أو الأدبي أو الوطنى وهو أسلوب قاصر ضيق

المنطلق لأنه تقف عند جانب واحد ، أما الأسلوب الإسلامى فهو الأسلوب الجامع الحقيقى القادر على المواجهة الصحيحة من منطلق النظرة الجامعة للمادة والروح ، والعقل والقلب ، والعلم والدين والدنيا والآخرة وهو المرتب بالزمن تاريخاً وبالبيئات عرضاً وبمختلف الظروف وحسبيلة التجربة التاريخية الإسلامية فى مواجهة الغزو الفسكرى والغزو الاجنبى فى مجال التاريخ والمجتمع والحضارة .

* * *

إننا اليوم حين نستعرض موقف أمتنا من التحديات الخطيرة التى فرضها علينا الغزو الاستعمارى خلال هذه المرحلة من الحملة الفرنسية إلى التركة نجد خطأ واحداً : ذلك هو إصرار القوى الاجنبية على تأخير وصول المسلمين إلى امتلاك إرادتهم وإقامة مجتمعهم واستئناف حضارتهم وأداء دورهم الإنسانى الربانى فى تبليغ الإسلام للبشرية التى هى الآن فى أشد حالات الحاجة إلى هذا المنهج بعد أن اضطربت مسيرتها وفشلت الايدولوجيات الوضعية التى فرضت عليها ، ولقد استطاعت الدعوة الإسلامية أن تغدق طريقها رغم كل هذه المصاعب وأن توجد لها مكاناً حقيقياً وأن تقدم منهجها وأن تدافع عنه وأن تكشف وجهة نظر الإسلام فى كل ماطرح فى ساحتها من مذاهب ودهوات ، بل إنها قد أعلنت بكل الوضوح بعد تجارب الاختواء التى فرضت عليها أن كلا المذهبين الغربيين (الرأسمالية والماركسية) لا يتناسبان معها ، وإن لها مذهبها الاصيل (الإسلام) الذى تشكل عليه وجودها والذى هو قائم فى أعماق وجدانها بالرغم من كل المحاولات التى جرت فى القرن الماضى لاقصائها عنه .

لقد استطاعت هذه الامة أن تكشف نفسها وكانت نكسة ١٩٦٧

منطلقاً حقيقياً لا نتقلها من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة ، ومن ثم فإن
« الصحو الإسلامية » التي يعيشها المسلمون اليوم هي حقيقة واقعية .

ولقد شهد الأعداء بهذه الحقيقة ومن أمثلة ذلك ما كتبه المفكر الغربي
« جيمس بيسكاتوري » تحت عنوان :

« الظاهرة الإسلامية وجدت لتبقى وعلى الغرب أن يتعامل معها على
هذا الأساس » .

يقول : إن الفكر الغربي خاضع لما ورثه من عهود الحروب الصليبية
إن المحللين راو استحالة نهوض المسلمين ولحاقهم بالعصر الحديث دون
تبنيهم العلمانية (اللادينية) .

لقد ربطوا بين التحديث والعلمانية وربطاً لا فكاك فيه ، كذلك فإن
التفكير الغربي (النطلي) قد قاد الغربيين إلى النظر إلى الإسلام في إطار
الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية وليس في إطار تعاون محتمل
يرتكز إلى قيم مشتركة بينهما ، إن على الغربيين أن يتعلموا التعامل مع
(الظاهرة الإسلامية) على أنها وجدت لتبقى ، إن الإسلام موجود الآن
في صفوف الحكم والمعارضة سواء ذلك إيماناً به أو تظاهراً أمام الجماهير
المؤمنة به ، كذلك فقد أصبح الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا
الغربية تربة خصبة لتفريخ الحركات الإسلامية وعادة ما يرجع هؤلاء
الطلاب الذين يتلقون علوماً متقدمة في الغرب ليتسلموا مراكز قيادة في
بلدانهم وهذا يتيح لهم نشر أفكارهم الإسلامية .

ويرى كثيرون أن الصحف الإسلامية ومظاهر البعث الإسلامي هي
في جوهرها وفاة عاجل الوعد الإلهي بحفظ دينه والتمكين لأمله ونصر

للمستضعفين في الأرض (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) .

كما أن الصخرة ثمرة للجهود الصادقة المؤمنة التي بذلتها حركة اليقظة الإسلامية ليس طمعا في مال ولا جاه وإنما هي دعوة مخلصه لتكسين دين الله في الأرض وإن هذه الصخرة تدل دلالة جلية على فشل الاتجاهات الوافدة التي سادت المنطقة الإسلامية وإن اقتناع الجماهير المسلمة وتعاطفها مع اليقظة بالعودة إلى الأصالة يرجع إلى رفضها الكامل لكل هوامل تزيف هوية الأمة باستيراد المفاهيم والقيم من خارج الحدود ، وإن اليقظة هبارة عن حركة إيمان ورسالة لا تقاد العالم من برائن الحضارة المادية التي دمرت العالم المعاصر .

إن الأمة الإسلامية اليوم في مطالع القرن الخامس عشر تثق بثقة تامة بأن النظام الإسلامي قادر على أن يقدم للمسلم - بل للبشرية كلها - الحلول الكريمة لكل أزماته ومشاكله سواء في مجال بناء الفرد أو بناء الأسرة أو بناء المجتمع وفيه كل ما يتوق به الطغيان السياسي وسوء توزيع الثروة والفساد الاجتماعي . إن الجماهير المسلمة تؤمن بأن الإسلام قادر على أن يقدم الحلول لمشاكلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وإن الإسلام فعل ذلك في الماضي وأشاع روح الأمن والكرامة والسباحة على العالم الذي أظله ألف سنة كامله وإنه قادر على استئناف التجربة مرة أخرى ، وإسعاد البشرية كلها وإخراجها من ظلمات ذلك الليل الذي أحاط بها واليوم يتنادى فلاسفة الغرب يتطلعون إلى الإسلام موقنين بأنه دين المستقبل ، وإنه يسكن بيوتهم وإن الإسلام قادر أن يقدم اليوم منهجه بلبغة العصر ومن نقطة الواقع المعاش في دعوة واضحة حريية أن تعدل المجتمعات نفسها لتتلائم مع نظام الله في أصوله الثابتة التي لا تتحول ولا تتغير .

فالإسلام حاكم ومهيمن على المجتمعات وعلى المجتمعات أن تتحرر من الوثنيات
والماديات لتسلم وجهها لرب العالمين وتعترف بأنه هو مصدر كل شيء وتحطم
بأيديها تلك الأوثان التي صنعتها مما يسمى الطبيعة والحتمية والجبرية وأن
تؤمن بالخالق الأعظم وتقبل منهجه في الحياة والمجتمع والحضارة .

ولن يتحقق هذا إلا إذا إستمسك المسلمون بالذاتية الإسلامية الخاصة
التي لا يقبل الانصهار أو الاختواء أو الذوبان في حضارات الأمم أو مناهجها
وأيدولوجياتها . ولنا تطلع إلى اليوم الذي يصل فيه المسلمون إلى إمتلاك
الارادة لكسر هذه القيود التي تكبلهم في عبودية قاسية لفقوى الخارجية
في مجال الاقتصاد والقانون والتربية ، ولن يكون ذلك إلا باجتماع الأمة
الإسلامية في وحدة حقيقية حول منهج الله الحق والله من وراء القصد .

الباب الأول

من التبعية إلى اليقظة

- الفصل الأول : نفوذ التغريب بعد مرور مائة عام على الاحتلال
- الفصل الثاني : أهداف الحملة الفرنسية
- الفصل الثالث : محمد علي : تغريب النظم والقوانين
- الفصل الرابع : إسماعيل قنطرة إلى الاحتلال
- الفصل الخامس : جمال الدين وإسماعيل
- الفصل السادس : مواجهة الاحتلال البريطاني
- الفصل السابع : سعد زغلول : رائد التحول نحو التغريب
- الفصل الثامن : التبعية بعد الحرب العالمية الأولى
- الفصل التاسع : الخروج من التبعية



الفصل الأول

١٨٨٢ - ١٩٨٢

نفوذ التعريب بعد مرور مائة عام على الاحتلال البريطاني لمصر

ثلاث موجات مر بها العالم الإسلامي في العصر الحديث تحت أسماء الاستعمار الغربي الزاحف على بلاد المسلمين .

بدأ هذا الاستعمار بالزحف الآسياني البرتغالي الذي كان يطمح في الانتقام من العالم الإسلامي على أثر سقوط الأندلس وما أطلق عليه معركة الاسترجاع . وقد تواصل الزحف الآسياني البرتغالي على شاطئ شرق أفريقيا انتقاماً من الوجود الإسلامي في الأندلس .

وكانت حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وأسبانيا (١٥٣٠ - ١٨٣٠) تقريباً وعلى أثرها بدأت مرحلة الغزو الفرنسي والبريطاني الذي توزع على العالم الإسلامي فتقدمت فرنسا في شمال أفريقيا (تونس والجزائر ومراكش) والشام بعد الحرب العالمية الأولى .

كما تقدمت الدول الأوروبية في قلب أفريقيا (١٨٨٠ تقريباً) لاحتلال بلادها وذلك معركة طويلة .

وفي المشرق كانت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ مقدمة للنفوذ الغربي وكان مصدر دخول التعريب والغزو الثقافي الذي حرصت فرنسا على إذاعته عن طريق معاهدها وإرسالياتها في مصر وفي لبنان وإستانبول في هذه الفترة :

هذه هي المرحلة الأولى التي تلتها مرحلة حكم اسماعيل والديون وتغلغل

النفوذ الأجنبي وتصارع النفوذين الفرنسي والبريطاني ثم جاء الاحتلال
فسيطر وحول الاتجاه الثقافي والسياسي والاجتماعي إلى العلمانية .

كانت مصر هي القاعدة التي طالما فكر النفوذ الغربي الاستعماري في العصر
الحديث في الاستيلاء عليها ، كانت تدور حولها أحلام الحروب الصليبية
ورسائل الفلاسفة إلى الملوك بوصفها المركز الاستراتيجي الضخم الواقع بين
القارات الثلاث ، وفي العصر الحديث تصارعت حولها القوتان اللتان كانتا
تملكان النفوذ والسلطان .

ولذلك فإن نابليون عندما لمع سلطانه في فرنسا كانت خطوته الأولى
هي توجيه الحملة الفرنسية إلى مصر لإخراجها من الدولة العثمانية ثمهدا لتزريق
هذه الدولة التي تحمل لواء الخلافة ، والداعية إلى الوحدة بين المسلمين خارج
الخلافة ، والتي تمثل تلك القوة التي ظلت تزعج الغرب كله ثلاثة قرون كاملة .

ولقد كان الغرب منذ امتلاك القوة العسكرية الحربية حريصا على تمزيق
هذه الامبراطورية والسيطرة على وحداتها وإخضاعها له وإذلالها ونهب
ثرواتها وقد انطلقت القوات الغربية للانتقام من المسلمين بعد سقوط
طليطله ١٤٠٢ ، انطلقت قوى الاسبان والبرتغال لمحاصرة شواطئ المغرب
وتحطيم المراكب التي تحمل المسلمين الفارين بدينهم من جميع عاكم
التفتيش وبعد أن تراجع العثمانيون عن أسوار فيينا ١٦٨٣ . انطلقت قوى الغرب
لمهاجمة عالم الإسلام وتشديد الحصار عليه .

يقول ارسكين تشايلدرز في كتابه (الطريق إلى السويس) تعود علاقتنا
بالغرب إلى نحو ألف ومائتي عام .

فقد اعتبر الزحف التوسعي العربي الإسلامي على الأبواب الشرقية للعالم
المسيحي في القسطنطينية عام ٧١٧ وعلى قلب فرنسا ٧٣٢ وهي ظاهراً طيعية
مربية وخيفة تركت جذورها في ثقافتها ، وقد امتزجت هذه الظاهرة مع المولد
الحقيقي للعصر المسيحي المتوسط ومطلع النظام الأوروبي ، ولم يختلف أى

تغلغل أجنبي مثل هذا الأثر الذي خلفه التغلغل العربي في تراثنا السياسى والثقافى والادبى ، ولو تفحص أى غربى زوايا عقلة الباطن بحثاً عن أى فكرة تتصل بالعرب تعلقت به فى غضون الالف عام الماضية لاستمع إلى الأصدااء الخافقة التى خلفتها معركة تور - يوانية (بلاط الشهداء) ٧٣٢م على نهر اللوار .

وقد أوضح حبيون هذا الأثر قبل نحو مائتى عام إذ قال :

لقد امتد خط الزحف الظافر أكثر من ألف ميل من صخرة جبل طارق ، حتى شواطئ الوار ولو تكرّر هذا الزحف مساحة أخرى ماثلة لخل العرب إلى حدود بولندة وجبال اسكوتلندة ولاوصل الأسطول العربى إلى مصب التايمز بمرأ كما يشاء دون أن يشتبك فى أى معركة حربية ولربما كان من المحتمل أيضاً أن يدرس القرآن فى أكسفورد ولقد ظلت هذه الأصدااء منذ أيام تور عن العرب متأصلة فى عقول الأوربيين إعرزها الصراع المستمد مع العرب عند المداخل الجنوبية ، أه

وفى ضوء هذه الصورة نرى تلك الجولة التى تدافعت تحت إسم الاستعمار الغربى لبلاد المسلمين تحمل فى أعماقها ذلك الحقد والانتقام الشديد وتخفيه هذا فى قفاز من حرير يتمثل فى كلمات على لسان نابليون بأنه مسلم وإنه يقدر الإسلام بينما كان يحمل فى أعماقه أحقاد الصليبية كلها حين اقتحم الأزهر ، ويحمل الولاء الصهيونى حين دعا اليهود إلى التقدم نحو الشرق لإقامة دولة لهم ولقد كانت الحملة الفرنسية هذه بالرغم من سرعة تفصيلها بعيدة المدى فقد فتحت الباب واسعاً أمام النفوذ الأجنبى وكانت ركيزته بل إن التجربة الفرنسية لم تتوقف بعد انسحاب الحملة الفرنسية ولكنها توالى واستمرت فى أهاب حكم محمد على وفى الارساليات ونفوذ اللغة الفرنسية وفى التبشير والاستعراق الفرنسى ، وفى نفوذ قناة السويس التى كانت دولة داخل الدولة .

وظلت تواصل عملها حتى اشتركت في الحملة المشتركة على مصر مع بريطانيا عام ١٩٥٦ .

كانت هذه الجولة بصيدة المدى إلى الحد الذي صورته الشيخ الجبرتي حين قدم الفرنسيون ومعهم تلك الهيئة العلمية التي أخذت تدرس وتجمع المعلومات وتقدم تلك البيانات المثيرة التي خطفت أبصار المشايخ فبهرتهم ، ومن ثم بدأت مرحلة الانهيار بالحضارة الغربية حتى جاء رفاة الطمطاوى معجبا بحضارة فرنسا ، يترجم الدستور الفرنسي ونشيد المارسيليز ويدعو إلى تمزيق تلك الوحدة الإسلامية ، بدعوته إلى الإقليمية المصرية لإرضاء لحمد على الذي كان يطمع في تمزيق الدولة العثمانية وإقامة كيان خاص له تحت اسم عربي أو مصري ، وليس عثمانيا أو إسلاميا :

كانت الحملة الفرنسية رمزا على خطة الغزو المرتبة : وهو ليس غزوا عسكريا لحسب ولكنه غزو فكري ، ومن ثم فقد كان على الأحرار : ذلك الطور الفامخ أن يواجه الحملتين : غزوة السلاح وغزوة الفكر .

إن رفاة الطمطاوى حين بهره فكر الغرب وحضارة الغرب لم يكن يعرف بعد إبعاد هذه المؤامرة الخطيرة التي صنعها لويس والتي ترمى إلى القضاء على النفوذ الخاص والذاتية الخاصة للإسلام ، ولم يكن يعرف مؤامرة الغرب في احتواء الفكر الإسلامي وصهره في بوتقة العالمية والاممية حتى يضيق طابعه المميز وذاتيته المفردة ، ومن ثم ينصهر المسلمون في حضارة الغرب حتى يصبحوا جزءا من القطيع العام ، وما تزال محاولة صهر المسلمين في البوتقة الغربية مستمرة منذ ذلك اليوم ١٧٩٨ إلى اليوم ١٩٨٢ بعد قرن كامل ما تزال تعقد مؤتمرات تستقطب بعض الشعوبيين لخداع المسلمين وقهرهم على أن يقبلوا أسلوب العيش الغربي وأن ينصهروا في بوتقة التكنولوجيا والحضارة الغربية ليصبحوا ذيلا للغرب من أمثال هذا المؤتمر الذي عقد في روما سنة ١٩٨٢

فالخطة التي رسمها النفوذ الأجنبي لاحتواء الإسلام والفكر الإسلامي والمسلمين ما تزال مستمرة وما تزال تبحث لها عن مخارج ومدخل بالخداع وكلها

سد المسلمون بابا فتح عليهم التعريب أبوابا في محاولة لخداع مجموعة من الشباب المسلم الذي تعلم في معاهد الارساليات والذي لا يفهم الإسلام فهما صحيحا والذين مازال تبهرهم أضواء الحضارة الغربية الغاربة .

ومهما كتب كتاب اليقظة يكشفون عن فساد مفهوم الغرب في تصوير الإسلام ديناً روحياً (وليس دين ودولة - منهج حياة ونظام مجتمع) فإن هناك من تخدعهم الشعوية وأولياء التعريب والشيوعية عن هذا .

ومهما قيل من دخول الحضارة الغربية عصر المحاق والسقوط بعد أن فشلت في تقديم المنهج الذي يجمع بين أشواق الروح وعطاء المادة فإن خداع الحضارة مازال يهر بأضوائها المادية الخادعة مازال يفعل فعله في كثير من النفوس التي لم يتحقق لها قدر من الرصيد الإسلامي والروحي والعطاء القرآني الصحيح الذي يمكنها من الحكم على الأمور .

ومن ثم فإن المعركة مازال دائرة بين النفوذ الاجنبي وبين عالم الإسلام منذ ذلك الوقت إلى اليوم ممثلا في الحملة الفرنسية ؛ ثم الاستعمار البريطاني ثم النفوذ الصهيوني ثم نفوذ الماركسية والشيوعية الزاحف على عالم الإسلام منذ ١٩٦٢ ثم بقاء النفوذ الغربي ممثلا في بلاد الإسلام بعد انسحاب الجيوش من البلاد المحتلة ممثلا في المصالح الاقتصادية والتبادل الثقافي والخبراء والتقويض والتعامل الذي تسيطر فيه القوى المالية الكبرى بمصارفها ومؤسساتها وقدراتها على طرح هذا القدر الضخم من الأدوات الاستهلاكية عن طريق صكوك شهرية تستترى للموارد وعن طريق القوائد تحت تأثير النظام الرأسمالي اليهودي العالمي .

أما أبرز ما كشفت عنه دراسات الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) (١) المقاومة العامة والشاملة خلال هذه الفترة بما أطلق عليه حرب الالف يوم وقد قاد هذه المقاومة الأزهر الذي حل قيادة الأمة حتى لم يبت جيش الاحتلال ليلة واحدة هادئة طوال ثلاث سنوات ، وكان رفض الوجود الغربي على أراضيها رفضا عاما وشاملا وهنيئا .

(٢) لما رأى قادة الحملة الفرنسية أن الأزهر هو الذى يقود المعركة كان لابد من الانتقام الشديد منه وبذلك دخلت الخيل الفرنسية الأزهر « » وأعمل الجيش الفرنسى السيف فى طلبته وشيوخه ونهبت الكتب ومزقت مخطوطات عمرها عدة قرون ، ألقتها أرضا ووطقتها بسنابل الخيل ونهبت بعضها البهرد الذى كانوا فى خدمة جيش الاحتلال وأتخذ الجنود من المسجد الجامع اسطبلًا للخيل حتى توجه الشيخ الجوهري إلى نابليون طالبا خروج الخيل من الأزهر وفى هذه الغزوة التى القبض على عدد من الشيوخ وقطعت رؤوسهم فى سجون القلعة وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ مصر التى يمتحن فيها الأزهر على هذا النحو ، وذلك لأن أول مرة يحتل فيها مستعمر أجنبى مصر منذ أن كان الأزهر وكان ذلك انتقاما من موقف الأزهر ودوره فى المقاومة التى قادها شيوخه داخل محال نابلون ودخل التشكيلات الإدارية إلى المقاومة الوطنية العنيفة وتنظيم الحركات السرية .

ومن ذلك موقف أحد علماء الأزهر الذى وضع نابليون على كتفه العبادة المطرزة فأخذها وألقاها على الأرض وداسها بقدمه أمامه .

(٣) كان هذا فى نظر النفوذ الغربى انتقاما من الأزهر ومنطلقا لتجسيم الأزهر والقضاء على نفوذه ، هذا الاتجاه الذى قام فيه محمد على بدور كبير ثم جاء الاحتلال البريطانى فتوسع فيه وكان من أخطر عوامل المقاومة قيام نظام تعليمى جديد منفصل عنه يسمى وزارة المعارف على أساس النظام العلمانى على النحو الذى رسمه وقادة دتلوب فى عهد كرومر والذى ظل مسيطرا على التعليم حتى اليوم .

يقول جلال كسك فى كتابه (ودخلت الخيل الأزهر) : كان رفض الوجود الغربى على أراضينا رفضا عاما وشاملا وهنيئا وكان لابد أن تصفى قيادة الأزهر ، لاهن طريق احتلاله بالخيل ولا يتسمير أبوابه « بل يتسمير باب قيادته العسكرية الأمة بتغريب المجتمع من حوله حتى تقطع جذوره أو تذوى ويصبح رهأ التخلف ومثار السخرية والتندر « وهذه هى المهمة

التي تولاهما بنجاح رجل الغرب ومثل مصالحة محمد علي باشا الملك بالكلية
مؤسس مصر الحديثة وباعتهم فيها ومسلمها فربما عاجزة إلى الاستمرار
الغربي ، وبعد ثمانين عاما من تحضير وتمدين وغرب أسرة محمد علي
لمصر انتقلت القيادة نهائيا من الازهر وأصبحت هذه المرة في الجيش
فلما سقط الجيش في معركة التل الكبير ، سقطت مصر ونعم الإنجليز
بهده ربيع قرن (١٨٨٢ - ١٩١٧) لأن الأمة كانت بلا قيادة
لأن قيادتها الضعيفة كانت قد نحت وضعفت لأن عملية التغريب كانت
قد تمت بنجاح ،

وأية ذلك أن استطاع كرومر إخراج زعيم علماني يفتح الطريق
أمام التغريب ويحطم كل مقومات الحركة الوطنية الإسلامية ويهبط بالأمة
إلى عهد طويل لقبول النموذج الديمقراطي الغربي الزائف ، هو جميعه زعماء
خريج الازهر الشريف ومسلم الحركة الوطنية إلى الولاء الغربي وقبيل
الاحتواء الغربي وأن يخرج التغريب من الازهر عالما آخر هو الذي حمل لواء
القول الزائف بأن الإسلام دين روحاني وليس دين حكم ولا نظام مجتمع
وهو على عبد الرازق كما أخرج آخر حمل لواء الشك الفلسفي وانكار
وجود إبراهيم وإسماعيل وطه حسين :

يقول جلال كسك : كان الإسلام هو السد الوطني الذي تنكسر عنده
أمواج الغزو الغربي لأن الإسلام هو الرفض الحضاري للغزو الغربي وكان
الإسلام يمثل في المقاومة الأكيدة من جانب الجماهير للفزاة الأجانب الذين
يهدون وجودنا الحضاري ومستقبلنا ومصالحنا وكان يمثل أيضاً في القيادة
المتفقة لسلامة (شيوخها وتجارها وأعيانها) .

كان على الغزوة الاستعمارية الغربية أن تفتت مقاومة أمتنا بتحردها
من الإسلام وقد جربت أوروبا إبادة الإسلام بقتل المسلمين في الحروب الصليبية
ولكنها اكتشفت فشل هذا الأسلوب ثم جربت أن تخرج المسلمين من

الإسلام بمحملات التبشير ولكن (التبشير) لم ينجح فكان (التغريب) أى دفع المسلمين والمسيحيين إلى استبعاد الدين من حياتهم وتفكيرهم وعزل القيادات المثقفة لتصفية دورها في المجتمع .

(٤) واجه المسلمون عاصفة التغريب مواجهة قوية ، وكان موفا مختلفا عن الشعوب التى احتواها التغريب وهى الدول التى لم تكن قلايتها حضارة قادرة على المقاومة :

فقد كان للمسلمين تراث حضارى ومؤسسة حضارية تشكل رغم تخلفها عنصر رفض ومقاومة للوجود الغربى .

وهذه الشعوب عندما فوجئت بتفوق الغرب الذى طاش قرونا على احتقار شأنه إلى أن دوغتها مدفعية نابليوى فى عشية القرن ١٨ فى الطرف الغربى من آسيا فكان السؤال كيف تواجه مدفعية الغرب .

الفصل الثاني

أهداف الحملة الفرنسية

كانت أبرز أهداف الحملة الفرنسية القيام بدور عسكري حاسم في مؤامرة الغرب التي ترمي إلى تمزيق الدولة العثمانية والتي قال الوزير الإيطالي (دوجمار) أن هناك مائة خطة وضعت لهذا الغرض .

وكل دعوى تسمى تحضير مصر والعالم الإسلامي فإنها عبارة مزورة ، وكاذبة فإن سمعة الثورة الفرنسية لم تكن قد تكشفت عن مخطط يهودي وأن نابليون كان جزءاً من هذا المخطط فإذا ذهبنا تتابع دور اليهودية العالمية في المؤامرة على العالم الاسلامي لوجدنا نقاطاً خطيرة جديرة بالبحث والمتابعة .

(أولاً) كان لليهود دور كبير في تقليص دولة الاسلام في الأندلس ، ففي مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين أخبار كثيره عن دورهم ذاك فبيل العهد المرابطي تم كان لهم دور في لإنهاء دولة غرناطة وخروج المسلمين من الأندلس نهائياً .

(ثامناً) أثبتت الوثائق المسيحية كما جاء في كتاب الاميرال (كي) أن الحروب الصليبية لم تكن حروباً مسيحية وإنما كان تدييراً يهودياً لوضع العالمين المسيحي والاسلامي في حروب عامة مدمرة دامت أكثر من عشرين تمهيداً للوصول إلى فلسطين .

(ثالثاً) تجول لورنس في الشرق الأوسط عام ١٩١٤ باسم التنقيب عن الآثار في قرقيش ثم تحول إلى سيناء ورسم خريطة مساحية عسكرية لسيناء من العقبة حتى العريش وقام باستطلاع رأي قادة العرب في توطين اليهود في

فلسطين والتمهيد لوعده بلفور وأغرق أجهزة الأمن المصرية في مشاكل الأمن
لصرف الأنظار عن النشاط الصهيوني الذي كان قد وصل إلى ذروته إلى مصر
وتلك دعوى باطلة إن عصر النهضة بدأ عام ١٧٩٨ عندما جاء نابليون وحطم
ذلك السور العثماني العظيم الذي حال دون اتصال مصر بأوروبا ثلاثة قرون
كاملة، فهل كانت مهمة نابليون حضارية وماهى بذور النهضة التي زرعها في مصر
أثناء احتلاله؟ يجيب عن هذا السكولونيل عبد الله التل فيتحدث عن قصة تسخير
الصهيونية لنابليون (كتابه الأفعى اليهودية في معازل الإسلام) .

استمر استغلال اليهود للثورة الفرنسية بعد أن حطموا أسس الدولة من
نواحيها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية ، وغدوا القوة الحقيقية
التي ترهب الشعب الفرنسي تحت ستار الشعار المزيف : الحرية والمساواة
والإخاء .

وحين انتهت السطة العليا في فرنسا إلى نابليون انتهر اليهود هذه الفرصة
وشرعوا في الاتصال به والإيماء إليه عن طريق مستشاريه من اليهود وخاصة
رجال الدين منهم ثم تقدموا له بمذكرة عن فتح مصر ومساعدة نابليون في تثبيت
هذه المستعمرة لفرنسا ومدى الفوائد التي سيجتنيها نابليون من استغلاله
لأموال اليهود وخبرتهم في التجسس والتغريب ثم يتطرق إلى بيت القصيد فيقول:
فعلى فرنسا إذن أن تمنحهم الأرض التي سيقسمون عليها وطنهم وجمهوريتهم
ومصر هي لفرنسا ومصر على وجه التحديد هي التي اتجهت إليها آمال أبنائهم
لأنهم أَرْض عودتهم بعد تبعيتهم الثاني ، إن مصالحنا وراغبنا يتفق ومصالحكم
ودعبانكم وإنه لفي وسعنا أن نساعدكم فأتجربوا بأنظاركم إلى مصر ، تلك الأراضي
الجميلة بعد خلاصها من العثمانيين، ويلتووا اقتراحاتنا إلى إخوانكم الثائمين في الأرض
وعرفوهم عن قيمة الفرصة التي نقدمها لكم ، وليجمعوا الأموال فيبتاعوا ذلك
الرابع من مصر الذي يجاوز برزخ السويس والبحر الأحمر .»

أما اتن الذي يقدمونه لنابليون - بعد الأموال - فهو أن يكونوا
لنى داة تخريب واضطرب ، فإذا استطاعوا عن هذا الطريق الدخول

إلى عقر آسيا فإنهم يحملون معهم الصناعة والفنون والعلوم الأوروبية ، هذا وأنهم يقدمون إليك -نصرا- استعماريًا متينًا ثابت الأركان قد يكون ضروريًا فيما يقوم في آسيا مقام الامبراطورية الآخذة في الانحلال : امبراطورية العثمانيين ويقدم لهم أهم الضمانات لبث الفوضى وإشغال الفتن وإحلال الأزمات للقضاء على الأتراك جملة واحدة .

وعندما رفع (باراراس) المشروع إلى نابليون استصوب الفكرة واستعان بعلماء اليهود وخاناتهم على صياغة النداء ، وقد جاء فيه : « إن الأمة التي ينظر أعداؤها إلى موطنهم الوراثة كغنيمة تقاسم وفق أهوائهم بضربة قلم في دوائرها شتعلتها حربا لاهوادة فيها ولا مثيل لها في التاريخ للدفاع عن كيائها فنثار للذل الذي لحق بهم منذ ألف عام تقريبًا فإن هذه الأمة (أى الفرنسية) نقدم لسكم الآن وعلى الرغم من جميع العقبات مهدد إسرائيل بأورثة فلسطين الشرعيين إن فرنسا تناديكم الآن للعمل على إعادة احتلال وطنكم واسترجاع ما فقد منكم ، أسمعوا فإن هذه اللحظة لن تموض قبل آلاف السنين للمطالبة باسترجاع حقوقكم المدنية بين شعوب العالم .

الأهداف إذن مشتركة والخدمات متبادلة يمنحهم نابليون قسما من مصر يتخذونه قاعدة للوثوب على فلسطين والمقابل هو المال ، وأن يكونوا في يده أداة فوضى وتخريب وثبت للاستعمار الفرنسي .

هذه هي مهمة الإمبراطور العظيم حامل لواء الثورة الفرنسية وشعاراتها الإنسانية وبذور الحضارة إلى الشرق وموقفه من نومه الثقيل ولكي تنجح المهمة وينطلي الحداق فلا بد من القناع ، كان نابليون يعلم دلم الذين أن العدو اللدود والحصم العنيد الذي سيواجهه ، ليس جنود الممالك وإنما هو الإسلام : ذلك الطود الراسخ والجميل الأشم الشامخ التي تكمرت عليه موجات الصليبيين وبقي الشرق شرقا ، لذلك رأى من الحكمة أن يتفادى مواجهه هذا الحضم الذي لا يقهر والعدو الذي لا يدخر ، ولذلك فعندما قرر نابليون استعمار مصر كمنقطة لإنطلاق لبناء امبراطورية الشرق بدأ بدعوة الإسلام

وطلب الإسلام وصفه تحت قائمة الكتب السياسية ، وكلما دنا من الساحل الإفريق استغرق في دراسة الإسلام ووصل به الأمر إلى حداثاء الإسلام وذلك في محاولة منه لتلقى عواطف المسلمين وتنويم الشعور الديني فقد أصدر إلى المصريين منشوراً جاء فيه : لا إله إلا الله لا ولد ولا شريك له (في ملكه) أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد قولوا لامتكم أن الفرنساوية أيضا مسلمون مخلصون .

ثبت جيوش الممالك ساعات ثم انهزمت وأصبح نابليون وجها لوجه أمام الإسلام المتجسد في الأزهر فتحمل شيوخه مسئولياتهم وقاموا بتنظيم الثورة التي اقضت مضاجع جيش الاحتلال واستعمل نابليون كل وسائل الترغيب والترهيب لجر شيوخ الأزهر واستعملهم أداة لكبح جماح الجماهير ولما لم تفلح محاولاته ثار غضبه فأمر مدفعية القلعة المعززة بمدافع الهاويرز وللورثاء بأن تسدد المدافع إلى الجامع الأزهر وما حوله من أحياء هي مركز الثورة . وأخيرا دخلت حيله الأزهر مركز القيادة المصرية ورمز سيادتها ، وهذه هي الحضارة .

هذا الجيش الذي فتح لنا نافذة على العصر الحديث كيف عامل النساء واستخدم الوسائل الوثنية في اغتصاب الأموال وابتزازها وانتهاك الحرمات والإعدام بالجملة بدون محاكمات وكيف أن نابليون كان يصدر الأوامر بالاقتصاد في الرصاص واستعمال السكاكين وأسنة البنادق والإغراق في النيل إلى غير ذلك مما يندى له الجبين ويعتبر وصمة عار في تاريخ الاستعمار .

وعندما تقدم إلى يافا أرسل الله إليه الطاعون الذي فتك بحيشه فتكا ذريعاً فدفعه على الانسحاب .

ولما عاد نابليون إلى فرنسا وانكشفت له خطط اليهود الماكرة قال

إن الدنيا تسامت من قبل جمعية سرية فلا يجوز لنا أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا ولقد صدق نابليون ، فإن هذه الجمعية لما تحققت من فشلها تخلت عنه وتركته يلقى مصيره المحتوم في بعد معركة (واترلو) التي لعب فيها المال اليهودي لعبته المردوجة ، أما الجمعية للشار إليها فهي الماسونية وقد أكد الجنرال لودندروفي ذلك عندما قال : إن الماسونية هي التي قضت على نابليون .

لقد فشل نابليون وكان الإسلام هو العامل الأساسي في فشله .

قال مؤرخ عربي : لقد كان الإسلام بالطبع هو الحائل الأكبر دون هذا الجو المنشود من الثقة المتبادلة .

وتعلم الإنجليز الدرس فعملوا على تدمير القواعد وبنو وجودهم .

* * *

الفصل الثالث

محمد علي : تغريب التعليم والقانون

كان النفوذ الغربي يرمي إلى السيطرة على المنطقة الإسلامية بالقضاء على مفهوم الجهاد الذي يحمل السلاح في سبيل مقاومته وتغريب الفكر حتى يفرغه من الإيمان بهذه القوة .

ومن ثم كان يهدف إلى تدمير تلك القوة التي تحمل لواء الجهاد وتحمل لواء للمقاومة الفكرية : هذه القوة هي : الأزهر الذي قاوم الحملة الفرنسية مقاومة شديدة والذي قاوم محمد علي عندما تولى نبأ بين علماء الأزهر ثم عمد إلى التصرف الفردي الاستبدادي وعزل العلماء بمقاومته استبداده بقيادة عمر مكرم فكان من أكبر أهدافه القضاء على القوتين اللتان تمثلان مصر في هذا الوقت : قوة الأزهر وقوة المماليك .

ومن ثم سعى إلى التفرقة بين العلماء وإيقاع الخلاف بينهم حتى استطاع أن يعزل السيد عمر مكرم وينفيه ويقيم ولاء جديدا من علماء اصطنعهم بالمال والرشوة حتى تم له ما أراد .

ومن ثم أحس بنفس إحساس النفوذ الأجنبي وهو أن الأزهر حجر عثرة أمام مطامحه ومن ثم بدأت خطة هدم الأزهر بتجميده وإنشاء ما أطلق عليه نظارة المعارف التي جمعت الأزهر وإنشأت التعليم العلماني وجعلته في حضانة الفرنسيين عن طريق البعثات .

ففي عصر محمد علي بدأت ظاهرة الازدواج أي بقاء القديم في حله تقريبا وإنشاء جديد من مصدر مغاير إلى جانبه .

(تغريب التعليم في عهد محمد علي وتغريب القانون في عهد إسماعيل)

لم يتصرف الاهتمام إلى تجديد القديم أو تحريكه ، وإنما انصرف إلى تشكيل مجال آخر يتبى فيه الحديد الوافد ، استخدمت دواوين قضائية بجوار ديوان القضاء والتزمت تلك المجالس بما يصدره الوالى من قوانين ولم تلتزم بالشريعة الإسلامية . وما لبث الناس أن رفعوا منازعاتهم إلى تلك المجالس الجديدة التى اتسع نطاق نشاطها بالتدرج اضطراراً مع زيادة ما يصدره الوالى من قوانين وتشريعات .

والمعروف أن الفرنسيين خرجوا من مصر بجهد القوى الإسلامية وعلباء الأزره ، الذين قاوموا استبداد محمد على من بعد فأتلف محمد على وفرنسا على مقاومة نفوذ الأزره والقضاء عليه . وقد أعاد محمد على نفوذ الفرنسيين على نحو لم يكونوا يحملوا به أبان الحملة الفرنسية ويمكن لهم من النفوذ في مختلف الميادين وخاصة في مجال الثغافة .

ومضى معهم شوطاً طويلاً حتى عرف بأنه دبر من أجلهم مؤامرة في المغرب أما في مصر فقد بذر لهم بذور الارساليات التبشيرية والثقافية الفرنسية ومنذ ذلك الوقت كانت الهجمة الفرنسية الغربية الأوروبية ضاربة لم ينحصر خطرهما في الجانب الاقتصادى والعسكرى ولكنه امتد إلى مجال التعليم والقانون وجرت محاولة لتنظيم المحاكم الشرعية :

وفي السنوات اللاحقة ١٨٧٥ تلقى تطبيق الشريعة الإسلامية أعنف وجهتها له فانفتحت المحاكم المختلفة لنظر قضايا الأجانب ووضعت لها مقننات أخذت من القانون الفرنسى باختصار غل وبدأ تفكير الدولة فى إنشاء قضاء وطنى على هذا القرار فشكل محمد قدى باشا لجنة لوضع هذا النظام ١٨٨٠ وصدرت لائحة المحاكم الاهلية الجديدة ١٨٨١ وجرى وضع التقنينات الرئيسية الستة التى تطبقها هذه المحاكم :

(المدنى والمرافعات والتجارى والبحرى والعقوبات وتحقيق الجنايات) وضعت كلها باللغة الفرنسية ثم ترجمت ، وقد أوقفت الثورة العرابية هذه الحركة ثم عاودت المشير بعد الاخلال الامجايزى وافتتحت المحاكم الجديدة فى أول يناير ٣ م - طريق النهضة

١٨٨٤ وعرف ذلك بحركة الإصلاح القضائي ومن ثم انحسرت المحاكم الشرعية إلى مجال جد محدود كالأحوال الشخصية وهذا النظام الجديد أعدم قبل الاحتلال البريطاني وهو مأخوذ من نظام القانون اللاتيني الفرنسي لا النظام الانجليزي السكسوني وقد واجه الفقه الإسلامي تلك الضربة بأنبعاث روح التجديد فيه ولكن يلاحظ ببطء حركة التجديد فيه عن حركة المجتمع .

أما بالنسبة للتعليم فقد تغرب تماما وتحول إلى تعليم علماني وبعثات إلى فرنسا وهذا هو الهدف الحقيقي للتبشير والاستشراق انطلاقا من نصيحة لويس التاسع الذي دعا الغرب إلى ترك السيف وحمل لواء الكلمة لتعبير الإسلام والقضاء على مفهومه بوصفه ديناً ودولة ونظام مجتمع ومنهج حياة .

وقد كان محمد علي يطمح في هذا لتثبيت أركان حكمه فقد طالب العلماء بالعدل ولم يكن هو مقبلاً له .

فأول ما فعل هو أنه جمع جميع عقود التملك للأراضي المصرية وحرقها فأصبح هو المالك الأروحد لجميع الأراضي الزراعية ثم بدأ أبناؤه يوزعونها من جديد ويعطونها لليهود والأجانب الذين استعانوا بهم على أقروض وخاصة في عصر إسماعيل ثم جاء الاستثمار البريطاني فاستولى على أراضي الدائرة السنية (نصف مليون فدان) فوزعها على أوليائه في مختلف أنحاء القطار المصري وخطى منها اتباع التبشير والمؤامرة والمتعاونين معه على أكبر قدر منها وقد قام بهذا المهندس ويلسكو كس .

كذلك فقد مضى محمد علي في السيطرة على الأوقاف وهي خطة تواصلت في عهد إسماعيل وتوفيق وعباس (وكانت موضع الخلاف والخصومة بين الشيخ محمد عبده وعباس) ، وعهد محمد علي بعد القضاء على نفوذ علماء الأزهر إلى القضاء على القوة المصرية التي تملك صفة الإمارة والوزارة وهي للمماليك فأوقع بهم في تلك المذبحة المعروفة .

ويقول العلامة أحمد رمزي (السفير والعالم المسلم) إن من وراء هذه المذبحة عقلاً أوربياً جباراً هو (دوفيني) قنصل فرنسا بالقاهرة فهو الذي دبرها

وخطط لها وأشار بها بل مولها من ماله ، ففى مذكرات (بوركات) المكتشف والمستشرق السويسرى إشارة إلى مال كان يحتفظ به فى خزانة القنصيلة الفرنسية وإن (ددوفيتى) استأذنه فى أن يقرضه هذا المال لأن المتأمرين من ضباط الألبان كانوا مترددين حتى بعد أن قبضوا ثمن خيانتهم ، فهذا المذهب قد استعمل لتنفيذ أغراض (ددوفيتى) قنصل فولسا ، ولم يكن محمد على إذن سوى آلة نفذت أغراض السياسة الفرنسية التى كانت ترمى إلى القضاء على المالك ثم إلى افناء الألبان فى حروب خارج مصر . وبالنسبة للسيطرة على أوقاف علماء الإسلام ، تقول أحمد رمزى :

كان علماء الإسلام عبر العصور قوة لا يستهان بها لجاء تحطيم هذه القوة تكملة لتحطيم القوة العسكرية المعارضة وهذا تخطيط أوربى . وإن بونايرت خرب وهدم ١١٨ أثرأ إسلامياً لبناء حصونه وقلاعه فى مدينة القاهرة وحدها ، أما الأوقاف فنما ما أوقفه السلطان حسن على جامع المعروف وهو كثير خصص على تعليم أبناء مصر من المذاهب الأربعة وكانت تصرف لهم السكاسوى والأطعمة . وكانت أوقاف (جامع عمرو) لا حصر لها . وكان للمسلمين أوقاف على الناس والمساجد والأربطة وبعضها لحماية الحيوان وفقاً للتصرف على الاتباع وصغار الكادحين ؛ إذا كسرت منهم آنية أو خرف فلا يتعرضون لإهانة محمد ومهم . وجاء عهد صلاح الدين فلم يغير منها شيئاً بل زاد عليها وجاء السلطان العثمانى سليم الأول ، ولم يجرؤ على إلغائها ، بل حللها حمل لقب (خادم الحرمين الشريفين) وهو من القاب سلاطين مصر من دولتى المالك أوقف على الحرمين بمكة والمدينة — ما يجبى من خراج مديرتى قنا وجرجا ، وهذا المبلغ بقى يرسل إليها وأم يمسح محمد على وهذا ما كان يسمى « بالصرة » .

أما سلاطين المالك فقد شملت أوقافهم الحرمين وبيت المقدس ومقام إبراهيم الجليل ولا تزال أثارهم باقية فى كل مكان بالحجاز وفلسطين وسوريا إلى اليوم : فلماذا أقدم محمد على على إلغاء بعض الأوقاف والاستيلاء عليها ؟ هذا السؤال يطرحه المؤرخ المصرى د. ليشير ، بأن القوة المعارضة لمحمد على الباقية بقى مذهب المالك والتخلص من الأوناوود — أى الألبان — هى قوة العلماء

ويجب تقليم الأظافر هؤلاء وقد كان ، ومرة أخرى كانت فرنسا قد احتلت أجزاء من قطر عربي هو الجزائر وكانت تطمح في الاستيلاء على الأراضي المنزرعة على الشاطئ. وهي حصنة تصلح لإنشاء المستعمرات الاستيطانية ، ولسكنها وجدت أن ثلاثة أخماس هذه الأراضي هي من أملاك الجبوس (أى الأوقاف) التي خصصت لأعمال البر وصيانة المساجد والجهاد في سبيل الله تعالى فإذا فعل وقد تمهدت لسكان البلاد بعدم التدخل في شؤون الدين الإسلامي ؟

طوقت الجزائر من مصر حيث لجأت إلى محمد علي بواسطة مثلها ونصحتة بأن يحرر بعض الأوقاف وأشارت عليه بالحصول على فتوى بإمكان ذلك ، لمضى الوقت وغيره من المبررات والمسوغات السياسية ونفذ هذا محمد علي . هذه الفتوى استغلتها السلطات الفرنسية بالجزائر فنزعت أملاك الأوقاف وتمهدت بأن تصرف على المساجد والأئمة من خزائنها . دفعت من الخزانة الفرنسية ما يكفي لصيانة هذه المساجد بادية الأمر ولسكنها استتت سنة لغيرها من الحكومات الاستعمارية العاشمة في مختلف الاصقاع الإسلامية ، فقد انقصت عبء الأئمة ومرتبات العلماء وأنزلت عدد المساجد حتى أنه لم يبق بمدينة الجزائر أكثر من ثمانية عشر مسجداً وهي نفس الخطة التي تكرر تنفيذها في فلسطين بعد أكثر من قرن ، وكان محمد علي بشهادة المؤرخين دمية في يد المصالح الغربية وقد لعب دوره المرسوم فلما حاول أن يتخطاه أعيد بعنف إلى الدائرة المخصصة له وكذلك كل زعيم من بعد ومضى محمد علي في توسيد الأرض للنفوذ الأجنبي والمخروج من دائرة الإسلام ومضى كبير كتابه (رفاعة الطهطاوى) في الدعوة إلى الإقليمية المصرية وقبول الحضارة الغربية دون تحفظات مع أن كتابات علماء فرنسا في كتاب (وصف مصر) تشهد بأن مصر كانت تحكم بكتاب الله قبل الحملة الفرنسية وأن مجتمعها كان مجتمعاً مسلماً ملتزماً قائماً على الشريعة . وهو الهدف الذي أضيف عليه عمل القوى القادمة والمستشارين الذين استقدمهم محمد علي من فرنسا من جماعة الماركسيين واليساريين (سان سيمون وغيرهم) الذين حملوا معهم وباء الإلحاد والإباحة معا .

ولئن تناول بعض الكتاب مدعياً أنهم هم الذين قدموا العصرية والتقدمية .

كانت خطوات محمد علي في سبيل إقامة نظام سياسي مستقل عن الدولة العثمانية قد دفعه إلى التحرر من الوجهة الإسلامية بصفة عامة والانجاء إلى الأسلوب الغربي ومن ثم فقد وقع في أخطاء الاستبداد والتخبط في القانون وخالف الشريعة الإسلامية بالظلم الذي ارتكبه بالاستيلاء على أملاك المسلمين وما وقع من أعمال السخرة والارهاق وكان لمعارضته لأسلوب الإسلام في الحكم على النحو الذي عرضه عمر مكرم باحتواء بعض العلماء الطامعين في منافع الدنيا الزائل والقليل مع الاحتقار لهم ، وقد أطلق هذا يده فأضاف إلى الاستبداد ، الاحتكار : احتكار الزراعة والتجارة والصناعة الذي أساء إلى الشعب إساءة كبرى — على حد تعبير عبد الرحمن الرافعي (عصر محمد علي) — لأنه ضرب على حجبا من الفقر والجود ، فضلا عن أنه تجنب وتجاهل وأغضى عن أي نظام للشورى يعود باشتراك الشعب في الحكم فإذا أضيف إلى ذلك ولأته لفرنسا وعمله على تحطيم القوة الإسلامية الناشئة في الجزيرة العربية وهي قوة مرتجاة للدهوة إلى التوحيد والإصلاح الاسلامي وفق مفهوم السلف .

كما قضى محمد علي على نفوذ علماء الأزهر الذين كانوا موثلا للشعب يفرغ إليهم عند وقوع الأزمات وقد قاموا بدور ضخم في مواجهة الحكام المماليك وفي مواجهة الحملة الفرنسية ووقفوا في وجه استبداد محمد علي ، فعمد بالانفاق مع النفوذ الأجنبي على عزل الأزهر عن الحركة الثقافية والتعليمية ونقل مركزها إلى المدارس والمعاهد والبعثات) .

أما الطبقة الجديدة التي تخرجت من المدارس الحرة أو المعلمين أو المهندسة فقد كانت فئة علمانية لم تدرس أصول الإسلام ولم تعرف الوجهة الصحيحة لبناء المجتمع الإسلامي ، ولم تمتد يد الإصلاح طوال هذا العصر إلى الأزهر بل تركه محمد علي كما كان على نظامه القديم ، وكان محمد علي مع هذا منسجما مع وجهته الاستبدادية ومع وجهة النفوذ الأجنبي المتعاطف الذي كان يرى أن نفوذ الاسلام سيقف حتما أمام دخول أنظمة الرأسمالية والاحتكار والنظام القضائي الغربي الذي استقدمه محمد علي .

لقد عمل محمد علي على تحقيق غايات محددة :

أولاً — القضاء على نفوذ الأزهر وتحطيم جهة العلماء القادرة التي تحمل راية الجهاد في سبيل الله والتي قاومت الفرنسيين ألف يوم وهزمتهم وحطمت وجودهم وقاومت عطرسته واستبداده عندما انفرد بالحكم .

ثانياً — التوسع في الولاء للغرب وتدمير نظام التعلم والتربية والثقافة الإسلامية ونظام الشريعة الإسلامية المطبق في المجتمع :

ثالثاً — محاولة خدمة أهداف الغرب بالغرب .

رابعاً — محاولة خدمة أهداف النفوذ الإسلامي بتحطيم الدولة السعودية التي تحمل لواء تحرير الفكر الإسلامي من قيد التقليد والدعوة إلى التوحيد الخالص .

خامساً : القضاء على المماليك : تلك القوة الوطنية الموجودة في قلب البلاد .

الفصل الرابع

إسماعيل قنطرة إلى الاحتلال

دخل إسماعيل مرحلة الاحتواء الغربى الذى كان يمد للسيطرة على مصر ، وذهب بعيداً فى الترف والبذخ والاستدانة فقد عرف إسماعيل بالإسراف وعدم تقدير العواقب وضعفه أمام الملذات والشهوات وقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى التبذير فى أموال الخزانة العامة فلم تكفه الملايين التى كان يجمعها من الضرائب بل عمد إلى البيوت المالية والمرابين الأجانب يستدين منهم القروض الجسيمة ، هذه القروض كانت الوسيلة التى تدرعت بها الدول للتدخل فى شئون مصر ووضع الرقابة المالية عليها ، ولقد كانت الديون من الوسائل الفعالة لتدخل الدول الأوروبية فى شئون الأمم الشرقية ، ولم يكن إسماعيل فى حاجة إلى من يبصره بمطامع انجلترا والدول الأوروبية فى مصر . كذلك فقد كان ركونه الشديد إلى الأوروبيين والدول الأجنبية واعتماده عليهم وثقته بهم ثقة لا حد لها كانت من عوامل تورطه فى القروض الأجنبية ومن مظاهر هذه الثقة أن عهد إلى الأجانب من رعاية الدول الاستعمارية بمهمات خطيرة من شئون الدولة وأطلعهم على أسرارها ، ومكن لهم من مرافقتها ، فى عهده تعددت البيوت المالية والشركات الأجنبية التى تغفلت فى البلاد وعهد إلى الأجانب بمناصب كبرى (تعيين صويل بيكر حاكماً لمديرية خط الاستواء وغردون حاكماً لها بعده) وفرنجر محافظاً لسواحل البحر الأحمر ، ولستون رئيساً لأركان حرب الجيش المصرى (١) وقد أدى هذا أن نالت الدول الأجنبية حقوقاً ومزايا تشل سلطان الحكومة ، وهذه المزايا أشبه ما تكون بالوصاية على مصر ، ظهرت هذه الوصاية بمظاهر مختلفة : من إنشاء صندوق الدين ، إلى فرض الرقابة الثنائية على مالية مصر ، إلى تعيين وزيرين أجانب فى الوزارة المصرية لهما حق النقض أى وقف كل عمل تشريعى وتنفيذى للحكومة . .

(١) عبد الرحمن الرافعى (عصر إسماعيل) .

كما جمع إسماعيل حوالى مليون فدان بنزع قطع الأرض من صغار الفلاحين وهى ماسمى بالدائرة السنبة فلما قدم الإنجليز بصفة دائنين ثم مستعمرين وزعوا أراضى إسماعيل على أعوانهم الذين مكثوا لهم من تثبيت أفدامهم فى استعمار مصر وبذلك نشأ الإقطاع فى هذه البلاد واستمر سبعين عاما .

وهكذا كان إسماعيل قنطرة إلى احتلال مصر الذى تم بعد ذلك فى عهد توفيق بعد أن تأمرت بريطانيا على أسهم مصر فى قناة السويس وعلى جيشها بقيادة عرابى فإن هزيمة مصر فى الثورة العربية كانت بمعامل الخيانة على النحو الذى قام به الإنجليز بالتآمر مع بعض المصريين الخونة أمثال سلطان باشا الذى دهم على مواقع جيش عرابى .

وبذلك سقطت مصر فى براثن النفوذ الإنجليزى الذى سيطر عليها أكثر من سبعين عاما (١٨٨٢ - ١٩٥٤) وكانت هناك محاولة أخرى بعد خروجه عام ١٩٥٦ مما يسمى حرب السويس .

يقول الشيخ محمد عبده : إن إسماعيل أفسد الإدارة وأفسد الأخلاق فلما وجدنا ربح الحرية وأردنا أن نهض بالإصلاح كان فساد الأخلاق هو الذى غافنا لإفساد الإدارة ، ولولا ذلك لكانت هذه المدة التى أتيج لنا منها ماتشاء من التربية والكتابة والمخطابة كافيه لأن نرتقى فيها ونكون أمة .

وقد كان لإسماعيل باشا دور رئيسى فى فرض القانون الفرنسى وإنشاء النماكم المختلفة وعجارية وتشويه كل من يتصدى له من العلماء فكان يقول : لايمكن أن يعمل فى هذا القرن بما وضع للعرب منذ نحو ثلاثة عشر قرنا فى هذه المرحلة العصبية ومطامع النفوذ الغرب ، تنسع ، كانت كل القوى تعمل على تغريب مصر ، كان نوبار باشا يعد القوانين للمحاكم المختلفة ، وكان الحديو لإسماعيل يتاور حين دعا رفاعة الطهطاوى ليطلب إلى الأزهرين عمل قانون إسلامى حتى لا يظلمهم بالغريبين الذين يريدون أن يفرضوا قانونهم بديلا للشريعة الإسلامية .

وتلك مرحلة من أدنى المراحل فى تاريخ حركة التغريب :

فقد قدم القانون الوضعي الذي يحجب الشريعة الإسلامية وجاء معه الربا والتعامل الربوي في ميدان الاقتصاد وجاء معه التعليم العلماني .

بروي المستشار عبد الحليم الجندي : أن محمد علي فكر في أن يضع قانوناً إسلامياً في مصر من جميع المذاهب وعهد بذلك إلى فضيلة الشيخ الجزائري ، أما إسماعيل فقد سبق سوقاً إلى إنشاء المحاكم المختلطة وكان هذا عملاً رآه في وقته عظيماً وكان يسود أوروبا في ذلك الوقت القانون الفرنسي ، وكان حتماً أن يستورد لها القانون ، الفرنسي ، وانشئت المحاكم المختلطة قانوناً للأجانب فلما قامت الثورة الغربية ١٨٨١ جاءت وزارة شريف باشا وأتت إصدار قانون مدني وجنائي مستمد من الشريعة الإسلامية وعهد في وضعه إلى قدرى باشا وزير الحقانية .

ثم جاء الغزو البريطاني ١٨٨٢ فتألفت وزارة رياض باشا وكان منها شريف باشا وقرر هذا المجلس المدول عن وضع قانون من الشريعة وترجمة القوانين المستعملة في المحاكم المختلطة فترجمها مجموعة من تلاميذ رفاة بك ، أما رفاة بك فترجم القانون الفرنسي بينما ترجم من دساتير فرنسية والنظم الفرنسية ، وأصدر الشيخ العدوي كتاباً وقال أن في قانون نابليون مواقف من مذهب مالك ومذهب أبي حنيفة .

كما نقلت من القانون الفرنسي نظرية الفائدة .

وهذه هي نقطة تحول خطيرة في تاريخ مصر الإسلامية ، فقد انفصلت مصر تماماً بهذا العمل منذ ذلك اليوم عن الشريعة الإسلامية في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع .

* * *

في هذه المرحلة دوت كلمات جمال الدين الأفغانى التي كانت تدعو إلى ثلاث غايات :

١ - التماس مفهوم القرآن . ٢ - الوحدة الإسلامية .

٣ - تقييد سلطة استبددين من الحكام .

الفصل الخامس

جمال الدين وإسماعيل

طرح جمال الدين خلال عصر إسماعيل مفهوم الإسلام واسما قويا جديراً من خلال تلك الصفرة التي التفت حوله . كان مفهومه امتداداً لمفهوم دعوة التوحيد التي حملها الشيوخ محمد بن عبد الوهاب ، وجارياً مع ما دعا إليه عمر مكرم وعلماء الأزهر الذين حرروا إرادة الأمة ازاء مظالم المماليك واستبداد محمد علي وغيره من الولاة .

كانت القضية الأولى عند محمد بن عبد الوهاب تحرير العقيدة ، وكانت عند عمر مكرم تحرير إرادة الأمة فلما جاء جمال الدين قدم مفهومه إسلامياً واسماً يمثل قاعدة أساسية لحركة اليقظة الإسلامية ، وإن كان قد اعتمد على أمرين تفرقت منها الدعوة الإسلامية من بعد (١) منطلق الفلسفة .

(٢) منطلق الحماسة السياسية ، فقد عادت الدعوة الإسلامية بعد مرحلة من مفهوم الكلام والفلسفة إلى التماس منهج القرآن بدلا من منطلق الفلسفة وأسلوب الترية الإسلامية بدلا من منطلق الحماسة السياسية .

(١) أن أبرز ما دعا إليه جمال الدين هو تجميع المسلمين في وحدة جامعة ، وكان منطلقه ذلك الخطر الزاحف الذي رأى بوادره في إيران والهند وأحس بأن النفوذ البريطاني يكثف جهوده السيطرة على الأمة الإسلامية وقد كشف عن مفهوم هذا بوضوح حين قال : هذه الأمم الإسلامية وإن اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميكان وتنوعت الأجناس وافتترقت اللسان فقد وجدت في وحدة الإسلام وجمعيتهم جامعة الدين ، وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى وتلقى الفروق فيكون جميع المسلمين بها إخوانا ، حكومة إلامية تأم بالاسلام وتعاليمه . إمامها القرآن وأساسها العدل والشورى واختيار خير الناس لتولي أمورها .

ولست أعنى أن يكون لهم إمام واحد فإن هذا ربما كان مقبلاً وإنما أعنى أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك فى ملكه يسمى بمجده لحفظ الآخرين ما استطاع فإن حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم .

(٢) حرر جمال الدين العقيدة فى مواجهة جبرية الصوفية السائدة وأنكر دعوى خصوم الإسلام القائلين بأن سبب ضعف المسلمين يعود إلى اعتقادهم بالقضاء والقدر ، وقال أنهم قالوا ذلك نتيجة ما رأوا فى المسلمين من فقر وفاقه وضعف واستكانة إلى الذل ، مع أن العقيدة فيما لو علموا براء بما ينسبونه إليهم وأن عقيدة القضاء والقدر فى الإسلام تحمل معتقدها على التحلى بأكمل الصفات من جرأة وإقدام والتخلق بخلق الهسالة والشجاعة واقتحام المهالك واحتمال المكاره والجلود والسخاء واحتقار الموت فى سبيل الحق وطلب المجد .

(٣) كشف عن جوهر الإسلام من منطلق مفهوم عميق أصيل حين قال :

إن دين الإسلام فتح أبواب الشرف فى وجوه الانفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة ، فإذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة ، أعنى الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر ، فى مجالات الفضائل وتمادت بها المجازاة إلى محاسن الأعمال .

وإن الدين الإسلامى يكاد يكون منفرداً من بين الأديان بتفريع للمعتدين بغير دليل وتوبيخ المتبعين للظنون ، هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم وكلما خاطب الخاطب العقل وكلما حاكم حاكم إلى العقل .

(٤) رد على الدهريين أصحاب المذهب المادى (الطبيعيين) وأصحاب الدهريين الذين نشروا هذا المذهب فى الهند وقال إن هذا المذهب (النيشريه) سيفرق المسلمين هناك إلى طائفتين ، طائفة أصحاب الطاعة والولاء للحاكم المستعمر والطائفة الأخرى المناوئة لنفوذه وولايته ، ودعا إلى مقاومة الإلحاد الدينى بدفة عامة وتوضيح ضرورة الدين للمجتمع الإنسانى .

وأعلن أن أسلوب الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية يمتدّ صوراً مختلفة للقضاء على الشخصية الإسلامية التي مصدرها القرآن والتي تجمع بين المسلمين في رباط واحد وإن أخطر صورته من ذلك ، هي الصورة التي تسعى لإفساد عقيدة المسلم ، إما بتشكيكه ، إما بمحاولة صرفه عنها ، ولذلك عد المذهب الطبيعي وهو ماسماه بذهب الدهريين سلاحاً خطراً عند المسلمين ، قال : لقد وجد الإنجليز أن الإسلام يطلب من أتباعه أن يكونوا أصحاب الشوكة والسلطان في أوطانهم ، ولاحظوا أن ذلك طبيعة الإسلام التي لا يمكن انسلاخها عنها ولا انتزاعها من فطرة أبنائه ففكروا في أمر يضعف هذه العقيدة فرأوا أن أقرب طريقة هي نشر التعطيل بين المسلمين وأن الدعوة إليه أنفذ إلى قلوبهم من التثليث أو التعطيل الذي هو الإلحاد يسمى بالإنجليزية ينتشر ففتحوا مدرسة عظمى لنشر تعاليم البشرية وبث مبادئها في نفوس الناس المسلم ، من أجل هذا ألف رسالة الرد على الدهريين : وقال أن الإنجليز سعوا في جعل المسلمين دهرين ولم يسعوا في جعلهم مسيحيين لأنهم رأوا أن دعوة التبشير لم تنجح .

وليس المزمع في هذا الكتاب الرد على دارون ، وإنما إثبات قيمة الدين وضروريته للإنسانية وأثره في ترقيه وأثر الإلحاد في انحطاطه .

وخلاصة رأيه أن الدين على العموم أكسب عقول البشر ثلاث عقائد : وأودع في نفوسهم ثلاث خصال كل منها ركن لوجود الأمم وعماد لبناء أمة اجتماعية .

(العقيدة الأولى) : التصديق بأن الإنسان ملك أرضي وأنه أشرف المخلوقات .

(العقيدة الثانية) : تعيين كل فرد أن أمته أشرف الأمم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل .

(العقيدة الثالثة) : جزمه بأن الإنسان ورد هذه الدنيا لتحصيل كمال نفسه الممروجة إلى عالم أرفع وأوضح من العالم الدنيوي .

أما الخصال الثلاث فهي الحياء والأمانة والصدق .

هذه الأسس التي أنت بها الأديان هي العمران وعليها تتوقف سعادة الإنسان وأن الماديين والدهريين والنشئين تؤدي تعاليمهم إلى إنكار هذه الأسس فتزل الإنسان منزلة الحيوان وتفقده الوازع على الخير وتعد حياة جامدة ضيقة حافة لا قلب لها ولا سمو فيها وفي هذا انعكاس لحلقه وهدم أكيانه ، وفي الإسلام مزايها على سائر الأديان .

(أولها) صقل العقل بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الآوهام فمن أم أصوله الاعتقاد بأن الله منفرد بتصرف الأكوان متوحد في خلق الأفعال وأن من الواجب طرح كل ظن في إنسان أو جماد يكون له في السكون أثر من نفع أو ضرر ، أو عطاء أو منع ، أو إعراز أو إزالال .

(ثانيا) إن الإسلام فتح أبواب الشرف للأنفس كلها .

(٥) دعوته إلى إعادة التنظيم السياسي في العالم الإسلامي على أساس الإخوة الإسلامية (بين السنة والشيعة) .

القرآن

(٦) ركز جمال الدين الأفغاني دعائمه على تفهم القرآن والتمسك في معانيه ومقاصده ، وقال أن من يفهم القرآن فهما صحيحا ويعرف صحيح الحديث يستطيع أن يجد في القرآن عاصما للأمم الإسلامية من الفسقة والجور والضعف ومصدرا للعزة والمنعة والشجاعة ، كما دعا الناس إلى التماس عقيدة الرعيل الأول من السلف الصالح . تلك العقيدة الصافية التي لم تشبها اختلاط للفرق الناشئة بعد الصدر الأول للإسلام ، التي توزعت أصوله وأخطأت فهمها واتبع ما يبيته الزنادقة ، الباطنيون من البدع وما وضعه الناحون على الإسلام من الأحاديث الكاذبة التي حورته تحويرا شديدا وأبعدته عن أصوله ففرقت شمل هذه الأمة وأضعفت كيانتها فتضعضعت أركانها بالتواكل الذي جاءها من أهل الحلول والتصوف وأهل الزهد والاباحة - الدين - والعجلة بإحدهما

يكمل الآخر فالدين عنصر هام من عناصر مقومات المجتمع والدولة ولن يتم لها مجتمع لادين له .

(٧) كشف عن زيف دعوى إغلاق باب الاجتهاد : قال مامنى باب الإجهاد مسدود وبأى نص سد أو أى إمام قال لا يصح لمن بعدى أن يجتهد لينتفعه فى الدين ويهتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجات الزمان وأحكامه . أن الفحول من الاثمة اجتهدوا وأحسنوا ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن ذلك أن اجتهدهم بما حواه القرآن ليس إلا قنطرة من بحر .

(٨) الإسلام والعلم :

إن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية فإن كان ظاهره المخالفة وجب تأويله وقد عم الجهل ونفسي الجمود فى كثير من المرتدين برداء العلماء حتى أنهم القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة ، والقرآن بروه بما يقولون والقرآن يجب أن لا يحمل عن مخالفة العلم الحقيقى وخصوصا فى المكليات .

(٩) تغيير المجتمع .

كانت دعوته إلى تغيير المجتمع الإسلامى قائمة على أسس واضحة ودعامتها (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فقد دعا المسلمين إلى أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم وحدث على العمل ونهى عن التكاسل وقام النظرية الصوفية السلبية فى المولة عن المجتمع وقال :

فتاء الصوفى فى الله وفنائى فى خلق الله :

ودعا إلى إشراقة النفوس عقيدة الأمل فى النجاح وإزالة ما حبل بها من البأس والتسلل بالاصول التى كان عليها الآباء والأصلاف وإبطال زعم الزاعمين من القول بأن المسلمين لا يتقدمون فى المدينة وإداموا متهمكين بأصول دينهم

ودعا إلى تأمين الألفة بين الأمم الإسلامية وتحذير الشرق صوماً والمسلمين خصوصاً من تهاول الأجانب عليهم والإفساد في بلادهم ، وبيان النظام التي تعانها الأقطار الخاصة للاستعمار والاضطهاد الذي تقاسيه الأقطار الخاصة للحكم الاستبدادي والأمراء الأقطاعيين .

وقوله : إن التفاوت بين الشعوب ، واستعمار دولة لأخرى ليس قانوناً أزلياً لا يمكن تبديله ، بل هو حادث وقته يزول بزوال مسبباته كغيره من الحوادث التاريخية والاجتماعية الماضية لتناموس التطور . وإن القضاء أجل الاستعمار إنما يتم : بزوال الأسباب التي مكنت أهله من التسلط وأكرهه الشعوب على الخضوع لها متى تعلمت واتحدت وتيقظت وقويت وبدأت بالتمرد على الغاصب الدخيل ، ولما كان حياة الأمم والدول أدوار وأجال وحدوثها وتكونها وتعاليمها ثم ضعفها وانحطاطها أسباب وعوامل فقد وجب أن يكون الاستعمار خاضعاً لتلك القوانين الكونية بمعنى أنه يصل إلى حد محدود وأجل معلوم .

١. — أعلن جمال الدين أن إصلاح السلطة الزمنية يستدعي قيام حكم الشورى وإن إصلاح السلطة الدينية يستدعي الاهتمام بالعلم :
وحياة الشرقيين بالعلم الصحيح موت لحكم الغرب فيهم وفك الحبر عنهم والعكس بالعكس .

دعا إلى الرجوع إلى القرآن والبعد عن تفسيرات المفسرين التي دعت إلى الاختلاف والفلك .

وأعلن أن الدين من اللقومات الأساسية للبشر الذين لا غنى لهم عن سلطانين زمنية وروحية وكلتا السلطتين ترى إلى غاية في الجوهر والأصل .

١١ — يرى أن ضعف المسلمين بدأ حقيقة منذ ظهور الباطنية والمعتقد الطبيعية والذهرية وليست الحروب الصليبية هي بداية هذا الضعف وإمارته ، بل كانت إحدى نتائج هذا الضعف ذلك أن هذه العقائد هي التي مهيت لهذه الحروب الصليبية وكذا حروب التتار . وهاجم الخلط والألباس الذي قام به

البعض فانتشرت قواعد الجبر ، ومن ذلك ما أدخله الزنادقة فيما بين القرنين الثالث والرابع ، وما أحدثه السفطائيون الذين أنكروا مظاهر الوجود وما وصفه كذبه النقل في الاحاديث ينسبونها إلى صاحب الشرع ﷺ وفيها السم القاتل لروح العزة .

ويقول : مادام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل وأمامهم الحق ، وهو القائم عليهم بأمرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم ومغالبة المعتدين وطلب المنفعة من كل سبيل ، فإننا لا نرتاب إلى عودتهم إلى مثل نشأتهم ونهوضهم إلى مقاضاة الزمان ما سلب منهم فيتقدمون على من سواهم ، أن الأصول الدينية الحقبة المبرأة من محدثات البدع تنشئ الأمم قوة الاتحاد واتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة . إن القرآن حتى لا يموت ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ؛ كتاب الله لم ينسخ فأرجعوا إليه وحكموه في أحوالكم وطبائعكم ، الاهتمام بقلع ماسخ في عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غيروجها ثم حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم أن يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلص من ذل .

القرآن وحده سبب الهداية والعمره في الدنياه وماتراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم .

(١٢) الأمور التي يتم بها سعادة الأمم أربعة :

أولاً : صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الاوهام ، والإسلام يقتضى ذلك لأن أول ركن بنى عليه صقل القلوب بهقال التوحيد وتطهيرها من لوث الارهام وخلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه يظهر للناس بالباس البشر أو أن تلك الذات المقدسة نالت في بعض أطوارها شديد الابلام واليهم الاسقام لمصلحة أحد من الخلق .

ثانياً : أن تكون نفوس الأمم مستقبلة وجهة الشرف طامحة إلى بلوغ الغاية منه بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق لاية مرتبة من مراتب

الكمال الإنساني ماعدا رتبة النبوة فإنها بمنزل عن المطمع ، فإذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة ، أعنى الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر في مجالات الفضائل وتمادت به الجسارة إلى محاسن الأعمال .

ثالثا : أن يكون عقائد الامة وهى أول رقم يتنقش فى ألواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة وإن تنحاشى عقولهم . هالمة الظنون فى عفاؤها وترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها والاسلام يكاد يكون منفردا بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون ،

رابعا : أن يكون فى كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الامة وطائفة أخرى على النفوس تتولى تهذيبها وتنقيف أودها ، لانتفى الأولى عن مكايخ الجمل وتنوير العقول بالمعارف الحققة وتدأب الثانية على الكشف عن الاوصاف الفاصلة وحدودها فإن الشهوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ولا لرغائب الانفس غاية تنقطع عندها فإن فقد الإنسان مقوم النفوس ومعدل الاخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع إلى الحيف والاجحاف ، ومن أمم الأركان الإسلامية نصب للمعلم وإقامة المؤدب الأمر بالمعروف .

(٢)

لم يبدأ جمال الدين من فراغ فالحقيقة أن هذا العمل الذى اختار له جمال الدين الأفغانى مصر بالذات كان مستمداً من الصوت الذى علا فى قلب الجزيرة العربية : صوت الشيخ محمد عبدالوهاب إلى تحرير العقيدة الإسلامية : عقيدة التوحيد الخالص من الجبرية الصوفية التى كانت قد اتسع نطاقها فى الدولة العثمانية . واستطاعت أن تصل إلى كثير من عواصم الإسلام والى قام محمد على بالهجوم على حكومتها فى نجد والقضاء عليها إلى حين ؛ ومن ثم فإن كل دعوات الإصلاح التى ظهرت من بعد كانت تحمل فكرها ومفاهيمها وإن كانت لا تعلن عن صلتها بالدعوة الام ، ولقد كان الأثر فى هذه المرحلة قد غرق فى التقليد والجبرية الصوفية وإن كانت هناك أصوات ظلت تردد دعوة تحرير العقيدة . مثل ذلك

الواظئ التركي الذى تحدث عنه الجبرقى ، غير أن جمال الدين ومدرسته التى كونها من رجال الازهر ومن المتقنين المدينين^١ خريجى مدرسة الحقوق وغيرها ومن المعلمين كان نواة اليقظة ، وكان جمال الدين قد جاء يحمل معه ذلك التحدى الخطير الزاحف الذى كان قد وصل إلى الهند وفارس ، وكانت مصر تتولى تحت ضرباته التى كانت تمتد للفرسية للاقتناص فى عصر إسماعيل بالديون والتغريب والقانون الوضعى ، كان جمال الدين قد واجه الطامع الغربية وخاصة البريطانية ومن هنا كان تحركه نحو مصر وتركيا وأوربا فى محاولة لما أسماه بحق (تنكيس أعلام بريطانيا فى المشرق) ومن الأسف أنه بعد أن غادر مصر بقليل سقطت مصر فى براثن النفوذ البريطانى . ولا ريب أن الحديث الذى أجراه عبد القادر المغربى مع جمال الدين فى هذا الوقت الباكر فى الاستانة (١٨٨٩) يكشف بوضوح وجهه اليقظة الإسلامية تماما فى مواجهة النفوذ الغربى والتغريب والغزو الثقافى فقد رفض جمال الدين فكرة أخذ الحضارة الغربية ومدنية أوربا أساسا لبناء الحضارة الإسلامية الجديدة وقال أن هذا الطريق لا يؤدى وهذه هى صيحة الاصالة الأولى :

وهذه عبارته : إنا معشر المسلمين إذا لم نؤسس نهوضنا وتمدنا على قواعد ديننا وقرأتنا فلا خير فيه ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا من هذا الطريق ، أن مانراه اليوم من حالة حسنة فينا هو دين التقهور والانحطاط ، لأننا فى تمدنا هذا مقلدون الأمم الأوروبية وهو يعلم تحيزنا إلى الإعجاب بالأجانب والاستكانة لهم والرضى بسلطتهم علينا وبذلك تتحول صيغة الإسلام التى من شأنها رفع راية السلطة والتغلب إلى صيغة خمول وضعية واحدة تناس بالحكم الأجنبى : لابد من حركة دينية : أن الحركة الدينية الصحيحة المبارة من الزيف هى الأساس الذى تقوم عليه النهضة فالحركة الدينية بما يقوم عليه من تصحيح الاتجاه النفسى وورده إلى الأصول الأولى للدين ، هى الأساس الحقيقى للنهضة بصفة عامة أو لتحقيق التمدن الصحيح .

إن حركتنا الدينية هى كناية عن الاهتمام بقاع مارسخ فى عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض المقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير

وجها مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم ألا يتحركوا في طلب مجد أو تخلص من ذل .

ومثل فهمهم لبعض الاحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان أو قرب نهايته فهما تثبط همهم إلى السعي وراء الإصلاح والنجاح في نظير ذلك مما لا عهد للسلف الصالح به فلا بد إذن من بعث القرآن وبث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها الثابت من حيث يأخذ بهم إلى ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى ، ولا بد من تهذيب علوهم وتفتيح مكتبتنا ووضع مصنفات فريدة المأخذ سهل الفهم فذمتين بتلك الكتب والعلوم التي تضمنها إلى الوصول إلى الرقي والنجاح ، فلا بد إذن من الحركة الدينية وهكذا لخص جمال الدين رأيه بأن الحركة الدينية هي أساس النهضة والتقدم الصحيح ورسم منهاج هذه الحركة في عدة عناصر واضحة :

أولاً : تنقية الإسلام مما علق به من الشوائب .

ثانياً : تأليف حكومة إسلامية رائدةا التعاليم الإسلامية الحققة والعدل والشورى واختيار خير الناس لتولى الأمور والجامعة الإسلامية لا تنافي مشاعر ومصالح أهل الديانات الأخرى .

ثالثاً : مناهضة الاحتلال وتحرير الوطن الإسلامي من الاستعمار والاعتماد على استرجاع قوة المسلمين في تكتلهم وتأخيهم مناهضة الاستغلال بكل قوة والتأليب عليه من غير هوادة .

رابعاً : اطرح ما طرأ على الإسلام من عادات غريبة في السلوك والرجوع إلى موقف المسلمين الأول من القرآن واستلهاهم التوجيه منه مباشرة لطبع تصرفاتهم بالطابع الإسلامي .

خامساً : محاربة الاتجاه الاستعماري في التفكير بالوقوف في وجه الشبه التي تثار والتخريجات المغرضة لنصوص مصدرى الإسلام : القرآن والسنة الصحيحة الصحيحة وبيان زيفها بالاسلوب العلمي والتاريخي .

سادساً : تقريب مبادئ الإسلام من العقلية الإسلامية الحديثة والتنبؤ
بالمثقفين الذين يصطغون أساليب الغرب (عن علم أو من غير علم) أداة لتفكيك
المحتل . اهـ .

* * *

ولا ريب أن طرح هذه المنظومة الضخمة في أفق الفكر الإسلامى فى هذه
المرحلة الدقيقة من حياة مصر والأمة الإسلامية ، فى فترة إرهاصات الاحتلال
وتكتيف الديون والضغط للقضاء على حرية مصر واحتوائها عسكريا وسياسيا
كان من أكبر القوى النفسية والاجتماعية والعقلية التى قادت سفينة الدعوة
الإسلامية إلى طريق النجاة وكان إيدافا بما جاء بعده من محاولات لتفكيك
قوى الاصلاح الإسلامية فى وجه الحرب التعميرية التى أعلنت فى قوة .

الفصل الثاني

مواجهة الاحتلال البريطاني

سقطت مصر في براثن الاحتلال البريطاني وهزم عرابي بالخيانة وسيطرت قوى الاحتلال على الاقتصاد والحكم والقانون والتعليم وأنشبت أظفارها فيه بقوة ، فالنظام الربوي الذي يقوم على سيطرة الاستعمار على كل مقدرات البلاد قد مضى في قوة يحصد المزارعين المصريين ويحملهم الديون ويجعلهم صبيداً وخولا للأجنبي وأرض الدائرة السنية يقوم ولكوكس بتوزيعها على ذوى الولاء من الأسر للاستثمار ويخص به عناصر معينة بأكبر قدر منها لأنه يريد استقطابها ، والقانون الذى قامت على المحاكم المختلطة يتحول إلى التطبيق على المصريين عن طريق المحاكم الأهلية ، ودنلوب يعمل في مجال التعليم لتغريب الفكر الإسلامى كله وحجب كل مقومات الإسلام واللغة والتاريخ الإسلامى عنه في محاولة جريئة ، وكرومر من وراء ذلك كله يدعو إلى تكوين جيل جديد من المنفردانيين المصريين ذوى الولاء للغرب ولبريطانيا ليسلمهم زمام الحكم في البلاد ، وخلال ربع قرن كامل مضى كرومر يقاوم الحركة الوطنية ويقاوم الجامعة الإسلامية ويقاوم تعليم عموم الأمة ، ويفرس ذلك الولاء الأجنبي الذى أثمر في مجموعة من الأفراد ولاهم أمور البلاد : سعد زغلول في مجال التعلم ولطفي السيد في مجال الصحافة ، بل أن حركة التحول تمثلت في جماعة من المثقفين يتكوّنون حول صالون الأميرة نازلى فاضل تحت نفوذ اللورد كرومر ومن هؤلاء أنشأ حرب الأمة التى قاد حركته الفكرية لطفي السيد وكان سعد زغلول - على حد تغير الخديو عباس حلمى الثانى في مذكراته - هو الرأس للفكرة وراء هذا الحزب وتلك الجريدة في مستهل عهدها . في هذا الصالون : ظهر سعد زغلول وقاسم أمين وكثيرون . عن طريق هذا الصالون وعن طريق حزب الأمة عورضت الحركة الوطنية التى قادها مصطفى

مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جوايش وغيرهم ، وكانوا يدبرون الحركة الوطنية من خلال مفهوم الجامعة الإسلامية .

كان هدف بريطانيا لإحتواء مصر في دائرة الفكر الغربى وصهرها وإخراجها من مفاهيم الإسلام ، عن طريق ذلك التحول الذى أحدثه (ذلوب) في مناهج الدراسة بتقديم اللغة الانجليزية في التعليم على اللغة العربية وتاريخ الغرب وبطولاته وكان سعد زغلول يرمى بتقديم اللغة الانجليزية على اللغة العربية إعلاء شأن التحول الغربى ، وكان لطافى السيد يرمى إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان وحدهم وكانت الدعوة إلى إحلال العامية في الكتابة من أخطر الدعوات التى حل لوائها الاستعمار البريطانى وكان أشد من ذلك خطراً تلك الدعوة الملحة على أن الإسلام دين عبادة ومسجد وأنه لا صلة له مطلقاً بالمجتمع أو قضايا ، وذلك بهدف تركيز القانون الوضعى وحجب التشريعة الإسلامية التى توقفت في عهد النفوذ الأجنبى لأول مرة منذ أربع عشر قرناً عن التطبيق . وكان العمل دائماً على تمهيق الإقليمية المصرية وفصل المصريين عن العرب والمسلمين من ناحية وفصلهم عن مفهوم الاسلام الأصيل أيضاً وذلك بإعلاء شأن النظام السياسى الغربى الذى حاولوا تطبيقه تحت اسم الديمقراطية الغربية ونشأت في أحضان الاستعمار مدرسة سعد زغلول التى آمنت بالنظام مع الانجليز وموالاتهم وقبول التعاون معهم وبذلك حولت القوى الفكرية الاستعمارية المثلة في مدرسة لطافى السيد وسعد زغلول إلى قطع الصلة والروابط مع الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية وإعلاء شأن التاريخ السابق للإسلام وذلك ببعث الفرعونية ودعوى عريضة بأن لها لغة وتاريخ وثقافة .

وأهم هذه الأهداف هى فصل الدين عن السياسة ، وتحويل العاطفة الدينية إلى عاطفة إقليمية مرتبطة بالعنصر والدم والجنس ، وذلك حتى يفرق العالم الإسلامى في صراع القوميات .

ومن هنا كانت حملة لروكر على المبادئ الإسلامية ووصفها بأنها مبادئ صحراوية لا تصلح للتطبيق في هذا العصر ، وإنها تحول دون النجاح والتقدم .

ولاديب كان النفوذ الاستعماري يخشى فكرة الوحدة الاسلامية ويحاربها حربا عنيفة ، وكان ذلك يرمى إلى التمهيد لتزريق الدولة العثمانية وتوزيع أسلابها وهو ما حدث فعلا بعد الحرب العالمية الأولى ، ومن هنا فقد عمد إلى تحويل الحركة الوطنية إلى الصراع الحزبي الذي يقتصر عمله على مواجهة الخلاف بين الأحزاب نفسها وينشغل بها عن القضية الأساسية ويدور في ذلك النفوذ الغربي أساسا .

ومن هنا كانت محاولة النفوذ الاستعماري البريطاني القضاء على الحركة الوطنية التي قامت في مواجهته وتصفيتها وإبدالها بحركة أخرى تتحرك من داخل دائرة نفوذه ، وهي الحركة التي قادها سعد زغلول وجماعة حزب الأمة والتي تفرعت منها الأحزاب السياسية جميعا بعد الحرب العالمية الأولى بعد أن صفت الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاديش والتي كانت تدهو إلى مفهوم صريح واضح هو مقاومة النفوذ الاستعماري الاجنبي .

ولقد اتجهت هذه المحاولة السياسية الحزبية ووجه الولاء الاجنبي والإيمان بالنظام والتعاون والولاء للنفوذ الاستعماري ، وقبوله والتعامل معه وهذه هي الحركة التي ظلت سائدة في مصر منذ ثورة ١٩١٩ حتى نهاية عهد الحكم الملكي .

ولقد عمد كرومر إلى الوقوف في وجه الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد بأمرين :

١ - الأول : الاتفاق مع الخديو توفيق وإطلاق يده في بعض الامور في مقابل أن يدير ظهره للحركة الوطنية ،

٢ - الثاني : التفاهم مع فرنسا وعقد الاتفاق الودي معها عام ١٩٠٤ حيث كانت فرنسا هي منطلق الدعوة لمعارضة احتلال بريطانيا لمصر .

وفي أبان العمل الذي قام به كرومر (١٨٩٢ - ١٩٠٧) استطاعت بريطانيا أن تسيطر على التعليم والثقافة وأن تزيج النفوذ في الفرنسي هذا

المجال وفي مجالات أخرى وأن تقيم ركائزها من أعيان المصريين في البلاد ومن المثقفين في السيطرة على التعليم والثقافة والصحافة .

وكان دنلوب أخطر العاملين في هذا المجال فقد استطاع أقصاء مسيو لامبير رئيس مدرسة الحقوق الفرنسية الجنسية ، كما عمل على إدخال رجال الارشالات البروتستانتية وغيرهم للتبشير في مصر .

وقد قاومت هذا النفوذ البريطاني طلائع من المؤمنين بأمتهم ودينهم ووقفوا في وجه النفوذ الغربي وكشفوا عن زيفه وإخطاره ولم يترددوا يوماً في هذه المواجهة بالرغم من كل محاولات النفوذ البريطاني لتثبيت نفسه وتأكيد وجوده

لقد حرص النفوذ الغربي (البريطاني) على القضاء على الرعيل الأول الذي واجه الاستعمار وقاومه ورفض التعامل معه في خط عمل ماكر خبيث دءوب أراد به تثبيت قواعد القانون الوضعي والربا والتعليم العلماني وفصل الدين عن الدولة وعمد إلى تخريج أجيال مبهورة بالغرب مؤمنة بالتعاون مع الإنجليز ثقافياً وإن كان هناك خلاف من وجهة النظر السياسية الظاهرة ، وكان الهدف هو فصل مصر عن الأمة الإسلامية والخلافة والوحدة الجامعة من ناحية وفصل مصر عن الفكرة الإسلامية التي تقوم على الشريعة الإسلامية والقيم الإسلامية في المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية .

(٢)

وجاهات مقاومة الاحتلال البريطاني من منبعين :

المنبع الأول : النبع الاسلامي الروحي الأزهرى الذى بدأ ينتعش ويتحرر ويخرج من القوقعة ، ويفسر في تحرير العقيدة وإحياء اللغة العربية وأداء الدور الصحيح لبناء الثقافة الإسلامية ، وقد قاد هذا العمل جمال الدين . وعبد هبده وتلاميذهم في الأزهر وخارجه وحسن الطويل وأبرزم إبراهيم الثقافى وشكيب إرسلان وعبد القادر المغربى ورشيد رضا والمراغى وعبد السلام المولىمعى وعبد الكريم سليمان وحسن عاصم وأبو خطوة وإبراهيم المولىمعى .

التيب الثاني : التبع الوطنى ، وهو تبع ملتزم بالوحدة الإسلامية الجامعة بهدف إلى مقاومة الاستعمار والنفوذ الأجنبى وخاصة استعمار بريطانيا ويعارضها معارضة ضخمة واسعة ، وفى مقدمة هذا التيار مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاورش وأحمد وفيقى وأمين الرافعى .

وقد كان هذا التيار أشد على الاستعمار من التيار الأول فى المعارضة ، بينما كان هدف التيار الأول بناء الانسان المسلم بعيداً عن مجال السياسة وتكوينه ثقافياً وتربوياً وهذا هو العمل الذى توفر عليه الشيخ محمد عبده الذى كان يرى أن أسلوب التربية هو الطريق الوحيد لتحرير هذه الأمة وبناء غدها وكان هدف الاستعمار القضاء على ثلاثة أمور .

١ - الوحدة الإسلامية : وقد اصطنع لذلك فكرة الجامعة العربية (على يوسف والسكواكبي) وفكرة الجامعة المصرية (لطفى السيد) .

٢ - اللغة العربية : وقد اصطنع لذلك واللكوكس ودعوته إلى العامية وولاء لطفى السيد وقاسم أمين لها ودعوتهما إليها .

٣ - التعليم العلمانى المفرع من الاسلام : وقد اصطنع لذلك سعد زغلول على خط دنلوب (مع بعض الظواهر الخادعة) .

٤ - الشريعة الإسلامية : وقد ركز فى ذلك على نظام المحاكم الأهلية والقانون الوضعى :

(٣)

محمد عبده وبناء المسلم تربويا

كانت دعوة محمد عبده ، عملية ، بناء على الواقع الذى عاشته مصر بعد الاحتلال فى ترمى فى الأساس إلى .

(١) تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه من يتابعها الأولى وهى الكتاب والسنة وفتح باب الاجتهاد .

(٢) إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرر سواء فى الخطابات الرسمية والمراسلات بين الناس وتحديد شباب الفصحى والعناية بأمرها .

(٣) محاربة الحرافات والباطل التى نسبت ظلما وزورا إلى الدين وتحريك رجال الدين من رقاهم لانهم مصايح الظلام .

(٤) الاتحاد العام أمام العدو الخارجى ونسيان الحرايات والخلافات الداخلية أثناء الخطر .

(٥) الاعتماد فى نهضة المسلمين على النهوض بالآزهر لانه - من الدين وعقل اللغة .

(٦) اعتبار الدين صديقا للعلم لانه لا موضع لتضادهما ، إذ لكل منهما وظيفته التى يؤدنها وهى حاجات البشر لاغنى لإحداهما عن الاخرى .

(٧) أن القرآن يجب أن يكون أصلا تحمل عليه المذاهب .

(٨) العناية بتربية الامة تربية خاصة وأنها مقدمة على العمل السياسى .

الفصل السابع

سعد زغلول: رائد التحول نحو التغريب

خرجت مدرسة الاستعمار البريطاني نموذجاً من القادة والسياسيين والحكام يختلف اختلافًا واضحًا وعميقًا عن نماذج القادة والسياسيين والمفكرين الذين عرفتهم الأمة الإسلامية إيمانًا بالله وتقديرًا للدفاع عن كلمة الله ودفاعًا عن العرض والأرض يتمثل في هؤلاء الذين حاربوه في مجال الجهاد الحربي أو السكفاح الوطني الإسلامي، والمعروف أن هذه المدرسة التي قاومت النفوذ الاستعماري في مصر عند دخوله عام ١٨٨٢ قد قاومها الإنجليز وحاربوها أشنع الحرب حتى قضوا عليها من أمثال مصطفى كامل وعبد فريد وعبد العزيز جاويش وأحمد وفيق وأمين الرافعي وهى الغاياتى وهن قبل قاوم الاستبداد عمر مكرم ومحمد السادات وعبد الله الشراوى وحسن العدوى وأبو العلا الحلفاوى ومحمد الإمببى. لقد كان الاستعمار حريصاً على صنع طبقة خاصة من المثقفين حمل كرومر على إعدادها ووعداً بأن تتسلم قيادة الأمة بعد خروج الإنجليز ووفى لها وكان أبرزها: لطفى السيد الذى قاد عن طريق الصحافة حركة الاقليمية المصرية المنفصلة عن العروبة وعن الوحدة الإسلامية وسعد زغلول الذى قاد حركة التعليم ومكن لغة الإنجليزية ومن قبل عمل على مدايقاز قناة السويس، وهادن الاستعمار وتعلمذ على كرومر كما تشهد بذلك مذكراته وكتابات المؤرخين المثقفين.

إن شخصية سعد زغلول تكشف عن مدى التحول في مفهوم البطولة والجهاد والسكفاح الوطني بالنسبة لاولئك الابرار الذين قدموا نبض قلوبهم وعصارة أرواحهم في سبيل تحرير الوطن وتصحيح الفكر والتماس الاصاله وإعادة بناء الامة على طريق الإسلام والحق أن الحركة الوطنية المصرية قد بدأت في أول الامر في إطار الجهاد الإسلامى ومن خلال مفهوم وحدة الامة الإسلامية التي وبطام القرآن وجمعها الإسلام تحت زعامة رسول الله ﷺ.

منذ بدأت محاولة النفوذ الاجنبى للسيطرة على هذه الأمة فإن صيحتها بالمقاومة كانت تحت راية الإسلام ولواء الجهاد باعتبار أن الأمة الإسلامية أمة واحدة وأن كل أرض هي أرضها .

ولكن هذا الاسلوب الجديد الذى طرحه النفوذ الاستعمارى للرعاية هو الذى حمل معه مفاهيم التجزئة الوطنية أو القومية أو الافليمية التى دخلت مع الزعامات التى صنعها الاستعمار ، فقد واجه الاستعمار أمة مؤمنة وزعامات تكافح فى سبيل تحرير أرضها ووطنها ولكنها تؤمن بالوحدة الإسلامية والارتباط العميق بين الأرض وبين منهج الله .

ولذلك فقد وجد الاستعمار من أمره عسراً فى المرحلة الاولى فقد واجهه قوم من القادة الغير الذين يتحركون فى جهادهم من داخل إطار المفهوم الإسلامى الجامع : وجد فى مصر أحمد حرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد ووجد فى تونس عبد العزيز الثعالبى ووجد فى ليبيا السنوسى وعمر المختار ووجد فى المغرب عبد الكريم الخطايبى ووجد فى الجزائر عبد القادر الجزائرى ووجد فى الهند أحمد عرفان ووجد فى القوقاز الشيخ شامل ووجد فى كل قطر عربى وإسلامى تلك الصفوة من المجاهدين الصادقين الذين يؤمنون بتكامل الدعوة إلى تحرير الوطن وإلى تحرير المجتمع ، ويرون أن المنهج الإسلامى هو وحدة الكفيل بإعادة بناء الأمة من جديد .

ولما كان النفوذ الاستعمارى يريد تثبيت إقامته وتركيز دعائمه فقد عجز عن التغام مع هؤلاء المؤمنين الصادقين بربهم ودينهم وأوطانهم وتآوهمهم شر مقاومة وعمل على تحطيمهم وتدميرهم ، إما بالسجن أو النفي أو الإباداة وأخذ فى نفس الوقت فى بناء زعامات جديدة داخل نطاق دائرة نفوذه ، زعامات تؤمن به وتستجيب له وتلتقى به فى منتصف الطريق وتتحرك فى إطار مفاهيمه أساسا ، ولا بأس أن تختلف معه خلافا ظاهراً ، مادامت هذه الزعامات تؤمن بوجوده وتعامل معه ، وتقبل سلطانه وتقر بتنفيذ قانونه الوضعى ونظامه السياسى وتخضع لمدوييه وتنفذ نصابه باعتبارها أوامر ، هذه التينة المسمومة التى صنعها النفوذ الاستعمارى فى أرض الإسلام ، إنما كان يعدها لتحكم هذه الاقطار

طويلا ، ولذلك فقد اختارها بنائية وكونها ورباها ومنحها القدرة على أن
تسكسب إعجاب الجماهير بالخلاف الفرعى معه ، ولكنها كانت في مجموعها من
صنع يده وصاحبة ولاء أكيد له ، ونحن حين ندرس تاريخ الحركة الوطنية في
العالم الإسلامى نجد هذه البدائل واضحة وقائمة وقد مهد لها الاستثمار وأجلى من
طريقها رجال الوطنية الإسلامية الحققة ، بالنقى والسجن والتشريد وفى مصر
نرى كيف استطاع الاستثمار من دخوله البلاد ١٨٨٢ إلى أوائل الحرب العالمية
١٩١٦ أن يتخلص من هذه الجماعة للسلب الوطنية الصادقة الإيمان بالعمل
عن طريق الجهاد والمقاومة وفق أسلوب الاسلام ، لأنها أخطار عليه وأخطار
على بقائه ، وهى حائل دون نشر مفاسده وسوءاته وسمومه وغزوة الفكرى ولذلك
فسر هان ما حاصر هذه الجماعة وقضى عليها واستطاع كرومر فى خلال خمسة
عشر عاما أن يخرج جيلا جديدا من المنفردحين أولياء النفوذ الاستعمارى القابليين
بالوجود البريطانى الذين يؤمنون بأسلوب المناورة والمفاوضة والتفاهم مع
الاستعمار مع التقبل والإعجاب والتقدير لأسلوب الليبرالية الرأسمالية الديمقراطية
الغربية ، والنقل من نظامها السياسى والاجتماعى والاقتصادى أى بمعنى أوضح
المخضوخ لأسلوب العيش الغربى ، : الأسلوب الرئوى فى الاقتصاد والليبرالى فى
السياسية والعلمانى فى الاجتماع والتربية ومن خلال هذا المخطط خرج لطفى
السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهى فى هذا الجو الذى غام على مصر بالاحتلال
وفى مواجهة الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل وعبد فريد صنع الاستثمار
اتباعه أورجائه ، وكان تعيين سعد زغلول ناظرا للمعارف هو إيدان بتجارب
خطة كرومر فى تسليم القيادات الفكرية والتعليمية إلى أولياء النفوذ الأجنبى
ولقد حارب سعد زغلول الحركة الوطنية منذ يوم أن تولى الوزارة وقدم زعيم
الأمة (عبد فريد) وهو وزير للحقائبة إلى المحاكمة وانسحب من مشروع
الجامعة ، وستوخ جعل التعليم باللغة الانجليزية ورفض طلب الجمعية العمومية
بإستبداله بالعربية وقال : إننا إذا جعلنا التعليم باللغة العربية أسأنا إلى بلادنا
إتساءة كبرى ، وكانت هذه أولى خطوات اندماجها فى صفوف الاحتلال ،
وقال مصطفى كامل : إن الناس قد فهموا الآن بأوضح مما كانوا يفهمونه
لمنادا إختار كرومر لوزارة المعارف صهر رئيس الوزراء مصطفى فهمى

الأمين على وجه الخادم لسياسته وفهموا لماذا قامت الصحافة الانجليزية والصحف
المتحيزة للانجليز وذرت الدماء في العيون : قائلة أن الوزير الجديد من الحزب
الوطني في حين أن كل شيء من أحواله وشئونته يدل على شدة ميله إلى
السلطة .

ولقد كان لإبراز سعد (في المعارف) ولطفي السيد (في الصحافة) على
هذا النحو كبتا وحجبا لأولياء الحركة الوطنية الاصلاح الذين كانوا يزعمون
الانجليز في المطالبة بالجللاء وينكرون المفاوضة معهم ، ولقد قدموا هذا الجيل
وسمحوا له بالظهور بعد ثورة ١٩١٩ فكان سعد زغول وأعوانه الذين آمنوا
بالتفاهم والصدقة الانجليزية هم الخصوم الشرفاء المعقولون ، وكان سعد
الذي حارب الحركة الوطنية أيام محمد فريد بتقديم فريد للمحاكمة وإعادة قانون
المطبوعات القديم بعقوباته الشديدة على كتاب الوطني هو زعيم هذه الامة .

ومن هنا ظهرت فكرة (الوفد) من أولئك الذين ذهبوا لمقابلة
المعتمد البريطاني (سعد زغول - عيد العزيز فهمي - على شعراوي)
في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ .

لقد كانت تصريحات هؤلاء الزعماء هي جواز المرور لهم إلى الحياة
السياسية فقد أعلنوا ولائهم الكامل لبريطانيا وأعلنوا نبؤهم من الحزب
الوطني وأكدوا أنهم من جماعة حزب الامة الذين قبلوا الصداقة مع الانجليز
ولقد كان تصريح سعد زغول هو أشد هذه التصريحات ولاء وخصوصا
للانجليز : وتقديم قناة السويس ضمانا كاملة للانجليز لما حق احتلالها .

وبذلك نجح سعد زغول في امتحان الزعامة والقيادة وقدم مصر
للانجليز لقمة سائغة تحت اسم الاستقلال ، وهو الاسم البراق الخادع الذي
استعمل بدلا لسكة الجللاء ، التي كان يستعملها الحزب الوطني والواقع أن كل
ما قدمه سعد زغول إلى السادة الانجليز لم توكله الامة فيه . وما كان الامة
أن تطلب هذا مطلقا ، ولو طالبت هذا لتمكن تحقيقه بأسهل الأساليب
وبدون ملاقاة للدماء وتضحية الشباب ، ومعنى هذا أن سعد زغول قد

قتل روح النهضة التي أنشأها الرعيل الأول من المجاهدين سواء في المجال الوطني .
أو في المجال الاجتماعي وحل إنما خطيرا ثم أول من حول مفهوم الوطنية في العالم
الإسلامي من صيغته الإسلامية متمثلا بالجهاد الذي دعا إليه الإسلام إلى المفهوم
الغربي الوافد القائم على المفاوضات والتفاهم وقبول الأمر الواقع والتنوع
والذلة للمستعمر وبذلك كان وليا لخصوم الإسلام وموازرا للنفوذ الاجنبي
وحاميا للمحاذير والمخاطر التي وقع فيها الوطن الإسلامي بتعطيل شريعته
وغلبه المصارف الربوية والقانون الوضعي وأسلوب التربية العلماني والتعليم
الغربي عليه .

لقد كان سعد زغلول هو الذي كسر منهج المجاهدين المسلمين في مقاومة
الاستعمار وحطم خطة المجابهة والمواجهة والاستمساك بمنهج الإسلام في
الجهاد والحكم وبناء المجتمع ، فجاء هو - وهو الذي درس في الأزهر -
لينحو بالبلاد (نحو التغريب والتفريط وقبول الأمر الواقع والاستسلام
مع المحتل والتعاون معه والانهيار بالفسكر الغربي ورفض مفهوم الإسلام في
الوحدة الجامعة وتطبيق الشريعة وبناء المجتمع على أساس الحدود الإسلامية ،
وبذلك فقد سن هذا الاتجاه الخطير الذي قام عليه الحكم السياسي في مصر
حتى نهاية عصر الملكية .

إن سعد زغلول يحمل أثم أول من حول الوطنية في العالم الإسلامي
من مفهوم الإسلام إلى المفهوم الغربي الوافد وأنه كان وليا لخصوم الإسلام
ولاعداء الدين وأنه آزر النفوذ الاجنبي ولواء وصدافه وإعجابا .

سعد زغلول وطه حسين

مقدمتان للماركسية والعلمانية والمذهب المادى

كانت المدرسة السياسية التي قادها سعد زغلول قد حطمت مفهوم الوحدة الجامعة بين الإسلام والوطنية وانبعثت العمل الوطنى من الإيمان بالإسلام ومن خلال مفاهيمه الجامعة وإحلال مفهوم جديد غرق يقوم على أساس تضيق دائرة الوطنية وفصلها عن الإسلام نهائيا وقيامها على أسلوب الصراع والهجوم والمناورة مع استعمار النفس أمام الغاصب والإعجاب به والتسليم له ، والخضوع لوجهة نظره .

ثم فتحت هذه المدرسة السياسية ، الباب أمام المدرسة الفكرية الخاضعة لالتغريب للغرب فى الثقافة والتعليم والتربية والإعجاب بأسلوب حضارته وقيام المدرسة على أساس علمانى تفرغ من الدين جملة ومن مفهوم الإسلام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى .

وهو التيار الذى حمل لوائه لطفي السيد وجماعة جريدة السياسة (هيكل وطه حسين وعمود عزمى وعلى عبد الرازق) ومعهم سلامة موسى والعقاد وهى ما تسمى المدرسة الليبرالية فى الفكر ، والممتدة بعد ذلك فى لويس هورس ومصطفى أمين وهم دعاة الديمقراطية .

وفد وضع دعاة مدرسة التغريب هذه القواعد التى خرجت بالفكر الإسلامى عن أصوله ومنهجه الواضح وطريقه الاصيل بحيث استطاع الفكر الغربى أن يفتح ثغرة فى جدار الفكر الإسلامى تسرب منها فيما بعد الفكر الصهيونى والفكر الماركسى ولشأت المدرسة المادية الاشتراكية والوجودية والفرويدية وهى نتاج النظرية المادية أساسا وهى التى التى أفسح لها صعد الناصر وجودا قويا مدعما فى الصحافة والاعلام خلال مدة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ .

وقد قاده دهاشم المدرسة التغريبية فى الفكر على الأسس الآتية :

أولاً : الدعوى الباطلة بين الإسلام دين روى لاصلة له بالمناهج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأنه قاصر على العبادة والمسجد والصلاة والصيام ، أما أنظمة المجتمع فإنها تؤخذ من الغرب ومن الفكر الغربي بدعوى أن الإسلام ليس له علوم سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وفي تنكر بالغ بالمناهج الإسلامية التي عرفها العرب .

ثانياً : إنكار دور الإسلام في بناء الحضارة العالمية وتقديم المنهج العلمي التجريبي بدعوى أن المسلمين أخذوا منهج اليونان وفلسفتهم وأقاموا عليها حضارتهم وهي دعوى مبطللة كاذبة ، كشف زيعها علماء منصفون من الغرب نفسه .

ثالثاً : الفصل بين الأدب العربي وبين الفكر الإسلامي وإعطاء الأدب حرية في الانطلاق في البعد عن الجنس والشبق والاباحيات والكشف وإعلاء هذا الجانب من شعر أبي نواس ، وإعلاء روح التلمذية بإحياء ابن المقفع وإحياء الفكر الوثني الصوفي المتمثل في ابن عربي والحلاج .

رابعاً : الدعوى العريضة الكاذبة بأن المسلمين أقاموا الفكر الإسلامي على مناهج اليونان (أرسطو وأفلاطون) في الماضي ولذلك فلا يمنع أن يقوم الفكر الإسلامي الحديث على مناهج الغرب : دور كايم وواجست كونت وغيرهما .

خامساً : إعلاء مفهوم الغرب في الجبرية التاريخية ، وهي التي تُلغى الإرادة الفردية ، وأخلاقية الحياة ، ومحاولة الإحصاء بأن الأخطاء تنسب إلى المجتمعات وليس إلى الأفراد .

سادساً : تصور أن الإنسان مجموعة من الفتوى المادية تحكمه رغبة الجنس والمعيش في إطار مذهبي فرويد وماركس ، وأنه خاضع لهذه القوى وأنه يمكن محاكمته على أساس المذاهب التجريبية ، بينما أن العلوم الإنسانية لا يمكن أن تخضع لهذا المنهج المادي لأن هناك جانباً آخر لا تعترف به الحضارة الغربية وهي الروح والنفس والمعنويات .

م - طريق النهضة

سابعاً : إثارة روح الشك المؤدية إلى الإلحاد ، وروح الإباحة المؤدية إلى الانحراف الخلقي .

ولقد كان التركيز على هذه المعاني مقدمة لسيطرة المذهب المادى الذى حمل لوائه الماركسيون فى عهد عبد الناصر ووجد طريقه تحت تأثير هذا التمهيد الذى قدمته مدرسة طه حسين .

وقد يتبين من بعد أن النظرية المادية مسيطرة على كلا الفكرين : الفكري الفيرالى الغربى والفكر الماركسى أو الاشتراكى .

ومن هنا فقد حرصت القوى السياسية فى عهد عبد الناصر إلى تدريس النظرية المادية للشباب فى نطاق التنظيمات السياسية : التنظيم العلمى والمعهد الاشتراكى وغيرهما وذلك لتزكين مفهوم الماركسية فى هذه النفوس والعقول ، غير أن حق الإيمان بالإسلام كان مانعاً وحاجزاً دون تقبل العقل المسلم والنفس المسلمة لهذه المفاهيم بل ولم يلبث أن انفجر مع نكسة ١٩٦٧ تيار إسلامى قوى تحت اسم « العودة إلى الله » .

ولقد أدى هذا الأسلوب التفریبى الذى بدأه سعد زغلول وعمقه طه حسين وطبقه عبد الناصر إلى جملة أمور :

(أولاً) إلى : إزاعة الزيف والخداع والتضليل والاستعلاء بالباطل والإعجاب بالهجماء والتلبیس على الحق وعلى ضوء الإسلام الساطع بمفاهيم زائفة خادعة .

(ثانياً) إلى : خلق جو من السطوة ، على الفكر الصحيح وإعلاء أصحاب الفكر الزائف وإفساد أخلاقيات الحياة الجامعية والعقلية .

(ثالثاً) إلى : خلق روح الوصولية والثقافية والحقْد وسحب كلّة الحق وتدافع اليأس نحو المظالم بوسائل الخيانة والانتقام والحطّاف حتى فسد المجتمع فساداً هيقاً فى جانب المعاملات بين الناس ، وضمرت روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغلب أصحاب الرشوة والفساد والظلم واستحجب أصحاب الحقائق والدين من مفكرى الحياة .

الفصل الثامن

التبعية بعد الحرب العالمية الأولى

جاءت الحرب العالمية الأولى كنقطة تحول في خطة الاستعمار والنفوذ الأجنبي . فقد كانت الفرصة قد أوفت لتزريق الدولة العثمانية التي وقفت في وجه الغرب حامية للعالم الإسلامي أربعمائه عام والتي توالى المؤامرات عليها منذ قرون طويلة بهدف تمزيقها . وقد جاءت الخطة مرتبة على أساس إفامة رأس جسر للصهيونية في البلاد العربية في فلسطين تحت اسم وعد بلفور الذي مكن لهجره شتات اليهود من أوروبا إلى فلسطين وكانت الخطة قد عرضت على السلطان عبد الحميد فوقف في وجهها بشدة وصلابة وكانت من أسباب اسقاطه ، كما كانت الخطة ترمي إلى اسقاط الخلافة الإسلامية وتمزيق شمل المسلمين وإذاعة دعوى الاقليات والقوميات لآحياء تاريخ ما قبل الاسلام من الفهرورية والفينيقية والاشورية والبابلية وإغراق المسلمين في نظم إقليمية وإحياء عنصريات قديمة تفصل بينهم .

وقد وضعت الخطة لتقسيم البلاد العربية بين فرنسا وانجلترا .

وقد ظهرت وثائق جديدة أثبتت أن تجزئة البلاد العربية لم تكن وليدة الحرب العالمية الأولى وإنما كانت الدول الأوروبية قد رتبها خلال سنوات من قبل ذلك وبالأذات من سنة ١٩٠٦ - ١٩١٤ أخبر بذلك رشيد الخالدي في كتابه (السياسة البريطانية في سوريا وفلسطين) .

وتعود أسباب ذلك إلى ضعف الدولة العثمانية ذلك الضعف الذي دفع الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا ألمانيا وروسيا) إلى اقتطاع أجزاء من أراضيها ثم تم التفاهم بينها على مناطق النفوذ التي تحتص كل واحدة منها في الأراضي التي بقيت للدولتين في آسيا .

كذلك فإن المؤتمر الذي عقد في بريطانيا ١٩٠٧ المعروف بمؤتمر (برمان) كان قد عرض للنظر الواقع على الغرب وسقوط حضارته وبروز وادث قوى هو الأمة التي تسكن جنوب البحر الأبيض المتوسط على قارتي إفريقيا وآسيا وقد اتفقت الآراء على وضع جسم غريب بين القارتين يحول دون وحدتها . ومن هنا تركز العمل على تمكين الصهيونية من فلسطين بوصفها الجنس الغريب المازل المعوق لهذه العرب والمسلمين .

وقد حققت الحرب العالمية للنفوذ الأجنبي عدة غايات :

أولاً : القضاء على استقلال هذه الأمة وقدرتها على إمتلاك إرادتها وبذلك حجب عن شريعتها الإسلامية أساساً .

ثانياً : القضاء على الوحدة الإسلامية النامية تحت لواء الدولة العثمانية (العرب والترك) والتي كانت تتجه إلى جمع لواء المسلمين تحت سلطان الخلافة .

ولكن الحركة الوطنية التي كانت تحمل طابع الإسلام في الدفاع عن الأرض وعن العرض والتي كانت تستمد مقوماتها من مفهوم الجهاد ومقاومة الغاصب وعدم قبول تعدى الأجنبي ورفض ولاية غير المسلم ؛ كل هذا كان هو المصدر الحقيقي للثورة المصرية ١٩١٩ التي ورثها سعد زغلول وجماعة السياسيين المحترفين الذين تولوها من بعد ، فقد كانت ثمرة مفاهيم عمر مكرم وأحمد عرابي ومضطفي كامل ومحمد فريد وحيد العزب جواهرش في الحرية وكان الأزهر هو القائد الحقيقي لهذه الثورات الثلاث : الثورة ضد الفرنسيين وثورة عرابي وثورة ١٩١٩ فبى ثورات إسلامية وإن تلتها النفوذ السياسي الذي أوجده الاحتلال البريطاني .

ولقد كانت تجربة النظام السياسي الديمقراطي المقتبس من الغرب والتي نسبته مصر من خلال نظام الأحزاب والانتخابات تجربة فاسدة لم تحقق الأهداف الحقيقية . وكانت البلاد تتطلع إلى العودة إلى أصول فلكها ومنهج شريعتها وحياتها .

وكانت الضربات التي توالى عليها بالغة الخطورة :

- (١) الاحتلال وسيطرة النفوذ الاجنبي والحكم عن طريق أعوانه .
- (٢) سقوط الخلافة وتمزق الأمة الإسلامية إلى وحدات صغيرة .
- (٣) غلبة الدعوة إلى الفرعونية والمصرية وحجب مفاهيم القرآن والتاريخ الإسلامى .

وكان التصور بعد الحرب العالمية الاولى أن تأخذ الدول حريتها وحقها فى بناء مجتمعاتها ولكن النفوذ الاستعماري أضاع ظاهرياً من سلطانه ، وغير الاسماء من وصاية واحتلال إلى استقلال ذاتى ، وبقي يحكم من وراء نفوذ أولئك الزعماء المتصارعين على السلطان والخاضعين لنفوذه وفى أبان هذه الفترة - فترة ما بين الحربين - تحققت بعض الخطرات التي فتحت الطريق أمام الفكرة الإسلامية لتصبح عقيدة يؤمن بها من أحسن بهزيمه السياسية والحزبية وفساد النهج الذي قامت عليه ، ولقد كان سقوط الخلافة عاملاً من نفوس المسلمين أزاء هذه الامانة الغالية ، فلما تأمرت الدول الاستعمارية عن طريق التبشير وإنشاء الجمعيات التبشيرية ومدارس الارساليات وتوسع هذه الخطة كان على المسلمين الثيوريين أن يواجهوا ذلك ببناء الجمعيات الإسلامية فظهرت الشبان المسلمين والهداية الإسلامية ، والرابطة الإسلامية ومكارم الاخلاق والإخوان المسلمين والانصار وشباب محمد وعشرات الجماعات التي حملت لواء التوجيه الإسلامى لمقاومة التبشير والغزو الفسكرى ، وكانت قد تكشف بعد عشر سنوات من ثورة ١٩١٩ فساد الوجهة التي جرت عليها الاحزاب السياسية بصراعاتها وتمرقها وأسلوبها في الهجاء وتقسيم ولائها بين القصر وبين الاستعمار ، وتطلع الناس إلى روح جديد ، إلى مفهوم جديد ، إلى هدف جديد هو بناء جيل من الشباب المستقيم على مفهوم الإسلام الصحيح فقد كانت دعوات جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا قاصرة على النخبة المثقفة ، وعلى مجموعة الصفوة من العلماء ولكن الامر أصبح سيئاً للخطوة الجديدة ، هذه الخطوة التي قامت بها الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة ودعمت أسسها وقواعدها على أساس

« تربية جيل ، يفهم الإسلام على أنه دين ودولة وعبادة ونظام مجتمع ، وأول ما يتطلع إليه أن تعود الأمة الإسلامية إلى العمل والحكم وبناء مجتمعات تحت لواء الشريعة الإسلامية التي عطلها النفوذ الأجنبي وحجبها وفرض القانون الوضعي ونظام الرأسمالية والتخطيط السياسي الديمقراطي الوافد والتعليم العلماني وقد نما هذا البناء واتسع نطاقه وضم عشرات من الشباب المثقف المسلم في ميادين دراسات القانون والتجارة والطب والاقتصاد والأدب والاجتماع حيث مضى كل منهم في طريقه يبحث عن موقف الإسلام ومفهومه ، ويرد مفهوم الفكر الوافد في محاولة للبحث عن الاصل والتأصيل المنابع ودعوة الأمة إلى طريق الله الحق ، حتى علا صوت الاسلام ونما واقتحم الجامعات ونشر شعاعه إلى إفريقيا والشام والعراق وأسيا فعلا صوت الدعوة إلى الله وحقق نتائج واسعة عميقة في بناء العقل الاسلامي الجديد واستطاع أن يقاوم حملات التشكيك والتشهير والاستشراق ويرد على الشبهات ويدحض فكرة التغريب ويعمل عمه في تقديم ما عجزت عنه المناهج التعليمية والمدرسية والثقافية ونشأت صحافة إسلامية جادة تحمل لواء الدفاع ، المقدسات وتحرير الوطن وتصحيح المفاهيم على نحو بالغ الأهمية والخطورة كاشفة عن أوكار الاستعمار والصهيونية والنفوذ الأجنبي مجددة صفحات تاريخ الإسلام ، حتى تهيأت الأذهان إلى إيمان راسخ بأن نهاية الحرب العالمية الثانية التي أعلنت دول الغرب على أنها ستحقق حق تقرير المصير لأهلهم ، لابد من توجه إلى امتلاك الأمة الإسلامية لأراضيها وإزاحة نفوذ المستعمر وأعوانه ، وتقديم تلك الصفوة المؤمنة لتأخذ مكانها في قيادة المسيرة :

ولكن الأمر كان على غير ما تطلع إليه المصلحون ، فقد كان سقوط الخلافة الإسلامية مقدمة لتوسع النفوذ الصهيوني الذي استطاع بالحرب العالمية الثانية أن يحقق وجوده على رأس جسر في فلسطين ، وكانت المصادمة الأولى التي كشفت عن قوة الدعوة الإسلامية على نحو دفع القوى الغربية إلى المساعدة بتصفيتها والقضاء عليها .

وإذا كان النفوذ الغربي والاستعمار قد استطاع بالحرب العالمية الأولى :

القضاء على الخلافة الإسلامية وتمزيق وحدة العالم الإسلامي فإنه استطاع
بالحرب العالمية الثانية إقامة إسرائيل والقضاء على وحدة العالم العربي ،
في الأولى أزاح النفوذ الاستعماري قادة القطة العربية الإسلامية
وقدم رجاله وفي مصر أزاح الحرب الوطني وعبد العزيز جاويز ووضع
لطفي السيد وسعد زغلول وفي الشام أزاح شكيب أرسلان ورشيد رضا
ومحمد الدين الخطيب ودعاة العروبة المرتبطة بالإسلام ووضع قادة المصح
ورجال الجامعة الأمريكية (نبيه فارس وميشيل عفلق وقسطنطين دزيق) .
كذلك في الحرب العالمية الثانية كانت الخطوة مرتبة لسيطرة رجال من
الجيش على الحكم في جميع أنحاء العالم الإسلامي وفي مقدمته باكستان
وسوريا ومصر والعراق .

ولم يكن هناك خطر على الأمة أبان الاحتلال فقه كانت القوى كلها مجندة
للمقاومة ولكن بعد الاستقلال جاءت مرحلة التراخي والترف والاستسلام
ومنا تضاعفت حركة العدو ؛ الذي انتقل من مرحلة الغزو السياسي
والعسكري إلى مرحلة الغزو الفكري والثقافي ، لقد كان خلال مرحلة
الاحتلال يستعد لمرحلة ما بعد الاستقلال بإعداد قواعد التي يتطلق منها :
المدرسة ، الإرسالية ، الصحافة ، الثقافة ، المسرح ، السينما ، اليوم أصبح
كل هذه القوى في يده .

والحكم الوطني بعد الاستقلال كان ولائه الفكري غريبا ولأن بدا أنه
خضع للاستعمار سياسيا ولذلك فهو لم يراجع ما صنعه الاستعمار في
بلاده ولم يغير من سير الاتجاه والتوجيه منها وسلك نفس طريق الاستعمار
قبله ، في إخلاء الواقع الاجتماعي من الإسلام ، فقد أكد العلانية في
عمل الدين من الدولة ، فأبعد عن التعليم ، والتشريع ، وأضعفه
معاهده ومؤسساته والغى المحاكم الشرعية وسوى هذا الحكم الوطني في بعض
الاجتماعات الإسلامية بين الرجل والمرأة في الميراث وقلبه الكتل في فيرد
الزواج والطلاق وأتاح الفرصة للدولة في أن تبارك زواج المسلمة بنهر

المسلم بيننا عند البعض الآخر إلى رفع القرآن كلية ووضع مكانه الاشتراكية
الليبرالية لكارل ماركس وماوتسي تونغ وهناك من مسح الأحوال الشخصية في
الإسلام، وأعلن الكثيرون منهم تمجيد مصطفى كمال أتاتورك والسير على
خطاه ، وتقديم فهم خاص للإسلام يختلف عن مفهومه الصحيح .

لقد سار الحكم الوطني على القواعد التي رسمها المستعمر وثبتت بها
ولم يحاول أن يعدل من هذه الأنظمة بما يتفق مع قيم الأمة وتراثها
وهويتها وذلك لأن أغلب هؤلاء الحكام لم يكونوا مؤمنين بأن الإسلام له
نظام قادر على العطاء .

الفصل التاسع

الخروج من التبعية

بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي خلال انحسار هوجة الاستعمار الغربي (الفرنسي والبريطاني) عن البلاد العربية ، واجه العرب والمسلمون : القومية الصهيونية وتغير نظام الحكم في أغلب البلاد العربية لمواجهة لفلسطين ، وغلب عليها النظام العسكري ، نظام الحزب الواحد العسكري ، والذي حمل معه مفهوم القومية العربية المفرطة من الاسلام ، ومزيد من التبعية للعلانية الغربية ، ثم ظهر ولاء جديد للصهيونية ، وتقامت العالم الاسلامي أنظمة مختلفة ، بعضها ذات ولاء غربي ، وأخرى ذات ولاء شيوعي ، وكانت المحاولة تهدف إلى مواجهة الصهيونية ، التي هزمت العرب في حربين : حرب ١٩٤٨ التي استطاعت بها أن تقسم الدولة وحرب ١٩٦٧ التي استطاعت بها أن تستولي على القدس .

وأفادت حركة التغريب من مرحلة النفوذ العسكري والثوري وانحصرت أمامها الآفاق أكثر مما كانت في أيام حكم الاحتلال والأحزاب ، كانت الضوابط الأولى هي الرأب والقانون الوضعي والتعليم العلماني والديمقراطية الليبرالية .

أما الضربات الجديدة فكانت أشد عنفاً : كانت : القومية ، ذات المفهوم العلماني والاشتراكية ذات المضمون الماركسي والحرية ذات المضمون المنحدر من قيم الأخلاق وفي ظل هذه المرحلة لم تكن هناك نافذة واحدة مفتوحة لمواجهة ما طرحه هذه الدعوات من ماركسية ووجودية والحادية ومادية .

وكان للخلاف التي وقع بين القائمين على الدعوة الاسلامية وبينه المسيطون على الحكم أثره في حجب الكلمة الاسلامية وتخوفها وانكماشها ، وكل ذلك انفساحاً لدعاة الماركسية وأهوائهم ومنظمتهم . وكانت فرصة النفوذ

الغربي بالماركسية أشد من فرحة الشيوعيين بها فهي عامل مدم للأمة يحرقها فرقا جديدة أكثر مما هي عزة .

وتفشيت بعد الحرب العالمية الثانية موجة من الإلحاد والنزعات الاقليمية والقومية المفرغة من مفهوم الاسلام إلى موجات من الاشتراكية والوجودية والفرويدية .

ولكن لم تلبث تلك ١٩٩٧ أن أعادت الوضع بأن الحركة كانت نتيجة الانحراف عن منهج الله وكشفت عن أن كلا المذهبين الغربيين الوافدين في تحرير الرأسمالية والديمقراطية بعد الحرب الأولى وتجربة الاشتراكية والماركسية بعد الحرب الثانية ، وقشل كلاهما عندما أعلن الوجودان الاسلامي العربي رفضه لكلا المنهجين بعد أن اكتشف أن كل منهما هاجم عن العطلة النظام الذي قدسه الاسلام : نظام الروح والمادة معاً ومن ثم فقد تبينته الأمة في كل أجزاء العالم الاسلامي بأن تحرورها وقدرتها على امتلاك إرادتها يتطلب أن تصدر عن منهجها الاسلامي الاصيل وبذلك تكشف فشل التجريبتين والمذهبين .

ومن هنا فقد كان لا بد لحركة البقطة الاسلامية من أن تواجه جميع القضايا والمفاهيم والايديولوجيات المطروحة في أفق الفكر الاسلامي وأن تكشف موقف الاسلام منها وأن تدخل مرحلة جديدة هي مرحلة الرشد الفكري والاعمال والقدرة على امتلاك الإرادة من أجل بناء الحضارة الإسلامية الجديدة المتجددة على أساس قاعدة القرآن الصلبة الجامعة بين المادة والروح والقلب والعقل والدنيا والآخرة .

لقد بدأت المواجهة مع الفكر الغربي منذ وقت باكر ، بعد قليل من أبحار دفاع رافع الطمطاني وخير الدين التونسي للحضارة الغربية وهو انهيار محدود : متحفظ قوامه الاحساس بأن القانون الفرنسي له ملامح من المذهب المالكي والفريضة الاسلامية .

ومن هنا فقد جاءت فكرة أن الاقتباس الاسلامي عن الغرب إنما يستمد من مصادر جاءت من الاسلام أساسا ولكن غاب عن هؤلاء حقيقة أساسية وهو أن الغرب حين نقل فسر الاسلام لم يقله بمنهومة الجامع وإنما فصل فيه من الفكر والتطبيق وبين الروح والمادة ، وثانياً فقد صاغه في إطار الفكر اليوناني والروماني وبذلك زالت عنه أكبر علامات استقلاله وذاتيته الجامعة.

والمعروف أن خير الدين التونسي والعلمطاوي - وهما رائداً الفكر الاسلامي إلى الغرب في هذا الوقت المبكر يدعوان إلى النهضة على أساس غربي محض ، كما هو واضح في كتاب (أقوم المسالك) الذي يدعو فيه التونسي إلى إنهاء شركات وبنوك على النمط الغربي كما يدعو إلى حياة نيابية بين على نمط غربي وهو في هذا شبيه برقعة العلمطاوي .

ولكن هذه التبعية الظاهرة جاءت بسبب غيوم المؤامرة التي كانت تدبر والتي لم تسكن قد تسكّشت معه ، والتي ظهرت في المرحلة التالية عندما اكتشف جمال الدين الأفغاني مذهب الطبيعيين (النيشيرية) ومحاولات بريطانيا في الهدم عن طريق أحمد خان ، وقد جاء في أثرهم القادياني والقاديانية .

فقد واجه جمال الدين هذا المخطط ولعله لأول مرة في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث بالرد الحاسم ، وهذا هو الخط الذي سار فيه محمد عبده في معركتين :

فما معركته مع دوق دراكور ، ومع فرح أنطون ومنهما واجه الشبهات التي كان قد بدأ التفوذ العربي أنارتها من قبيل التشكيك في القيم والتاريخ الإسلامي فهد واجه موقف كتابي الغرب في مهاجمتهم للحضارة والتاريخ الاسلامي في الرد على داركور ومع فرح أنطون كشف عن مزية الاسلام على سائر الاديان من خلال المساجلة التي دارت حول فلسفة ابن رشد تحت عنوانه (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .

ومنها كشف الشيخ محمد عبده عن حقائق الاسلام الاساسية :

أولاً : النظر العقلي الصحيح وسيلة للإيمان (في مواجهة الإيمان بنهر العقول .

ثانياً : تقديم العقل ظاهر الشرع عند التمازج .

ثالثاً : البعد عن التكفير ، فإذا صدر القول من قائل يحتمل الكفر من فائدة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حل على الايمان .

رابعاً : قلب السلطة الدينية والاثبات علماً من اصلها (وذلك في مواجهة ما عرضه الغرب من الحكومة الثيوقراطية) .

خامساً : مودة المخالفين في العقيدة (وذلك في مواجهة شبهة التفريق بين أصحاب الأديان) .

سادساً : الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة (وذلك في مواجهة فكرة ترك الدنيا) .

سابعاً : عدم الانخفاج بحال المسلمين اليوم ، وإن حال المسلمين هذا هائض عرض لهم وطبيعة الاسلام والجمود عليه تزول بالرجوع إلى كتاب الله ثامناً : الإسلام هو الذي أدخل أوروبا في الحضارة ، وأعلن التسامح مع الدين المسيحي .

ومن مساجلات جمال الدين ومحمد عبده لشبهات الفكر العرق انفتح هذا الطريق الذي سار فيه من بعد محمد رشيد رضا وفريد وجدي ومصطفى الغلايين وعلى يوسف في الرد على شبهات كرومر عن الاسلام وويلكوكس من اللغة العربية وغيرهما من التاريخ الاسلامي والرسول .

وقد قام بالدور الواسع في هذا المجال صاحب المنار (رشيد رضا) ومن بعده صاحب الفتح (عبد الدين الخطيب) فقد كانت هذه الفترة (فترة ما بين الحربين) مع اضطراب الفترات التي مررت على الفكر الاسلامي وحملات التبشير والاستشراق والاستعمار وقد بدأ في أول الامر أن محمد عبده يقود مدرسة في اليقظة والاصالة على وضوح الرؤيا أمامه في منهج يطلق عليه « الإصلاح » ، وبقيمه على أسلوب التربية وقد بدأ ظاهر الامران سعد زغلول ولطفى السيد هما من تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده ولكن الأمور ما لبثت أن كشفت عن تحول

واضح في خطتهما نحو منهج التغريب الذي قاده كرومر والذي وضع الصحافة والثقافة والتعليم منهج جديد مفرغ من الاسلام وهو المنهج الذي وضع ذلك الجيل الذي دخل الجامعة وكله الآداب في أول افتتاح الجامعة المصرية ١٩٢٥ (وقد قام بالدور الأكبر فيه الدكتور طه حسين) ومدرسة السياسة (هيكل وعلى عبد الرازق ومحمود عزمي) وغيرهم.

ولا ريب أن كتابات لطفي السيد ومخططات سعد زغلول تكشف عن تجاوز كبير للنبع الذي صدر منه. وعن مفاهيم جمال الدين ومحمد عبده ومما كانت كتابات كرومر عن محمد عبده وحزبه فإنه ما كان يقر هذا التحول الذي وصلا إليه الرجلان الذين أسلمهما كرومر مقادة الصحافة (لطفي السيد) والترقية (سعد زغلول) ومفاهيمهما هي مفاهيم كرومر وخطتهما هي خطته.

ومما في هذا يختلفان عن تلاميذ آخرين من نفس المدرسة لم ينحرف بهم الخط: أمثال رشيد رضا ومصطفى عبد الرازق وفريد وجدي، والمراغي وغيرهم ومن أمثلة ذلك أن طه حسين كان يدعي أنه من تلاميذ محمد عبده، ولكنه عندما صنع في فرنسا وعاد أعلن مخالفته لمذهب الشيخ الإمام ومعارضته لسكثير من مفاهيمه وحمل لواء التغريب الذي شق العصا عن خطة الإصلاح والتجديد الذي كانت مقاليدها قد انتقلت إلى المنار.

ومن هنا فقد حمل رشيد رضا لواء المواجهة والدحض للمدرسة التغريبية الجديدة التي كان وكرها في جريدة السياسة ودار الهلال والأهرام والمقطم، والتي كانت تتمثل في عديد من أمثال سلامة موسى وعلى عبد الرازق ومحمود عزمي، كذلك فقد حمل فريد وجدي لواء الدفاع عن الإسلام في مواجهة الموجه المادية الفلسفية التي كانت قد احتاجت البلاد العربية والإسلامية.

وعندما ظهرت الفتح عام ١٩٢٦ وجمعيات الشبان والاعوان ١٩٢٧، ١٩٢٨ وصحفها (النير والاحوان) -بالإضافة إلى المنار الذي استمر إلى عام ١٩٣٥ عملوا على مواجهة حملات التبشير الماسفة التي اجتاحت البلاد في مواجهة جمعية الشبان

السبحة وإخوان الحرية ونوادى غربية تحت أسماء غربية وماركسية باكره ، وفي مواجهة كتابين خطيرين هما الشعر الجاهلي لطلح حسين والإسلام وأصول الحكم لطلح عبد الرزاق وكانت المواجهة من الفكر الغربي والغزو الثقافي والتعريب قد دخلت مرحلة خطيرة وعرفت الدعوة الإسلامية مسئوليتها الحقيقية في بناء جيل جديد من الشباب وأفلام جديدة من كتاب الدعوة الإسلامية لمواجهة هذه التحديات التي اتصلت على جميع جهات الفكر : في الجامعة والصحافة والأندية ، وفي مختلف المجالات ، الاقتصاد والقانون والسياسة والاجتماع والتربية والتعليم .

ووضح أن للإسلام مفهوم في كل هذه الميادين ، وأنه ليس كما صوروه دين عبادة ومسجد ، وأن له منهجا أصيلا في مواجهة قضايا المجتمع ، ومن ثم أخذ عبد القادر عوده ، وعيسى عبيد ، وسامي النشار ، وعلى على منصور ، وتوفيق الشاوي ، ومصطفى السباعي ، وعمر بهاء الأديبي ، وأحمد بلا فريج وعبد المنعم خلاف ، وعشرات يكتبون في مختلف جوانب الفكر الإسلامي ويكشفون عن حقائق الإسلام ، وجاءت بعدهم موجات أخرى حملت اللواء ، ولم يقف الأمر عند مواجهة المستشرقين ولكن ما أصبح أخطر من ذلك هو مواجهة النخريين وكائن النفوذ الأجنبي في مواقع القيادة في الجامعات والصحف والثقافة .

وبذلك واجهت الدعوة الإسلامية تلك الحملات المسمومة التي ساقطها مبدومة التعريب من أوكارها سواء في دار الحلال أو الأهرام أو المقتطف ، أو السياسة وجهرت صفح المنار والفتح والإخوان والشبان بكلمة الحق عالية مدوية وأمتد ذلك من مصر إلى مختلف أجزاء الوطن الإسلامي وقامت دعائم حقيقية لتصحيح المفاهيم لترد عن الإسلام وتاريخه وعقيدته ولعنته عادية الاتهام وسوموم الشبهات التي أثارها التبشير والاستشراق .

الباب الثاني

من النكسة إلى الأصالة

الفصل الأول : تاريخ مصر السياسي

الفصل الثاني : تغريب مصر

الفصل الثالث : النكسة والسميح عند التيار

الفصل الرابع : النكسة تحول حقيقي نحو الأصالة

W. H. H. H. H. H.

W. H. H. H. H. H.

W. H. H. H. H. H.

W. H. H. H. H. H.

W. H. H. H. H. H.

الفصل الأول

تاريخ مصر السياسي

يمثل تاريخ مصر السياسي في العصر الحديث في قضيتين .

أولاً : الدفاع عن الوطن . (ثانياً) بناء المجتمع الحديث .

وقد بدأت قصة بناء المجتمع الحديث منذ عصر محمد علي ، بالخروج من أزمة التحالف التي لحقت بالمجتمع الإسلامي كله في آخر عصر الدولة العثمانية .

وقد حملت نهضة محمد علي روح الاقلية وطابع الانفصال عن الدولة العثمانية ومن ثم علا صوت المصرية ونخت صوت الرابطة الإسلامية .

وجرى محمد علي في الخط الذي عارضته مصر : فقد هزمت مصر الفرنسيين وقبل محمد التعامل معهم ، وبدأت النهضة المصرية من خلال التمريب ، لم تكن نهضة مستقلة الوجهة ولا منبثقة من المفهوم الإسلامي الاصيل .

وكان محمد علي قد قضى على الطبقة المثقفة المصرية التي عارضت النفوذ الاجنبي وقضت عليه لأنها كانت معارضة الاستبداد الفردي الذي كان صمة حكم محمد علي ،

ومن ثم كان أبرز مظاهر هذه المرحلة :

أولاً : ازدياد نفوذ فرنسا وهو نفوذ الغرب الذي امتد بعد ذلك في حكم أبناء محمد علي وكان أبرز مظاهره انشاء قناة السويس وسيطرة الدول الأوروبية عليها وبيع مصر اسمها فيها وتوسع مصر في القروض والاستدانة حتى سيطرت على الدول الغربية اقتصادياً وثقافياً وفرضت عليها القانون الوضعي بدلاً للشرعية الإسلامية في مجال الاقتصاد والحكم .

ثانياً : تقلص نفوذ الطبقة المنبثقة الإسلامية التي كان مبعثها الازهر .

فقد قضى محمد على على عمر مكرم وإجماعة علماء المسلمين الذين وقفوا أمام تسلط نابليون ونفوذ محمد على الفردى : وبذلك أفسح المجال أمام طبقة جديدة من اتباع الثقافة الغربية والولاء الأجنبى .

وكان القضاء على الأزهر هدفا مشتركا بين النفوذ الأجنبى والحاكم المستبد وقد ورثت بريطانيا بعد ذلك هذا الهدف واستطاعت أن تسيطر على أوقاف الأزهر وتحول علمائه إلى تابعين للدولة .

ثم جاءت المرحلة الثانية : وهى مرحلة الاحتلال البريطانى لمصر .

وفى هذه المرحلة تمت السيطرة الكاملة على نظام الحكم ، الاقتصاد ، القانون الاقتصاد الثقافى ، واختفى تماماً طابع الاسلام فى المجتمع نهائياً . وتنازع مصر نيارين : تيار وطنى يغلب عليه الاهتمام بالحرية والاستقلال وجلاء القوات المستعمرة من البلاد وهو تيار قوى له خلفية إسلامية وإن كانت أبعاد التنظيم الاجتماعى الإسلامى لم تكن واضحة أمامه .

وتبار علمائى أنشأه المستعمر حمل لواء مصر المصريين ويدعو إلى الانفصال عن العالم الإسلامى والبلاد العربية ، جغرافياً وسياسياً وينفضل عن الإسلام كنظام اجتماعى فى التربية والمجتمع فيقبل القانون الوضعى والديمقراطية الغربية والتعليم العلمانى والاقتصاد الرأبوى .

وكانت الغلبة للتبار التغريبى لأن بريطانيا كانت وراءه ، وكان النفوذ الغربى فى خلال أ كثر من ثلاثين عاماً يعمل على إعداد جيل يتولى الحكم فى مصر ، يميل من التغريبين (المتفرنجين) الذين لهم ولاء ثقافى واجتماعى للغرب وكان على قيادة هذا الجيل سعد زغلول ولطفى السيد وغيرها ثم ظهرت بعد الحرب الحرية السياسية المتصارعة ، وإلى جوارها جماعة التغريبين المسيطرين على الصحافة هراء منهم المارون (الأهرام - المقطم) أو (المعريين) (السياسة) محمود عزمى وطه حسين وسلامة موسى وعصرهم .

وفى خلال هذه الفترة التى أطلق على عصر الاستقلال تنكشف زيف

الجزية وفسادها وظهرت دعوات كثيرة تدعو إلى تصحيح الطريق السياسى والاجتماعى وكان للدعوة الاسلامية دورها الواضح الذى نما نموا واسعا لانه كان هو البديل الحقيقى للنظم الجزية السياسية التى فشلت وعجزت عن تحقيق أى هدف سياسى أو اجتماعى لمصر .

فى هذه المرحلة كانت هناك ثلاث قوى تحكم مصر :

١ - الدولة المحتلة تحت اسم الحاكم الفعلى .

٢ - القصر تحت اسم الحاكم الشرعى .

٣ - الاحزاب : وكلها ذات ولاء لبريطانيا وولاء للنظام الغربى الرأسمالى ولم يكن خلافاها إلا فى نوعية الحكم ووسائله وليست فى غاياته فهى كلها تؤمن بالعامل مع هذا النفوذ ، ولها تقدير له وهيبة لانها من صنعه فضلا عن ولائها للنظام الغربى الرأسمالى وخضوع تام له وفوق ذلك لها ولاء خالص للحضارة الغربية .

وفى ظل هذه المرحلة تكون جيل من النخبة يؤمن بالولاء للغرب والإعجاب به وقبول أسلوب العيش الغربى بقيادة سعد زغول ولطفى السيد ، قامت فى ظله الحياة السياسية والاجتماعية خلال هذه المرحلة حياة قوامها الاقطاع وسيطرة السادة الأعيان والسراة الذين كانوا عملاء للمصارف الاجنبية يرهنون القطن وينفقون ثرواتهم تحت أقدام الرافضات فى شارع عماد الدين ويستعملون على العمال والصناع والزراع ، فى عطرسة واستطالة ، ومن ثم عاشت مصر فى ظلمهم مقيدة بإغلال النظام الاقتصادى الربوى ، وسيطرة صناعات القطن فى لاكثير ، وتصارع الاحزاب على الحكم ، فى سبيل إرضاء بمثل الدولة المحتلة أو القصر ، وأسلوب فى الصحانة ملء بالهجو والافذاع . وصراع الزعماء على تقاسم الولاء للنفوذ الاجنبى ، حتى نشأت أجيال جديدة ، وقد أحست بأن ثورة ١٩١٩ قد أجهضت بعد أن تولاه سعد زغول وزملائه بمفهوم الولاء الاجنبى (وفى الحق أن سعد زغول لم يكن فائد الثورة ولكنها قامت وهو ينفى عن البلاد وقد دهم لقيامها أما قائدها الحقيقى فهو عبد الرحمن فهمى) ،

ولقد كانت ثورة ١٩١٩ هي ثمرة الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد على مفهوم النضال في سبيل تحرير الوطن ، ولكن الذين ركبوا موج ثورة ١٩١٩ لم يلبثوا أن تنكروا لتلك المفاهيم واختفت تلك الثورة التي نماها الأزهر والحزب الوطني وما خلفه عمر مكرم وعرابي وقادة الأزهر في مواجهة استبداد محمد علي والحملة الفرنسية من قبل ، وكل هذا التراث كانت من ثمرة ثورة ١٩١٩ .

ويقرر كثير من الباحثين المنصفين أن ثورة ١٩١٩ لم تكن الاستجابة الحقيقية للفكر الإسلامي الذي حمل لواء اليقظة فيما بعد الاحتلال البريطاني كما أن حركة الجيش ١٩٥٢ لم تكن الاستجابة الحقيقية للفكر الذي حمل لواء اليقظة بعد ظهور النظام الحزبي الخاضع في التبعية للبرالية الغربية ، ذلك لأن ثورة ١٩١٩ وقعت حقيقة ولكن القوى التي سيطرت كانت قد أعدت مسبقا الطبقة التي ستتولى القيادة وهي ليست منها بل هي للمعارضة لها تماما وذات الولاء لمن قامت الثورة في سبيل التخلص منهم ، ذلك أن الاستعمار كان قد أكد على القاعدة الأساسية لعمله وهي تقديم البديل ضد القضاء على الأصل أما الأصل فهو محمد فريد وجماعة الحزب الوطني أما البديل فهو سعد زغلول .

وقد استطاع النفوذ الأجنبي في خلال سنوات حكم الأراب بعد ثورة ١٩١٩ وصراع الأراب على الحكم ، استطاع وئد هذه المشاعر الوطنية الإسلامية ، وخلت محلها مشاعر السياسة الحزبية بصراعها وتمزق المجتمع الإسلامي تحت ضربات حجب الشريعة الإسلامية وإقامة القانون الوضعي وفتح الطريق أمام إفساد المجتمع تحت ضربات القصاص الجنسي ومفاهيم التحلل والزنى والفساد الذي غرق فيه أولئك الذين اختارهم الاستعمار ليكونوا ركائز له في الأقاليم من أصحاب الأملاك والأطيان بعد تقسيم أراضي الدائرة السنية عليهم.

عندئذ كانت الدعوة الإسلامية قد كشفت هذه المخاطر وحذرت من هذه الأخطار التي ينجرف إليها المجتمع الإسلامي بعد أن فقد هويته باحتجاب تطبيقات الإسلام في السياسة والاقتصاد والقانون التعليم حيث تغشيت في ظل

القانون الوضعي مختلف عناصر الفساد الاجتماعي من ربا وزنا وعمر وتمزق اجتماعي يهدم الاسر ويحطم كيان الامة ، ولقد مضت الدعوة الإسلامية تعمل عشرون عاما حتى بلغ صوتها كل قرية وصقع ، وأحس الشعب في جماهيره الموقنة أنه لابد لها من العودة إلى هذا الطريق الصحيح بعد أن غدت القافلة السير في التيه ، وأنه لابد من عودة إلى الأصالة ، حتى يبدأ عصر جديد ينتهي به النفوذ الاجنبي وتمتلك الامة لإرادتها فتتجه إلى بناء المجتمع الرباني والعودة بالمجتمع إلى نظام ربوي إسلامي أصيل ، وعودة إلى ضوء الشريعة الإسلامية في الاقتصاد والاجتماع غير أن مخططات الغزو الاجنبي كانت تورب لتحول أخطر في هذا المجتمع تعمق فيه عمليات التغريب وتصل إلى التخاع بغية استئصال جذور الأصالة الإسلامية ومن ثم وقع ذلك الوضع الذي حدث بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كان الغرب يعرف أن الثمرة أصبحت دائية القطاف ، وكان هناك إحساس شامل بأن إرادة الامة كلها تتجمع حول العودة إلى المنابع .

ولكن النفوذ الغربي كان يخطط لتطويق هذا التيار لصالح أمرين
خطرين : -

أولها : سيطرة المسيحية العالمية على فلسطين وإقامة رأس جسر طامع للاستعمار الاستيطاني واحتواء اقتصاد المنطقة تحت اسم إسرائيل . من النيل إلى الفرات بدعوى زائفة عن أرض الميعاد .

ثانيهما : ورائة النفوذ الأمريكي للنفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة ووضع مخططات لاحتواء البلاد العربية ، على نحو يطوقها في تسمية خطيرة ثقافية واقتصادية أشد عنفا من الاستعمار العسكري والسياسي القديم .

وكان أكبر الاهداف هو القضاء على تلك القوة الراشدة التي تكونت في أحضان هذا المجتمع وتخطيطها حتى لا تكون لها القدرة على تحقيق هدفها وإقامة المجتمع الإسلامي .

وكانت الدعوة الإسلامية تهدف إلى القضاء على النفوذ الاجنبي أساسا

وتصفية الوجود الصهيوني في فلسطين عن طريق الجهاد المقدس ، وبناء مجتمع إسلامي أصيل يقوم على أساس منح الله ، ومن ثم فإن القوة الجديدة كانت حريصة على أن تفرع الأمة من هذه الوجهة وتصفيتها تماما وذلك بتقديم بديل براق سريع له دوى كالأطل ، ليشغل به جماهير الشعب ، وتحول به مشاعر الأمة إلى الداخل بدلا من أن يتطلع إلى مواجهة القوة الصهيونية البامية والطامعة في السيطرة على فلسطين والرحف إلى ما بين النيل والفرات .

وقد رأت القوى الأجنبية والصهيونية طلائع هذا الزحف في حرب فلسطين وكيف كانت على طريقة الجهاد التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف هزت هذه الصورة القوى الأجنبية فعملت بكل ما في وسعها على وندها وتدميرها .

وكانت المحاولة ترمي إلى التحول من النظرة القائمة على الوحدة الإسلامية إلى الإقليمية داخل الاوطان تحت أسماء الإصلاح الزراعي والعدل الاجتماعي ، وتأييم الشركات والبنوك ، مع دعوى عريضة بالقومية العربية مفرغة من كل هدف حقيقي ، وصيحات ضد الصهيونية لا تحمل معنى الوجهة الحقيقية ، وكان الهدف هو القضاء على القوة الإسلامية الشعبية ، الجديدة التي تشكلت والتي فاقت أصالة وإيمانا وفداء القوى التي تشكلت أزام الحملة الفرنسية وأزام ثورة عرابي وأزام ثورة ١٩١٩ والتي وأدها الاستعمار أولا بأول بأيدي داخلية لها طابع وطني .

كانت هذه القوة تتمثل بمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتود أن تعيد هذه الصفحة الباهرة في حطين وعين جالوت .

ولكن المحاولات الواسعة التي قامت بها القوى الداخلية للقضاء على هذا المفهوم الإسلامي الأصيل الذي يحمل لواء الدعوة إلى إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية وعودة المجتمع الإسلامي إلى الأصالة وإلى مفاهيم الإسلام في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثرية لم تمت وإن كان قد قضى على الاطار الذي إقامته الدعوة الإسلامية التنكيل والسجن والتشريد ، فإن التسكرة الإسلامية التي ملأت القلوب وغمرت النفوس لم تمت ، وإن اختفت تحت ظلال حملات

الاضطهاد ولذلك فإنها سرعان ما تبديت في قوة أركان إعداد الدستور الدائم للجمهورية ١٩٧١ فإن مشاعر الشعب قد توالى في قوة وإصرار لتعلن عن إيمانها بأن تصبح الشريعة الإسلامية مصدراً أساسياً للقانون وهي قوة في حد ذاتها مؤمنة بالله ذات عقيدة ، لا تتطلع إلى عدوان أو تطرف أو ترغب في شيء من العنف ، وإنما ترى في صدق وإصرار أن طريقها الوحيد هو الطريق الدستوري الصحيح ، بأن يقتضى عدد المؤيدين بما يحقق لهم الوصول إلى أن يكشفوا عن ضمير الأمة وروحها الأصيل وإذا كان سعد زغلول قد صنع فكرة التغريب ومبدأ التبعية ، بما أدى إلى التحول عن المنهج الإسلامي فإن عبد الناصر هو الذي وسع دائرة التغريب وعمقها وكان في خطته قضاء على القاعدة التي أقامتها الأمة للأصالة والتي ينتمى إليها حركة اليقظة الإسلامية خلال أربعين عاماً كاملة ، ومن هنا كانت قسوته على الدعوة إلى الله ، وقسوته على مواجهة كل ما يقع تحت قاعدة الدعوة الإسلامية من مساجد وصحف ومناهج وكتابات ، وكان تسلط مختلف القوى الشعبية والماركسية والعلمانية وتسلحها بكل ما تملك من قوى لضرب معازل الفكر الإسلامي ، وكان للمسرح دور كبير في هذا العمل ، فقد تسلط الماركسيون على الإعلام بمختلف فروعه وسيطروا على الصحافة والمدرسة والجامعة والثقافة ونفثوا فيها جميعاً سمومهم ، وكان للمسرح دور كبير في هذا العمل ، فقد كان الماركسيون يرون أن المسرح هو كنيسة الشيوعية وبدل المسجد .

ولقد خطا الطغاة بالتغريب خطوات واسعة في اتجاه إخراج مصر من الأصولية الإسلامية التي عاشتها أربعة عشر قرناً عن طريق ما أطلق عليه التحول الاشتراكي والنظام الطليعي ومناهج المعهد الاشتراكي وبيع مصر مرتين ، مرة للنفوذ الغربي ومرة للنفوذ الماركسي في سبيل الاحتفاظ بالبقاء في سدة الحكم .

وبه كسب النفوذ الاجنبي أرضاً جديدة وكسبت إسرائيل ضحواً في وجه القوى الإسلامية العربية التي كان تستطيع أن تربلها إذ ذاك ،

فقد استطاعت خلال هذه الفترة أن تتقوى وتكون وتبنى نفسها ، حتى استطاعت أن تضرب ضربتها في نكسة ١٩٦٧ فتستولى على القدس وسيداء والجولان والضفة الغربية ، ونشرت مصر ذلك الجيل من الشباب الذي خدمته دعايات القومية العربية والاشتراكية وتلك التهاويل من الدعوة إلى العدل الاجتماعي والزفافية في نفس الوقت الذي استندانت مصر - حتى أعلن لإفلاسها ، وأبان هذه المرحلة نشأ جيل جديد قائم لا يعرف له هوية ولا هدفا ، لم تنح له فرصة التربية الإسلامية في البيت ولا في المدرسة ، جبل أطلق على نفسه أنه جيل بلا أساتذة ، وهو جيل بلا ورقة ميلاد فقد نشأ على أنقاض الانقطاعيين والارستقراطيين ، هذا الجيل هو جيل الطبقة الوسطى من العمال والصناع والزراع الذين واتهم فرصة العصر للاندفاع نحو العمل في الحياة دون معرفة للحلال والحرام ، وإنما للوصول إلى مطامح الحياة عن أقصر طريق ، طريق التفاف والرشوة والوصولية ، دون أن يكون لهم وازع من خلق أو دين أو عرض يمنعه من الاندفاع نحو الحرام أو الشر ، فكان هذا الجيل مفرغا من الدين ، فلا وازع يردعه ولا قاعدة إسلامية عامة توجهه ، بعد أن انطوى العمل الإسلامي وأصبح الناس يخافون الذهاب إلى المساجد أو الحديث عن الإسلام حتى في أصغر أمور الصلاة والصوم ، خوفا بأن يهتموا أنهم من جماعة الدعوة الإسلامية ، من هذا الجيل نشأت الفتاة التي قالت يجب أن نهرب قبل أن نتزوج والتي قالت أين الله ، وهذا العدد من الشباب الاباحي الذي أقسد ، واللاقي سافرن للعمل بالدعارة في بلاد بعيدة ، الخ .

في خلال هذه المرحلة اتسعت الفرصة أمام الشعوبيين والعلمانيين والشيوعيين والاشتراكيين لتقديم عشرات من المفاهيم المسمومة ، وقد امتلئوا جميع وسائل الدعوة والكتابة والصحافة والتأليف والشرح والإذاعة والتلفزيون واعتبروا عبد الناصر أبهم الروحي وما زالوا يشيدون به لأنه هو الذي فتح لهم هذا الطريق الذي مازالوا يتصدرون به مكانا في الصحف الواسعة الأنيشار ويصدرون الكثير منهم إلى صحف البلاد العربية ويكسبون من وراء ذلك المال حتى يتمكنون الشفق الفاخرة في لندن وباريس والأرصدة الضخمة في بنوك سويسرا ، من أموال البترول فقد كانوا يقهون

إلى أبو ظبي أو قطر أو دبي فيجدون ترحيبا وهم الماركسيون التقدميون فيكسبون من أموال جماعات النفط وقد أمكنهم بالبت الدائم المتصل لكل ما من شأنه أن يقتضى على مفاهيم الإسلام تاريخيا وذهودا ولغة ، والأبطال في تحطيم كل مقومات الخلق والإيمان والروح والقيم ، إلى عوامل الإباحة والعري والكشف والانحلال تحت اسم حرية الفكر ونشأت على أقدامهم مفاهيم معاللة ترمى إلى تهوير الإسلام بأنه ليس إلا قضية الفقراء والحريات على النحو الذى يكتبه من سموا أنفسهم اليسار الإسلامى .

(٢)

هذه الامة المسلمة : منذ اليوم الاول كانت تتطلع إلى منهج الله . وقد أحسنت بفشل التنظيمات الغربية الوافدة ونفضت يدها من الأحزاب السياسية الفاشلة ، ولكن ما حدث كان مما كسا تماما لتطلعاتها فقد كان النفوذ الأجنبي بعد الحرب العالمية الثانية خطة واسعة لاحتواء عالم الإسلام والعرب على أساس خطوط عامة :

أولا : زرع نفوذ إسرائيل في قلب البلاد العربية وقطع صلة المسلمين في اسيا بالمسلمين في إفريقيا بحسم غريب في موضع بيت المقدس ، وفي نفس المكان الذى قامت فيه المملكة الصليبية خلال أكثر من مائتى عام قبل ثمانمائة عام .

ثانياً : قيام أنظمة عسكرية عن طريق إحداث انقلابات في البلاد العربية تكون لها تبعيتها وولائها وامتدادها للمخططات التغريبية في نظام الحكم ومفاهيم التقدم والتحديث منفصلة ومتباعدة عن روح هذه الامة .

ومن ثم كانت التجربة الغربية التالية لتجربة الأحزاب السياسية خلال ما بين الحربين أشد خطورة وعنفا فقد فتحت الباب واسعا أمام :

أولا : السيطرة الفكرية الموجهة عن طريق الحزب الواحد ونفوذ الحكم المستبد ثانياً : فتح الباب أمام الفكر الماركسى لمزاحمة الفكر الغربى الليبرالى وذلك لتوسيع الشقة أمام الفكر الإسلامى الذى كان يخوض معارك واسعة مع الفكرين الغربى والماركسى في عشرات من القضايا .

ولقد كانت التجربة : تجربة الحكم العسكرى جذيرة بالمراجعة والدرس للتعرف على مدى الاخطار والتحديات التى واجهت بها حركة البقظة الإسلامية وضررها وإيقاف نفوذها والتى كانت بعيدة المدى .

فقد كانت من وراء هذه التجربة قوى ترمى في هدفها الحقيقي إلى القضاء على المد الإسلامي وتحويل وجهة نظر الدعة الإسلامية من العمل لتحرير فلسطين إلى عمل داخلي محدود كالاصلاح الزراعي وكان ادائها في العمل الخارجي أطروحة القومية على مفهوم الغرب مفرغة من الوحدة الإسلامية ومن قيم الإسلام نفسه في خلال حكم الفرد: (١٩٥٢ - ١٩٧٠) حيث طرحت دعوات عديدة هالية النبوة لتطفي على الدعوة الصحيحة وعلى الاصاله التي كانت تملأ القلوب والنفوس. طرحت الدعوة القومية ، الدعوة الاشتراكية وقد فشلت الحركتان المتنابعتان وتبين أن الجسم الإسلامي العربي لا يقبل العنصر الغريب ، وكان موقفه منهما هو نفس موقفه من النظام الليبرالي الغربي (١٨٨٢ - ١٩٥٢) وهو الرفض الكامل حيث لم يكن أحدهما الانظمة مستجيبا لاشواق النفس العربية الإسلامية، لم تكن مصر ترضى لسياسة الامر الواقع ولكنها كانت تتطلع إلى أفق قريب من ذاتيتها وروحها وعقيدتها، وكانت ترفض باستمرار تلك الدعوة التغريبية إلى تقنين الواقع الكسح وتقبله والدعوة إلى اعتناقه على النحو الذي كان يقدمه محمد حسين هيكل ومصطفى أمين ومحمد النابعي. كان فرض الواقع المتقبل للنفوذ الاجنبي بمصطلحاته وأساليبه غريب على الذاتية العربية الإسلامية مهما بدا أنها تقبله .

لقد أعطيت التجربة المريرة صورة ضخمة مجسمة بالادعاه والاعلام والبث اليومي الكاذب المضلل كأنما زيدت إلى مائة ضعف بالكذب والخداع والوهم ثم انتهت إلى لاشيء ، إلى هزيمة كاسحة ، وإلى إحتلال أكثر من ثلاثة أرباع مصر وهي صحراء سيناء ، وانتهت إلى خراب اقتصادي ، وإلى تبعية خطيرة ، وتخطمت قلوب الشباب التي تابعت وتطلعت خلال سبعة عشر عاما إلى هذا الطغيان الخطير الذي قدم رموزا وإعالمات كاذبة عن الوطنية والقومية والاشتراكية والتقريب بين الطبقات وعن مثاليات ودعاوى كاذبة لم يتحقق منها شيء ولما خسر الشبح صريحا تبين أن ما هنالك ليس إلا خراب شديد الظلمة ومناورة ضخمة لتحويل تيار الأمة إلى سراب خادع وقضاء على كل قيمها ، ومن ثم جاءت المرحلة التالية أشد خطورة فقد تكشفت فيها زخوف حكم الفرد ولكنها ما كادت تستكمل عقدا من حياتها حتى تبين أنها تحت اسم الانفتاح قد دخلت في تيارات شديدة الخطورة من الاستهلاك والديون والفساد والانحراف كانت التبعية للشيوعية

الماركسية خدعة كبرى لم تنكشف إلا بعد أن انتهت ثم جاءت الجولة التالية في التنمية للصهيونية والارتقاء في أحضان الغرب .

(٣)

قامت في ظل هذا النظام الاستبدادي (٥٢-٧٠) محاولة قاسية للقضاء على ذلك التيار الاسلامي الذي غير الاعراف والمفاهيم والقيم ، وحاول إعادة البلاد إلى صورتها الصحيحة ، وإلى إصالتها قبل مائة عام من الاحتلال وكان هذا التيار قد استطاع وضع الامة على الطريق الصحيح بالقضاء في عشرين عاما على جهد بذله النفوذ الاستعماري خلال قرن كامل لتحويل هذه الامة عن مفهومها الصحيح إلى مفهوم علواني مادي قائم على تلقين الاسلام على أنه دين عبادة وصلاة ، ولذلك فقد كانت قسوة هذه الحركة بالغة في تعذيب رجال هذه الدعوة والتنكيل بهم وإبادتهم ليكونوا عبرة لغيرهم ، ولتوقف هذا التيار الدافق ، ولتقوم المنظمات التغريبية في مختلف مجالاتها في الجامعة والمدرسة والصحافة والمسرح والاذاعة والتلفزيون بتحويل الناس مرة أخرى إلى التغريب وتحييب مفاتيح الجنس والرشوة والفساد الخلقى والنهب والاعجاب بالغربي وحجب الحضارة المتبذلة مرة أخرى ، هذا هو تفسير قسوة الطغاة في التنكيل بدعاة الاسلام وبذلك المحرص المستمر خلال ثلاثين عاما على ألا يرتفع هذا الصوت مرة أخرى ولا يأخذ مكانه ، فلما جاءت موجة الجماعات الاسلامية وصلى مائة ألف في ميدان عابدين هبت القوى التغريبية في العالم كله لتدافع عن وجودها ولتقضى على هذا التيار مرة أخرى ، ليس في مصر وحدها ولكن في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي .

الفصل الثاني

تغريب مصر

بدأت حركة تغريب مصر منذ الحملة الفرنسية وخلال حكم محمد علي عن طريق اختيارى فلما جاءت مرحلة الاحتلال خلال (١٨٨٢ - ١٩٥٢) سببها عاماً تحولت حركة تغريب مصر إلى طريق قسرى ، فقد فرض النفوذ الأجنبي سيطرته في مجالات ثلاث (القانون - الاقتصاد - التعليم) غير أنه في مرحلة حركة الجيش بدا كأن خطوات التغريب قد اتسعت فقد كانت الحركة الوطنية التي تقادم النفوذ الأجنبي تقاوم أيضاً سيطرته في هذه المجالات ، غير أن الموقف بعد حركة الجيش تغير ففى إطار السيطرة العسكرية النافذة لم يكن فى الاستطاعة مواجهة محاولات التغريب على أنها مضادة للإصالة أو الوطنية .

يقول الدكتور جلال أمين : مع ما أعلنته حركة يوليو منه أنها قامت لتحرر مصر من الاستعمار وقيادة كفاح الأمة العربية من أجل استقلالها بما يحمل معنى السيادة الوطنية وسيطرة الأمة على مقدراتها ، بل كل ما حقق من نجاح فى بعض المجالات لم تستطع قادة الحركة ومنظروها أن يتخلصوا من المفهوم الغربى للنهضة ، بل الأصح أن يقول أنهم تبنا هذا المفهوم تبنيًا يكاد يكون حرفياً ولم يطرح أى منهم تصوراً لما يريدون لمصر والغرب يختلف فى أى جانب أساسى عن النموذج الغربى . وبقيت الدعوة إلى الاستقلال محصورة فى الميدانين السياسى والاقتصادى وحدهما ولم تنسج لتشمل محاولة تقديم مفهوم مستغل للنهضة بل على العكس تماماً من ذلك فقد أصاب هذه المحاولة الانتكاس على يد حركة يوليو . .

• قبل ١٩٥٢ كان دعاة الإصلاح فى مصر يفهمون الإصلاح مفهوماً واسماً يشمل مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والحلقية وكانت قصة موقفنا

من التعريب أبعد ما يكون عن الحسم وكان الخلاف مازال محتدما بين أنصار تبني النموذج الغربي وأيضا العوده إلى الأصول والتسك بالتراث مع أو بدون تطويره للملاءمة متطلبات العصر ، فجاءت الثورة لحسمت الامر لصالح التعريب لما لم تذهب إلى المدى الذى بلغته ثورة أنا تورك كما أنها لم تحسم الامر على المستوى الفكرى ولكنها حسمت على المستوى العلمى بإلقاء كل ثقلها إلى التعريب واتخذت كل ما فى وسعها اتخاذها من اجراءات لترجيح كفته لم يكن عبد الناصر مهما بلغت درجة طموحه طموحا لدرجة أن يتصور أن العرب يمكن أن يقدموا للانسانية نموذجا مختلفا للنهضة ، كان هدفه المساواة مع الغرب وليس التميز عنه ، فمع اهتمامه ببناء المدارس ونشر التعليم لم يثر فى ذهنه تساؤلات كثيرة عن مضمون التعليم الذى يتلقاه التلاميذ فى المدارس لا من حيث كفاءته ولكن من حيث صلته بالتراث والتقاليد ونوع القيم التى يفرسها فى أذهانهم . كان من المهم تخريج عدد كبير من المهندسين ولكن لم يكن من المهم لديه طراز المعمار ومدى انفتاحه مع تقاليد المعمار الإسلامى أو ظروف البيئة أو عادات الناس وفى نحو الامية لم يكن من المهم المحافظة على قواعد اللغة العربية من خطر الابهمال أو الابتذال وفى تمصير المدارس الاجنبية لم يكن من المهم بعد ذلك التوضى بمستوى تدريس اللغة العربية أو الدين أو التراث العربى - المطلوب التنمية وليس الابداع ، المطلوب التخلص من السيطرة وليس محاولة إعادة اكتشاف الفات .

وأوضح مثل لذلك ما فعله عبد الناصر بمؤسسة الأزهر ، كان الأزهر يحمل دائما وما يزال إمكانات كبيرة لابتداع نمط من التعلم يختلف جذريا عن النمط الغربى ، ليس فقط من حيث طريقة التعلم ولكن من حيث المضمون ومدى اتصاله بالتراث ، ولكن الحكومة اعتبرت أن أقصى ما يمكن أن يصل إليه تطوير الأزهر وتحديثه هو أن يتحول إلى جامعة رابعة أو جامعة خادمة تدرس الطب والزراعة والاقتصاد ، وأن يكون على رأس كل كلية جامعية عميد يحمل الدكتوراة من جامعة غربية وإن تضاف اللغات الأجنبية إلى المقررات التقليدية من الشريعة وأصول الدين وقواعد اللغة العربية ، وبدلا من أن تخرج

أشخاصاً يعتزون بدينهم ويحاولون تفسيره في ضوء حاجات العصر ، أصبح يخرج أشخاصاً أو يضم تلاميذ يعاونون من عقده القمص لعدم استطاعتهم الموازنة بين علوم دينية لم تتطور وعلوم عصره لا صلة لها بالدين ومنها ما يناقضه .

والظاهرة التي تبدو غريبة لأول وهلة ، وهي أن الاستقراطية المصرية فيما قبل ١٩٥٢ كانت طبقة معنة في استغرابها وتنقل من الغرب أدق تفاصيل حياته ، فإنها كانت أيضاً في بعض الميادين أحرص على التمسك بالتقاليد من الطبقات الحديثة ، التي فتحت لها حركة ١٩٥٢ الأبواب على مصراعها ، فمن بسبب اتصالها الوثيق بنفسه بالغرب كانت تسمى أكثر من غيرها بعض حماقات النط الغربي في الحياة وسخافاتة كما أنها يحكم ثقافتها بنفسها المستمدة من التراث نفسه تدرك أكثر من غيرها أن التمسك بالتقاليد لا يعنى في كل حال من الأحوال تخلفاً أو بدائية . يصر حديثو العهد أن يحبوا حفلات الأفراح في الملبس أو الشيرتونات على أنغام الموسيقى الراقصة الغربية ، وكان الوزير المصري قبل ذلك تخجل من أن يلقي خطاباً بلغة عربية ركيكة بينما تجمد المسئول المصري على شاشة التلفزيون اليوم يلقي بالكلمة الانجليزية وسط حديثه ثم يتظاهر بصعوبة العثور على بديل لها بالعربية .

لم يكن هجوم عبد الناصر العنيف على الغرب منبعه كراهيته لنمط الحياة الغربي ، وإنما كان منبعه مجرد كراهية للسيطرة الغربية ومن ثم نلاحظ أنه كلما وجد أنه حقق بعض التقدم في التحرر من هذه السيطرة راح يقلد النموذج الغربي بحذافيره ، وبقدر ما تسمح به ظروف المجتمع .

مفهوم عن الناصر للاشتراكية هو نفسه المفهوم الغربي لها : يريد من الاستهلاك بل على وجه التحديد ، مزيداً من استهلاك ذلك النوع من السلع والخدمات التي ينتجها الغرب .

وكان المعلقون يدركون أن وراء هذه المداوة للغرب يكمن إعجاب خفي من جانب نمط الحياة الغربية . وقد فطن بعضهم إلى المغزى البعيد لما فعله

عبد الناصر بالازهر كما صفقوا له وأيدوه في ضربته العنيفة للحركات الإسلامية .

على أن هذا الاتجاه نحو المزيد من التغريب الذي سار فيه نظام عبد الناصر قد ازداد حدة وشذوذاً في السبعينات ، فإذا كان عبد الناصر قد حمل إعجاباً دفيناً بالنموذج الغربي لم تسمح له معاركه السياسية بالتعبير العريض عن ذلك ، فإن أنور السادات لم يجعل أمره سرّاً لخطاب السادات وتصريحاته بل ورموزه اليوم لا يترك أى مجال للشك فيما كان يكتنه من إعجاب بالتكنولوجيا الغربية ونمط الحياة الغربي وخاصة الأمريكى .

وأسوأ ما يتسم به تغريب السبعينات بالمقارنة بما قبله هو أنه كان تغريباً استهلاكياً بينما كان فى السابق يحمل بعض سمات التغريب الإنتاجى .

بل أن اتجاه السبعينات إلى التصالح مع إسرائيل على أنه فى الأساس خطوة هامة فى هذا الاتجاه نحو التغريب . فإسرائيل هى أبنه الغرب وريسته والتصالح معها هو فى جوهره تصالح مع الغرب والاعتراف بتفوق ماسمى بالتكنولوجيا الإسرائيلية هو فى الأساس تأكيد جديد للاعتراف بتفوق الغرب ، وتردد القول فى السبعينات بتحضّر الإسرائيلين وتحلف العرب وهو تأكيد جديد على ضرورة تقليد الغرب وضرورة الانبعاث ولا شك أن الاتجاه نحو المزيد من التغريب فى عهد عبد الناصر وضربته العنيفة للحركات الدينية لابد أن يتحمل بعض المسؤولية فى نمو هذه الحركات المتزايدة بعد إطلاق صراحها فى السبعينات ولكن التماهى فى التغريب فى السبعينات لابد أن يتحمل أكبر قدر من المسؤولية فى شدة وتطرف ، ففى الوقت الذى كان فيه الشعور الدينى يزداد قوة بفعل عوامل متعددة اصطدم هذا الشعور بما يراه من تساويع الاتجاه نحو التغريب الذى يؤذى الشعور الدينى ويتحداه .

لب الموضوع : أن حركة التغريب فى مصر قديمة ومتمثلة الحلقات منذ الحملة الفرنسية وليس ما فعلته حركة يوليو فى هذا الصدد أكثر من إضافة حلقة جديدة إلى سلسلة طويلة .

فتغريب المجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر كان متواضعا للغاية ، فلما جاءت الحملة الفرنسية وتجربة محمد على ثم التصنيع فى بواكير الثورة الصناعية الأوروبية هبت رياح التغريب على مصر ثم ازدادت حدة فى عصر إسماعيل الذى اتسم من ناحية بارتفاع معدل النمو الاقتصادى والاجتماعى فى مصر ، وواكب من ناحية أخرى بزوغ عصر الاستعمار الجديد .

(الأهرام الاقتصادى ١٢/٤/١٩٨٢)

٢ - هذا عن التغريب فإذا عن التجربة الاشتراكية :

كتب الأستاذ أحمد حسين مؤسس مصر الفتاة الاشتراكية فى مصر ١٩٤٦ كتب عام ١٩٧٧ فقال : تتلخص التجربة فى أن مصر التى كانت أغنى شعوب الدنيا وقد جاءت شعوب المنطقة تلتهم القمح من مصر ، ولا عجب فى هذا فقد اختمس الله مصر بنهر النيل ، مصر أصبحت اليوم أفقر دول المنطقة بلا استثناء ، وبعد أن كانت مئات وألوف من كل الشعوب العربية والأوربية تهاجر إلى مصر فى التماس لا أقول الرزق بل الغنى ، أصبح الأمر على عكس ذلك تماما فراح يهاجر من مصر من يقدر على الهجرة ، يبقى السؤال : ما الذى جعل مصر وهى أغنى دول المنطقة قد تحولت إلى أفقرها .

أول ما يقال هو ما أسموه (الانفجار السكانى) وهى صيغة ارتفعت فى البلاد الغنية لفرعها من توقفها على النمو السكانى تقريبا فى الوقت الذى يزيد فيه سكان العالم الثالث ، وحكاية تزايد السكان هذه قد فصل فيها الزمن والتجربة ، فلما تكاثرت عدد السكان فى منطقة من المناطق تزايد إلتاهاجها وارتفع مستواها ، والشعوب تزوى وتتحل عندما يقل عددها وتقوى وتزدهر كلما تضاعف سكانها ، أن كثرة سكان مصر ليست سبب فقرها ، لم يبق إذن من غير حدث فى مصر هو فى رأى السبب فيما تعاني منه مصر إلا حكاية الاشتراكية التى كنت أول داع لها - قد بات من واجب واجباتى أن أشذر العالم العربى الإسلامى منها على ضوء تجربتنا فى مصر وتجربة الدنيا كلها ، والسبب فيه مفهوم وواضح فقد خلق الإنسان ليكسب فى الحياة ويتبع ويعول أسرته

وكل من يستطيع أن يعوله بقدرته ، وجاءت الاشتراكية فألغت الحوافر الروحية وزعمت أن كل حديث عن الرحمة والشفقة وكل حديث عن الإحسان ابتغاء مرضاة الله ولينال الإنسان الجزاء عليه في الآخرة ، زعمت الاشتراكية العلمية أن ذلك كله أفيون الشعوب وأنه يقال لتضليل الناس واستغلال الضعفاء ، أما بالنسبة للحافز المادى فقد ازهقوه كذلك دفعوا المسؤولية عن عائق الأفراد ليلقوها على كاهل الدولة ، فالدولة هي المسؤولة أن تعلم وتخطط وتوفر العمل والطعام وتنصلح الأرض وتنشئ المصانع وتبنى المساكن ، وما على الناس إلا يضعوا أنفسهم رهن إشارتها .

وكانت النتيجة : هذا الذى انتهت إليه مصر فن دولة مصدرة للقمح منذ سبعة آلاف سنة إلى دولة تستورد القمح ، ومن أشهر دوة في العصر الحديث في تصدير القطن إلى دولة أصبحوا يتحدثون أنه من الخير لها أن تستورد قطننا من نوع ما ، والبلد الذى كان يصدر سكرا أصبح يستورد سكرا بل يستورد ذرة ، هذا ما انتهت إليه مصر في ظل الاشتراكية ، لبس فقط بل الاتحاد السوفيتى الذى أصبح يستورد القمح من الدول الرأسمالية ولكى تخرج الدول الاشتراكية من أخطبوط هذا النظام نادوا بما أسموه سياسية الانفتاح والى معنى في الدرجة الأولى دعوة رموز الاموال الاجنبية للعمل في البلاد الاشتراكية ، وليس وواء ذلك إعلان عن إفلاس الاشتراكية وأنها كانت خرافة توهمها الناس في فترة ما ، ثم اتضحت حقيقتها وهي لانهى أن تكون سرايا .

إذا صح ما تزعمه الاشتراكية من أنها تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية فقد أثبتت التجربة أنها ضاعفت تعاسة البشر عندما نزع من قلوبهم الإيمان حيث وصل الإسلام في التطبيق إلى عدالة اجتماعية تكاد توصف إذا ذكرت اليوم إنها خرافة ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من بات شعبان وجاره جائع) .

الحقيقة أن القومية أو الاشتراكية التى دعا إليها عبد الناصر لم تكن

في سبيل تحقيق هدف الارتفاع بمصر إلى مكانة عالمية أو تصحيح مسارها وإعما
كان في سبيل الزعامة الفردية ، أما مسألة فلسطين فكان الموقف فيها قد تحدد من
قبل أن تبدأ هذه الزعامة عملها .

قال اللواء محمد نجيب : لقد دمر عبد الناصر اقتصاد مصر مرتين : الأولى
حين أرسل الجيش لحرب اليمن والجندي المصري لا يعرف من يقاتل وكيف يقاتل
والثانية حينما ووط الجيش في حرب ١٩٦٧ بناء على معلومات وهمية من قادة
عسكريين جاءوا بها من صالات الملاهي إلى ميدان المعركة .

لقد تابع العهد مارسمته عهود التغريب السابقة وحقق آمالها ، حقق ماطالب
به طه حسين في أمر تغريب الأزهر من روحه الإسلامية ، حقق ماطالب به دعاء
التغريب في مجال التعليم من عزله من الدين والخلق حقق ماطالب به الشيوعيون
في المسرح من جعله بديلا لمنازل الوحي ، حقق ماطالب به التغريبيون في
ترجمة ركام الزيف من الفكر الغربي .

ولقد صدق المؤرخون الذين أحصوا على هذا العهد أنه : -

- (١) ضرب الدعوة إلى الإسلام (٢) ألغى القضاء الشرعي
- (٣) مرق أوقاف المساجد والمعاهد الدينية ومكاتب تحفيظ القرآن بينما
- لم يضرب أوقاف غير المسلمين (٤) ضرب الأزهر في مناهجه تحت
- زعم تطويره (٥) ضرب المساجد بحيث لا تحمل كلمة النصيحة لله
- ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وقد أذاع بعض ذوى الخبرة أن السوفيت حددوا ثلاث مطالب في سبيل
تمويلهم للسد العالي هي : - (١) القضاء على الأزهر (٢) القضاء على
أوقاف المسلمين (٣) إلغاء القضاء الشرعي ، ولست أدري إلى أي حد تصح
هذه المقولة ومن يراجع كيف جرى تمرير قانون تطوير الأزهر يكتشف هذه
الريبة ويرى كيف فوجيء الناس بإلغاء القضاء الشرعي ولا يلبث طه حسين أن
يصبح مطالبا بالخطوة الثانية وهي إلغاء التعليم الديني .

(٢) وقد صدرت في هذه الفترة أطروحات ودراسات كشفت كيف

فمثلت قوانين الإصلاح الزراعى فى تحقيق عدالة اجتماعية أو نماء زراعى ، وكان الهدف المعلن هو تصفية الاقطاع وتوسيع قاعدة الملاك الصغار ولكن الهدف المضمر لم يكن إلا القضاء على أسماء وأسر حقداء وكراهية لهذه الاسماء والاسر ، نتيجة أغراض من الحقد الطبقي فى أعماق الميسطرين ولم يستطع توزيع الارض بين صغار الملاك أن يحقق نتائج فى زيادة المحصول ، وكان أكبر آثار الإصلاح الزراعى قيام مشكلة تفتيت الارض . وقد ظل القطاع العام فى الزراعة محدودا لم يزد عن ١٣ ٪ وتعرض للتصفية بعد هزيمة ١٩٦٧ بل أن هناك من يرى أنه بالرغم من تصفية الطبقات الاقطاعية فإن طبقة الملاك الرأسماليين وأغنياء الفلاحين هى التى استفادت ودعت مواقفها الاقتصادية وسيطرتها السياسية والاجتماعية فى القرية المصرية وتحدث كثيرون عن مخاطر التغيير من أهلى وأن تجرئة الحركة من أعلى والاعتماد الاساسى على أجهزة الدولة دون مشاركة جماهيرية من أسفل كان مما عرض تلك التجارب دائما لمخاطر الانتكاس والردة .

وكانت هذه هى أكبر مغامر مسمى (ثورة يوليو) ، إذ أن مفهوم الثورة يختلف تماما عن انقضاء جماعة الجيش على الحكم فى مصر والسيطرة عليه . يقول دكتور فاروق عبد السلام :

إن حركة ٢٣ يوليو يوم قامت لم تطلق على نفسها ولم يطلق عليها أحد من الناس اسم ثورة وكان أكثر الأسماء التصاقا بها يومها (حركة الجيش المباركة) وإنما كان تسميتها ثورة مما فرض بعد ذلك فرضا فى وقت لاحق . إن الذين يعتبرون ما وقع يوم ٢٣ يوليو فى مصر ثورة إنما يعتمدون فى وجهة نظرهم على معيار (التغيير) أى التغيير الجذرى الذى حدث بين عهدين مختلفين .
تماما ، كل منهما عن القبض .

إن معيار الحكم الصادق على تصنيف الحركات إلى ثورات أو انقلابات إنما يكون بالنظر إلى طبيعة الرجال الذين قاموا بالحركة وليس بالنظر إلى التغيير الذى أحدثته الحركة ، فهى إنقلاب إذا قام به رجال من موقع سلطة كرجال القوات المسلحة ، وهى ثورة إذا قام بها الشعب الأعزل ضد السلطة - كما

حدث في إيران - حين خرج على الشاه أبناء الشعب بالليل والتهار يحملون
أرواحهم وأكفانهم بين أيديهم يتحدون حاكما وقواته المسلحة . أعطوا
المسميات أسماءها : جاء يوم سميت فيه الهزيمة نكسة ، والقواعد تسهيلات
والاعتقال تحفظا .

(٥) وقد تحدث كثيرون عن حركة الجيش هل أنها كانت (ثورة
بيضاء) ولكن المتعمق في الأمور يجد أنها خاضت في سبيل تثبيت وجودها
دماء كثيرة منها الحق ومنها الظاهر ، وكان أسوأ صفحاتها : صفحات التعذيب
والاضطهاد لكل من اختلفت منه وكان أشد عنفها بالنسبة للجماعة الإسلامية
التي كانت لها في أول الأمر صلات وثيقة ، بل أن هذه الحركة حاولت أن
تكون بديلا مغائرا للدور الذي كانت الدعوة الإسلامية تعد المجتمع الإسلامي له .

(٦) لم تكن حركة الجيش أبدا لوجية محددة ، ولكنها كانت محاولات
للاستجابة للواقع وقد تردت في انحرافات وسلبيات كثيرة مثل الإجراءات
الاستثنائية والتدهور الاقتصادي وهزيمة يوليو وتمزق وحدة الصف العربي
والسيطرة السوفيتية والتنظيم السري وحرب اليمن وإبعاد الكفاليات ، وغيرها
من الانحرافات والسلبيات .

الفصل الثالث

النكسة والسبع ضد التيار

كانت النكسة ١٩٦٧ علامة على هزيمة «السبع» ضد التيار الإسلامي، الذي هو الانحياز والطبقي الأصيل، لهذه الأمة، فقد كانت الخطوات كلها خلال هذه المراحل الثلاث معارضة للاتصال، ومضادة للطبيعة الأمة، وكانت بمثابة محاولة خطيرة لتغيير الاعراف الأساسية واحتواء نفسية الأمة وكيانها وعقليتها والقضاء على روحها الحقيقية المنبعث من الإسلام والممتد خلال أربع عشر قرناً .

هذه المراحل الثلاث : هي (١) مرحلة الاستعمار (٢) ومرحلة الاستقلال (٣) ومرحلة حركة ٢٣ يوليو وهي ثلاث مراحل متكاملة يسلم بعضها إلى بعض، ظهر منها تضال نفوذ الأجنبي في المرحلة الثانية واختفاؤه في الثالثة ولكن نفوذ التمزيب والغزو الفكري كان يتناهى مرحلة بعد مرحلة فيحطم كل السدود والقيود .

ولقد برزت أعضاء حركة البقطة الإسلامية في أشد فترات الظلام في تاريخ الإسلام في العصر الحديث وهي المرحلة التي أسقطت منها الخلافة الإسلامية وفرض النفوذ الأجنبي القانون الوضعي وحجبت الشريعة الإسلامية وانطلقت جحافل القوى المختلفة تجوب البلاد لتغير لإعراقها ومفاهيمها عن طريق تدمير المجتمع (عن طريق إباحة الخمر والزنا بواقع القانون الوضعي) وتدمير العقل الإسلامي عن طريق إنشاء الارشاليات وتزييف مناهج التعلم في المدارس الوطنية وتفريغها من الدين والأخلاق والتاريخ والإيمان بالقيم الأساسية .

وفي نفس المحطات التي كان يغرب فيها نجم سعد زغلول أول معطم للمفهوم الإسلامي في السياسة في العصر الحديث وداعية العلمانية والتغريب، بزغ ضوء

الدعوة الإسلامية لأول مرة وارتفع صوتها بحمل صيحة الأصالة والعودة إلى منابع وتناهى مع الزمن واستطاعت المراحل التي تقابلت وخاصة المرحلة الوطنية أن تفسح الطريق للدعوة إلى التماس منهج الشريعة الإسلامية بعد أن تعالت الأصوات في مجتمعات الغرب بإقرار صلاحيتها وعظمتها وتساؤلهم المستغرب عن عجز الأمة صاحبة الشريعة عن تطبيقها وتسوّلها للقوانين الوضعية المضطربة المعطوبة : وفيما تقارم الأمة النفوذ الاستعماري لتتحرر منه ويمتلك إرادتها - كان التاريخ بعد للأمة الإسلامية مرحلة جديدة أشد خطورة وامتداداً أشد قسوة ، ذلك هو زحف النفوذ الصهيوني على قلب العالم الإسلامي فلسطين ، تحت دعاوى باطلة وزائفة ، باسم أرض الميعاد ، ليدخل المسلمون حلقة من أخطر حلقات تاريخهم كله ، في نفس الوقت الذي أخذت قوى الماركسية والشيوعية تندفع أيضاً فإذا بالعالم الإسلامي يواجه قوى ثلاث في وقت واحد : هي النفوذ الغربي الذي كان يحاول التخلي تحت قناع اقتصادي ؛ والنفوذ الصهيوني الذي احتل رأس جسر في فلسطين وأعلن صحبته من النيل إلى الفرات والنفوذ الماركسي الذي خيل لبعض القادة أنه يستطيع به أن يهزم النفوذ الصهيوني . دون أن يفتنه للحقيقة الخطيرة التي تؤكد أن الصهيونية والماركسية وجهان لعملة واحدة .

ولقد تبين من مراجعات الباحثين (للكسبة ١٩٦٧) ، وأبعادها أنها كانت ثمرة حقيقية للسهج ضد التيار الإسلامي ومحاولة التماس منهج آخر غيره لبناء المجتمع الإسلامي في العصر الحديث ، وكانت المحاولة ترى مرة إلى اتخاذ أسلوب العيش الغربي وسيلة للتقدم والنهضة ، ابتهارا بصورة الحضارة الغربية وظننا بأن الإسلام هو مصدر التأخر ومرة أخرى في التماس المنهج الماركسي سبيلا لقيام المجتمع الإسلامي الجديد ، وقد مضت البلاد المرحلة تلو الأخرى تخوض تجربة ضخمة واسعة انتهت إلى تأكيد واضح بأن الجسم الإسلامي لا يتقبل العنصر الغريب ولا يمكن أن يستسلم للاحتواء أو الإذابة ، وإنه ليس في حاجة إلى أسلوب عيش جديد عليه ولا إلى أيديولوجية بشرية ؛ وهو يملك أصنى المناهج وأعظم النظم التي عرفتها البشرية وطبقها أكثر من ألف

عام ، والتي كانت مطبقة فعلا في العالم الإسلامي قبل وصول طلائع الاحتلال الغربي الحديث وتشهد كتابات علماء فرنسا في الموسوعة الضخمة التي كتبوها تحت عنوان (وصف مصر) إن مصر كانت تحكم بكتاب الله قبل الحملة الفرنسية وإن مجتمعا كان مجتمعا مسلما ملتزما ، قائما على الشريعة .

وهو الهدف الذي أجمعت على تحطيمه القوى الأجنبية والمستشارين الأجانب من عهد محمد علي إلى عبد الناصر ، ومن كان معهم من الخبراء الفرنسيين والبريطانيين والأمريكيين والسوفيت .

وقد تبين أن هناك محاولة ترمى إلى الحيلولة دون استئناف المسلمين حياتهم على أساس الإسلام ، وذلك بإثارة التفرقات القومية وتركيز المفاهيم العلمانية والتشكيك في العقيدة الإسلامية وتشويه التاريخ الإسلامي وإيجاد الفجوة والنحل الهدامة ، ولا ريب أن ذلك كله عملا مرتبا منسقا يهدف إلى تفكيك عروة الأمة الإسلامية أساسا إلى كيانات عنصرية متنافرة وهناصر متعددة متباعدة حتى يمكن ضربها جميعا واحتوائها ويمكن إسرائيل من البقاء والانتعاش .

(٢)

وقد تولت عمليات الهدم والتدمير جيلا من جيل عن طريق تقديم مفاهيم زائفة من خلال التعليم والثقافة والصحافة ، ترمى إلى إمتنان تاريخ المسلمين ودينهم وبطولاتهم وإعلاء شأن الغرب في حضارته وإعلامه في محاولة لإذابة القيم الأساسية التي قام عليها بناء الأمة الإسلامية والمقاييس التي قدمها لهم الإسلام في مجال الحرب والسلم وبناء المجتمع وإنشاء الحضارة ، وكان من أخطر المحاولات إخفاء الكلمة الإسلامية وإحلال الكلمة الغربية محلها فأصبحت الحضارة عربية والوطن عربي والأدب عربي والثقافة عربية ، والتاريخ عربي ، وذلك كله يرمى إلى إزالة اسم الإسلام من مقومات الفكر الإسلامي الحديث .

فإذا جاءت الدراسة تنطلق من منطلق عربي وجدت الحواجز والسدود

فإذا هي تفتح الباب أمام المارون والأرمن والاكراذ وكل فئة وطائفة ، في محاولة لتزريق وحده الأمة ، وإذا مضينا كان علينا أن نراعى عوامل كثيرة فهناك الفرعونية في مصر والفيتيقية في لبنان والبربرية في المغرب .

وهكذا نجد أن ساحة الفكر الإسلامي تنقلص وهكذا فالقومية تفرق والإسلام يجمع والحقيقة أن الثقافة والفكر والتاريخ تنطلق من العقيدة التي كانت حضارة هذه الأمة ، والإسلام هو المسكون الحقيقي لفكر الأمة عربا وفرسا وتركيا وهنودا جميعا انصهروا في بوتقة الإسلام ، في بوتقة لا إله إلا الله ، فصدروا عنها في هذا الفكر القائم على التوحيد والعدل والإخاء الإنساني .

وكانت تلك أولى المزالق الرامية إلى تدمير وحدة الأمة ، وتتوالى المحاولات في مجال القانون الوضعي والاقتصاد الربوي والتعليم اللاديني في محاولة لإخراج المسلمين من منهج الإسلام الذي ربوا عليه وتكونوا وعاشوا أربعة عشر قرنا حتى ينصهروا في الحضارة الغربية فتضيع ذاتيتهم وينتهى كياناتهم ويعجزون عن أداء رسالتهم التي وكل الله إليهم أداؤها وهي تبليغ كلمة الله للعالمين .

إن الهدف الذي سار عليه النفوذ الأجنبي هو تفريق هذه الأمة من معطياتها وقيمها وعقائدها حتى تصبح أمة منصهرة تعتق أسلوب الغرب وتذهب عنها ذاتيتها ، وهذه هي محاولة تلك القوى ، عدا بعد عهد ، حتى لا تستطيع هذه الأمة امتلاك إرادتها وإقامة مجتمعا إسلاميا الأصيل واستئناف حضارتها للعطاء بعد أن توقفت هذه الفترة التي سيطر عليها النفوذ الأجنبي وما تزال هذه القوى وهذه الایدولوجيات وتلك النظريات التي تبت للعقل الإسلامي وللنفس الإنسانية تعمل عملها لهدم هذا الحائط العالي الذي يحفظ للمسلمين كياناتهم الاجتماعية والروحية والخلقية .

وما تزال هذه التيارات تحاول السيطرة ، وهي تتخذ في كل مرة لبوسا مختلفا ، تحت اسم التجديد أو التقدم أو الانفتاح أو العصرية ، في محاولة مسمومة تحول بين المسلمين وبين إعادة تطبيق شريعتهم ، أو تحديد مناهج التربية والتعليم والثقافة وإقامتها على أساس الإسلام ومنطلق الخطر في ذلك كله هو التعليم والصحافة :

[ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تبيع ملتهم]

[ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا]

[إن تطاعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين]

فالفكر الغربي يرمى إلى فصل الدين عن الدولة والتبويه حول القانون الوضعي في محاولة لحجب الشريعة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي — والممارسية ترمى إلى ضرب التوحيد والعقيدة وفرض مفهوم الاتحاد تحت أسماء التقدمية والعلمانية .

والفكر الصهيوني يرمى إلى ضرب المروبة في كل ما يتصل بكيانها التاريخي والثقافي وهدم مفاهيم الأخلاق وإشاعة الإباحة ولقد صنع النفوذ الأجنبي هذا التيار المناوئ للإسلام ومكن له إعطاء القدرات الضخمة : أعطاه النفوذ والهوت المندوى .

وهكذا وجد النفوذ الغربي في هزيمة ١٩٦٧ (النكسة) إحساساً بأن عمله خلال العقود السابقة قد حقق شيئاً يمكن أن ينطلق منه إلى احتواء الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي ، ومن ثم بدأت خطط كثيرة ترسم ومؤتمرات كثيرة تعقد ، للقضاء على الأمة التي سقطت تحت سنايك الحيل .

ولكنهم كانوا غافلين عن معدن هذه الأمة التي تستطيع أن تتجاوز محنتها وتملأ فوق جراحها وتسترد قوتها وتعرف عبره الحدث الكبير : حدث النكسة بعد الهزيمة والنكبة خلال سنوات أكثر من ثلاثين عاما خدعت فيها واستسلمت الأسلوب الغربي وظنت أنه منطلقها إلى التقدم ، وخذعها دعاة التجديد بالاستسلام للتبعية وتوالت الضربات : الربا والقانون الوضعي والميراثية من معطيات الغرب وقد عجزت جميعها عن تحقيق ما ترجو أمه لها منهاجها الأمثل ومعطياتها الربانية الأصيلة ثم جاءت موجة الشرق ممثلة في القومية والممارسية والوجودية والمادية فلم تستطع أن تحقق شيئاً وفشلت أضخم تجربة للقومية والاشتراكية فقد كانت كلها أسلحة رفعت في وجه الإسلام ولم تزد على أن فتحت الباب للشعوبية والديون والازمات وضافت دائرة الاحتواء وكادت

أن تقهر الأمة في بوتقة الماركسيين لولا صدمة النكسة التي استغاثت القوى عليها لتعلن صيحة (العودة إلى الله) .

لم يكن الخطر واضحا أبان الاحتلال فقد كانت القوى كلها مجندة للمقاومة ولكن بعد الاستقلال جاءت مرحلة التراخي والاستسلام ثم تضاعفت في عصر حركة الجيش تحت اسم الحرية والعدل الاجتماعي وكان النفوذ الاجنبي يخفى وراء مؤسسات التغريب والتبشير والاستشراق ليسمم جميع الآبار : المدرسة والصحافة والثقافة وبدا كأن أنانورك وتجربة تركيا اللادينية هي المثل الأعلى في البلاد العربية فقد أعلن بعض القادة أنه هو المثل الأعلى لهم .

وإذا كان النفوذ الغربي والاستعمار قد استطاع بعد الحرب الأولى القضاء على الخلافة الإسلامية وتمزيق وحدة المسلمين فإنه استطاع بعد الحرب الثانية إقامة إسرائيل والقضاء على وحدة البلاد العربية ، فقد أراح النفوذ الاستعماري قادة اليقظة الاسلامية وقدم رجاله .

وقالت إسرائيل بعد النكسة : لقد انتقلت أزمة القيادة من عبد الحكيم عامر إلى عبد الحليم حافظ ، وكان معنى هذا أن المؤامرة استمرت فقد أعلن التقدميون أن سبب الهزيمة هو التراث والقديم والماضي وهم يقصدون بذلك الإسلام ، وماشهد الإسلام ، المعركة ولا كان مشتركا في هذه الجولة : ولقد أعلن ابا اييان وزير خارجية إسرائيل قال : إننا نعتمد على ثورة المثقفين العرب الواقعيين ، هؤلاء الذين تعتمد عليهم الصهيونية في حربها النفسية ضد الأمة العربية وفي تشكيلك الجيل المعاصر من أبناء هذه الأمة في تراثه وفي حضارته وفي لغته وفي آدابه ، ونحن نقول إن هؤلاء المثقفين سيسقطون في النهاية تحت ضربات المعاول .

إن النصر لا يبنيه الفنانون والمخرجون وإنما ينتزعه المجاهدون الذين يضعون طاقاتهم كلها تحت حكم لا إله إلا الله والله أكبر فيحققون من المعجزات ما لا يتابعه الاحلام والتصورات .

لقد كان معنى النكسة الاسراع بالقضاء على ما بقي من كيان الأمة بتسليط

الاباحيات في الافلام والمسرح عليها بحجة صرفها على الواقع المر ولكنه كان بمفهوم الماركسين والتغريبيين القضاء على أخلاقيات الأمة نهائيا .

إن نكسة ١٩٦٧ هزت الوجدان المصري من الاعماق ووضعت الإنسان أمام الحقيقة الخالصة والعارية وهي أن وجوده مهدد ، دأش هذا الجيل منذ النكبة الأولى أسير الرؤيا حاملة ، فضاعت أحلامه ، وقد كشفت النكسة أن كل هذه المطروحات التي قدمها الشيوعيون والتقدميون لا تؤدي إلى شيء ، وأنه لا بد من حضارة عربية إسلامية تقوم على العلم والحق معا ، وإن الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية تركز على هدم الدين واللغة والأخلاق والتاريخ ، فإذا تحطمت أمكن السيطرة على هذه الأمة سيطرة كاملة .

٢ - وكان حكم الطغاة أبرز ما حطم أجنحة هذه الأمة .

يقول الدكتور حسين مؤنس : إننا لاننسى أبداً أن (رجال الحركة) أضاعوا علينا فرصة الأبد فيما كانوا يضعون وقتنا في هزليات ومسارح ومؤامرات وحروب أهلية بينما كانت إسرائيل تنشئ وتنشئ ، كانت تنشئ المزارع والطرق والمطارات تحت الأرض وتبنى مصانع السلاح ، وكانت تعلم شعبها النظام والقانون ونحن نحارب القانون ، ولم تصدر القوانين الاشتراكية عن حب للمال أو الزراع وإنما عن حقد من كل من كان صاحب مال ونعمة ، ومصر انفتحت قرناً ونصف قرن لكي تنشئ في بلادها قاعدة من المثقفين والعلماء لجاء عبدالناصر ليعلم الحرب على كل مثقف وصاحب علم والذين انشأوا المصانع وفتحوا لنا أبوابا للعلم والتقدم عوقبوا ونزعت منهم مصانهم وأعطيت لمن يخرّبها ويفسدها ، وما سمي بالمسكاسب الاشتراكية أصبح نتيجة للحقد وسوء النية مصائب قومية ، والعامل الذي تهمل عندما سمع إعلان القوانين الاشتراكية وظن أنه يتخلص من استبداد صاحب رأس المال وجد أنه يتخلص من سيد ليجد نفسه عبداً لمائة سيد .

والنتيجة هي ماترى* : دين يصل إلى ٦ آلاف مليون دولار .

كانت الاشتراكية الناصرية عطاء بدون عمل ، عطاء يدفع الآخرون

ثمنه . وعبد الناصر دخل حرب الين وهو يقول أنه لسان الحرية ، ثم يتضح بعد ذلك أنه أرسل قواتنا إلى الين لكي يعاقب رؤساء تجرأو على نقده ، هل كان في صالح شعب مصر أن تسخر قواته وموارده في خدمة طموح رجل واحد ، أو لخدمة مواطنيه والانتقام من خصومة شخصية له في العالم العربي .

هل كان من اللائق أن يقال أن مصر تدخلت في الين لنقل الشعب اليني إلى الحضارة ، وهل كان شعب مصر يتمتع إذ ذاك بالحرية والعدل حتى يذهب برسالة الهية إلى الين للنشر العدل والحرية فيه ، لقد أحس عبد الناصر وعامر أن مركزهما قد اختل في العالم العربي بعد الانفصال عن سوريا فسمعا للدخول في مغامرة جديدة على حسابنا وحساب قواتنا .

ويقول الدكتور حسين مؤنس : لقد نادى عبد الناصر بالحرية في العالم العربي ثم جعلها احتكراً لنفسه لحسب ، وطالب بحقوق الشعوب ثم انفرد وحده بكل الحقوق ، وقال أرفع رأسك يا أخى ثم عمد إلى قطع رأس كل مواطن حاول رفع رأسه ، ورد الناس بذلك إلى عصر من الذل والخوف هو أسوأ من كل مآلات مصر في تاريخها .

وقال عبد الناصر : أن البلد في عهده تحكمها عصابة . فقد قصر الحرية وصنع القرار على نفسه ، وجرد الأمة كلها من كل رأى ، وأخافها وافزعها واصكت صوتهما وتحمل وحده كل المسؤوليات فكان عليه أن يتحمل كل التبعات ولقد تحمل الشعب وحده نفقات امبراطورية عبد الناصر ، وكان بالنسبة للعرب المعلم البلدى الفيس الذى يتفق على أصحابه في المقهى في حين أن امرأته (مصر) في البيت تضرب رأسها في الحائط .

وعبد الناصر ما كان يتوق إلى الانتصار على إسرائيل أبداً ، ورغم هزيمته وما أعقبها لم يتخل عن استبداده أبداً ولا رفع عن المصريين قيده من القيود التي قيدهم بها .

وإذا كانت حقيقة الأمة قد غابت عن عبد الناصر فقد غابت عنه

حقيقة أخرى هي أن الحرية هي القاعدة الأساسية التي لا يستطيع شعب أن ينهض بدونها وأن الحرية قوة الحاكم قبل أن تكون قوة للشعب والحاكم مهما كانت قوته المادية والعسكرية لا يستطيع أن يصل إلى النصر إذا كان شعبه مكبلاً بالأغلال . أن كل قوته لا ترجع إلى شخصيته ولكن ترجع إلى إرادة الشعب ، ولأن عبد الناصر لم يكن يؤمن بالحرية فقد عادى كل الذين يحتاجون للحرية من المواطنين لكي يعملوا أو يعلموا أو يقدوا بلادهم وهم المفكرون والقادة والعلماء والفنانون . إن الزعيم الذي يعتمد على تصفيق الشوارع يعتمد على هواء ، لأن جماهير الشوارع طيبة ساذجة ولكن لافئمه لها إلا إذا كانت على نور ، وقد درسه الأجانب وعرفوا مفاتيح شخصيته ، إذا أرادوا منه أن يفعل شيئاً طلبوا منه العكس فيفعل ما يريدون .

وعندما وصل عبد الناصر إلى السلطة قرب إليه رجال من الصفوف الخلفية واتجه إلى التخلّص من كل شخص له شخصيته ، وما فتح الطريق أمام المستبد ليصل بالاستبداد إلى مداه إلا حاشية السوء ، وكان أبرز أعماله تصفية العائلات والتعذيب وكانت التأميمات ترمى إلى حرمان كل مصري من أي سلطان .

(مجلة أكتوبر - ١٩٨٣)

(٣)

لقد كان من أكبر أخطاء الحكم الوطني بعد الاستقلال أنه لم يراجع ما صنعه للمستعمر في بلاده ولم يفكر من سیر الاتجاه والتوجيه فيهما وسلك نفس طريق الاستعمار قبله في إخلاء الواقع الإسلامي من الإسلام . أكد العلمانية في عزل الدين عن الدولة ، فأبعد عن التعليم

وفي التشريع وإضعفه في معاهدته ومؤسساته وألغى المحاكم الشرعية ؛ وسوى
هذا الحكم الوطني في بعض المجتمعات الإسلامية بين الرجل والمرأة في
الميراث فقلد الطليان في قيود الزواج والطلاق وأتاح الفرصة للدولة في أن
تبارك زواج المسلمة بغير المسلم بينما البعض الآخر رفع القرآن كلية ووضع
مكانه الاشتراكية اللينينية لكارل ماركس وماوتسى تونج ، ومن مسح
الأحوال الشخصية في الإسلام من زعماء هذه المجتمعات الإسلامية أو طرد
الإسلام كلية يعلن اعتزازه بما فعل ويحدد فهمه الخاص بالإسلام أو بالإضافة
إلى فلسفة العصر وهو في حقيقة أمره أحمى يرجو أن يستمر حاكماً من غير
أن يحاسبه الإسلام على عدم صلاحيته للحكم والولاية العامة . ولم يأت
حاكم وطنى بعد الاستقلال . يراجع دستور العمل والحكم في بلده على هوى
من تعاليم الإسلام بل من يشير من الحكام الوطنيين لو أشار إلى الإسلام
فإنه يكتفى من الإسلام بأن يكون اسمياً .

* * *

الفصل الرابع

النكسة : علامة تحول حقيقي نحو الأصالة

لقد كشفت هزيمة يونيو ١٩٦٧ (النكسة) جملة حقائق لا سبيل إلى تجاوزها :

أولا : أن الخط الذي سارت فيه مصر والبلاد العربية كان مضللا ولم يحقق النتائج التي تصورها الذين ساروا فيه ودعوا إليه حين ظنوا أنه الوسيلة لإخراج العرب من الازمة ، وتحريرهم من التخلف ، وتمكينهم من امتلاك إرادتهم ، بل أن هذه الدعاوى التي حملها دعاة التجديد والتقدم والعصرية والنهضة كانت كلها محاولات زائفة لكي يفقد المسلمون والعرب آخر ضوء يصلهم بقيمتهم وعقائدهم ويخرجهم من إطار الإسلام لينصروا في بوقعة الحضارة الغربية ، هذا ما كان يدعو إليه طه حسين بدعوته إلى التعليم الغربي مع حجب التربية الإسلامية ، وسلامة موسى من دعوته إلى العصرية وعلى عبد الرازق من فصل الدين عن الدولة وساطع الحصرى من فصل العروبة عن الإسلام ذلك أن صوت الدعاة إلى الوطنية في إطار الإسلام قد هزمته القوى الاستعمارية حين أنشأت دعاة العلمانية في مجال السياسة وكان رائدها هو سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمي : هذه المدرسة التي أنشأها كرومر ، فاشتغلت بالولاء الغربي والإعجاب بالديمقراطية الغربية فاخففت الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية والإسلامية والاقتصاد الإسلامي وأهار المجتمع الإسلامي تحت ضربات عوامل الانحلال والفساد الذي جلبه الاستعمار .

ثانياً : تنامي التيار الغربي الاجتماعي والاقتصادى والثقافى بعد أن انحسرت عملية الحصار الاستعماري السياسى والعسكرى فقد وضع المجتمع كله تحت هذه العوامل فكان ذلك مقدمة لتيارين الخطارين الذين ظهرا في المرحلة التالية وهى التبعية للاماركسية وسيطرة الفكرة الصهيونية ، وكان جوله سقوط فلسطين ١٩٤٨

إلى سقوط القدس ١٩٦٧ هـ بمثابة الجولة الواسعة التي كشفت فساد هذا الاتجاه كله على أيدي سعد زغلول وطه حسين وجمال عبد الناصر .

ولقد هزم ذلك الأسلوب الغربي في أول الأمر وهزم الأسلوب الماركسي في آخر الأمر ، وكشف عن حقيقة مذهلة هو أن الطريق الذي فرض على المسلمين والعرب — والذين لم يكونوا راغبين فيه بل كانوا معارضين له — هو الذي أوصلهم إلى هذه الهزيمة الساحقة .

غير أن المحاولات بدأت تجرى على أساس التحول مرة أخرى من أحد القطبين إلى القطب الآخر ، درن القبول بما تعالت عليه الصيحة الخالدة : صيحة العودة إلى الله .

فما تزال القوى الغربية تراوغ حتى لا يحقق المسلمون والعرب إرادتهم وإقامة مجتمعهم على أساس نظامهم الأصيل ومنهجهم الخالد .

وما تزال القوى المسيطرة تثير الغبار في وجه المد الإسلامي والصيحة الإسلامية ، وما تزال تثير السموم حول الشريعة الإسلامية جملة في محاولة لاحتوائها وإخضاعها للحضارة الغربية واستخدامها لتبرير الأوضاع المنحرفة والمنهارة من أجل تحقيق هدف واحد هو « التبعية » و « الاذابة » وصهر الفكر الإسلامي والأمة الإسلامية كلها في بوتقة الحضارة الغربية بنظامها المتآكلين المضطربين : الرأسمالية والشيوعية .

ثالثا : أن المخططات التي قدمها الماركسيون والغربيون لاحتواء نكسة ١٩٦٧ كانت كلها محاولات باطلة وفاشلة وكاذبة ، وهي في باب (التويه) في محاولة جديدة لدفع المسلمين والعرب إلى نفس الطريق الذي صاروا فيه من قبل وعلى عيونهم عصابة ، واثقين من دعاة ماشين خدعهم عن الطريق الصحيح .

إن الحقيقة أن المسلمين لم يصابوا بالنكسة إلا من جراء ابتعادهم عن منهجهم ولو أنهم اتبعوا منهجهم ما استطاعت القوى الأجنبية أن تهزمهم ولا القوى الصهيونية أن تتكون وتركز وجودها في قلب العالم الإسلامي .

إن محاولة لإعلاء تيار القوميات والاقليميات كان أكبر الأخطار فقد حاولت أن تقضى على الوحدة الإسلامية السياسية وكان التعليم الغربي المفرغ من روح الإسلام هو العامل الأكبر في القضاء على قوة الصمود وعدم الاستسلام للأهواء والمغريات .

ومن ناحية أخرى تراخت القوة العسكرية الإسلامية ولم تأخذ بأسباب الترابط والاستعداد فافتحم العدو معاقبها وهي غافلة .

لقد كانت هزيمة التربية الإسلامية مصدر زرع اليأس والخوف والتحلل والاسترخاء وراء اللذات والأهواء ، بحجة أن الاستعمار العسكري قد ترك البلاد في نفس الوقت التي استعصم العدو بالتوراة وبني شبابه على أساس معصب والحقد ، وكون قواه العسكرية .

لذا تحرك العالم الإسلامي لمواجهة الاستعمار وجاهد في سبيل التخلص منه ثم سقط تحت سناوله فكرياً واجتماعياً بعد الاستقلال فأحيط به في غزوة جديدة ، ذلك أن المغتصب لم يترك أهل البلاد يقيمون بناتهم بل سلب عليهم عذرا جديداً ، بعد أن فرغ وجودهم النفسي وكيانهم العقلي من روح الاسلام القائم على المقاومة والترابط في الثغور .

يقول الباحث الإسلامي ليوبولد فابس (محمد أسد) ،

« رأينا كثيراً من الدول الإسلامية المستعمرة : أصبحت مستقلة ، وربما ظن بعض الناس أن هذا الاستقلال إشارة إلى مستقبل الاسلام ، ولكن ليس كذلك ، رأينا في كثير من الدول المستقلة أن الناس يفرون من الإسلام يريدون الأحكام الشرعية بأحكام غير شرعية أخذوها من الأجانب ويطنون أسوأ أفضل وأرق من الشريعة الإسلامية ، ليس عندنا أي أحد يستطيع أن ينكر أن الاسلام أكل عقيدة وأكمل منهج حياة (ايدولوجية) ظهرت في تاريخ الانسانية ، وأكبر من هذا أن الإسلام حقق أول مجتمع ايدولوجي في العالم ، فلماذا يفر الشباب ويتكون هذا السكال بالنواقص التي يأخذونها من الأجانب .

أرى أن الجواب يكمن في نواقصنا لفهم الشريعة الإسلامية : إن الشريعة الإسلامية هي دستور حياة الأمة الإسلامية فكل شيء في المجتمع الإسلامي مؤسس على الشريعة العادلة التي يتساوى فيها كل الناس ولا فضل لعربي عن أعجمي وهذا مالا وجود له في مجتمعات غيرنا فكل حياتنا كانت من ابتدائها مؤسسة على الشريعة ، والشريعة مفتوحة فائحة لكل فرد من أفراد المسلمين فيها قوة دافعة لحياة الإسلام ، فإذا أغلقت أبواب فهم الشريعة جفت العناصر ونقصت القوى الدافعة .

الشريعة الإسلامية هي الدستور الخالد لحياة الأمة الإسلامية ، ولا وجود للمجتمع الإسلامي بدون أن نطبق أحكام الشريعة على تكوينه الثقافي والاجتماعي .

رابعاً : يؤكد علماء الاجتماع المسلمون أنه لا بد من بناء الأجيال الجديدة المسجلة على الإيمان بالحقائق ، والوعى بالإخطار ، والتكوين النفسى القادر على مواجهة التحديات لقول مالك بن نبي : إن كل تغيير اجتماعي واقتصادي أو سياسى يكون دوماً نابهاً لتعبير أولى في (النفوس) بحيث لا يتصور أن عملية تغيير من النوع السياسى أو الاجتماعى قد تأتى في جو من القنوط والخمول حتى ولو توفرت من الناحية الفنية المجردة ما يسميه (شروط الانتقال) وربما وجدنا في هذه الاعتبارات العامة ما يوضح لنا المعنى الذى يشير إليه عز وجل في قوله المحكم :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

فعلى هذا الأساس يجدر بنا أن نتأمل بالنسبة للعالم الإسلامى في إيماننا بشروط يتأتى لها انتقاله من حالته الراهنة إلى حالة أحسن لمصلحه وأسعد لحياته ؛ الأمر يقتضى تغيير الجو النفسى الذى يعيش فيه مسلمو اليوم وهو يتصل بضميره بين كارثة وأخرى مثل كارثة فلسطين وكارثة باكستان ، هذه الصكوات التى أن عبرت عن شيء فلإنما تعبر عن قنوط وخمول في حياة المسلم

اليوم ، هذا الغرور لا يمكن تفسيره بدوره الاعلى أن المسلم لا يجد في حياته الشخصية والاجتماعية المبررات الكبرى التي تميز المجتمعات في الساعات الساخنة لما يؤذن لها آذان الانتقال من حالة استسلام إلى حالة رسالة مخاطب بها نفسها أولاً والانسانية ثانية .

القضية اليوم منحصرة في إيجاد المبررات الجديدة التي تجدد في المسلم الشعور بالطموح والرسالة ، شعوراً يجعله ينظر إلى نفسه كصاحب رسالة ، وإلى غيره كمن قد مثلما كان أيام عمر حتى أرسل وفده إلى رستم قائد كسرى فنراه يخاطبه خطاب النداء بل أكثر : خطاب الانسان الملمم الذي أتى من أجل تخليص خصومه أنفسهم .

رابعاً : علينا أن نحول دون ذوبان الشخصية الإسلامية في الامة . حين نقرأ أفكاراً غريباً ، ونسمع ونشاهد مسرحيات غريبة ، وتقدم لنا الصحافة وجهات نظر غريبةنا على أنها القدوة والقيادة التي يجب أن نستمع لها وأن نخضع ، حيث يقدم لنا السياسة والتاريخ والاقتصاد على أننا أتباع وفي ذيل القائمة ، مع أننا نملك الثروات والطاقة والتفوق البشري ، ولكننا ناهمون في هذه المجالات يدار أمرنا بيد غيرنا ولا نملك إرادتنا الحقيقة في توجيه اقتصادنا أو ثرواتنا .

إن المخطط الاستعماري المعادي للإسلام والعرب يعمل على تدمير القيم الإسلامية وتفتيت الروح الإسلامية وإدخالنا في دائرة الاحتواء والتبعية .

إن هناك محاولات لإعادة تشكيل فكر الانسان المسلم للسيطرة عليه إن التفوق الآلي في الحضارة الغربية (يشقيها الرأسمالي والشيوعي) قد أعطاهما بعض الأسلحة التي تحاول بها (تدجين) المسلمين على النحو الذي يجربه الانسان على عالم الحيوان وإن أسراعنا في الإعجاب بحضارته الغرب وقبولها واعتناقنا عادات الغرب وتقليدنا قشور حضارة يسارية بنا إلى الانصهار في هويته .

إن هناك محاولة لتدمير القيم الإسلامية باقتلاعها من صدور المسلمين حتى تصبح كالمدينة المفتوحة ، هدفا لكل ناهب وغاز .

إنهم غيروا مفهومنا للحرب والسلام ، وإقامة المجتمع الإسلامي ، ووضعوا مقاييس الفسك الغربى المادى أمامنا كأسلوب لقياس الأوضاع والأحداث واختفت وراء ذلك مقاييسنا الحقيقية المستمدة من القرآن والسنة ومن تاريخنا وتجاربنا قبلنا أسماء ورؤى ووجاهات نغار تختلف مع مفهوم الإسلام تحت اسم العصرية والحدثة والتقدم ولكنه لم يؤدى إلا إلى هزيمتنا واندحارنا .

خامساً : لقد تأكد للقوى الغربية منذ وقت بعيد أن هذه الأمة لا يمكن أن تستسلم للاحتواء أو الانصهار فى بوتقة نفوذها ، وأن العرب لن يقعوا فى تجربة تركيا مهما تضافرت القوى للتأمر عليهم .

يقول الكاتب الغربى : (جون سى . بادو) أن الدين قد أخذ ينبعث ويتبوأ مركزاً فعالاً فى الحياة فى حين كان كثير من الناس قبل الحرب العالمية الثانية يعتقدون أن انبعاث الدين بهذا الشكل أمر مستحيل ، لقد حدث فى تركيا بعد وفاة كمال أتاتورك إحياء للشعور الدينى على أن هذه النهضة لم تكن مجرد إحياء لموروث دين ماضى ، وإنما كانت محاولة لتفسير الدين تفسيراً جديداً وقد حدث نفس الشيء فى إيران . فعند زوال رضا شاه والجماعة التى انبثقت حولهُ عاد علماء الدين (المللى والشيوخ) إلى احتلال مراكزهم فى المجتمع كإظهار من أهمية الحزب السياسى الذى يقوده المللا الكاشانى ، وهكذا عادت المظاهر الدينية القومية تحتل من جديد مكاناً بارزاً فى الحياة الإيرانية .

إن الدين لسبب من الأسباب قد عاد إلى مسرح الحوادث فى الشرق الأوسط منذ ١٩٣٩ وأن الاتجاه العلمانى قد خفت غلوائه وعودة الدين هذه لم تكن بالدرجة الأولى انبعاثاً ثقافياً ، هذا الانبعاث الدينى اليوم لا يوافى فى الدرجة الأولى انبعاثاً فكرياً وليس هو محاولة لحاق فلسفة دينية جديدة كما أنه ليس محاولة أخرى لتحسين موضع الدين بالنسبة للقوى التى تتغلغل فى المجتمع

الآن ، وإنما هو في الحقيقة عبارة عن إحياء الدين كعامل اجتماعي وكحزب سياسي وكجزء من كيان المجتمع ، وأن بروزه في الصحف بعنوان ضئيلة إنما جاء بصفته قوة من القوى الاجتماعية . ذلك أن الإسلام عبارة عن قوة اجتماعية سياسية فعالة ، أن الإسلام دين وهو في الوقت نفسه دولة ، على هذا يكون من المحتم أن يستتبع كل إحياء للشعور الديني إحياء للدين بصفته قوة اجتماعية وسياسية ، تحليل هذه الظاهرة واضح فإنه بعد قيام إسرائيل كان لا بد للإسلام أن يندفع بقوة ليغطي منطقة الفراغ وليلحد الوجهة ازاء التنازلة الجديدة التي أضافت إلى نازلة الاستعمار الأجنبي الذي كان قد بدأ الانسحاب من مواقعه العسكرية والسياسية الظاهرة وكان هناك تطلع واضح من جانب القوى الوطنية والإسلامية التي ظلت تعمل على أنها تستطيع من إقامة نظام منبعث من مفاهيم الأمة ومنطلق من تراثها وقيمها بعد انسحاب الأجنبي ، غير أن قيام دولة اليهود قد ضاعف الخطر وحمل في أطوائه محاولة جديدة لضرب هذه القوة الوطنية والإسلامية التي تنامت خلال فترة الحرب وما قبلها والتي كانت مؤهلة لآداء دورها الشرعي والطبيعي بعد الحرب ولقد كان لوجود إسرائيل أثر جديد يضاف إلى الأثر الذي خلقه الاستعمار ونمائه طوال تلك الفترة ، فتضاعفت متاعب المسلمين ، وبدأ أن الأمل في تحقيق هدف المسلمين في إقامة مجتمعهم وتحقيق إرادتهم قد بدأ بعيداً ، ذلك أن الصهيونية أخذت تضرب في جدار الإسلام ضربات أخرى وعمدت إلى خلق مؤامرات جديدة عن طريق تشويه الثقافة والتعليم والمفاهيم الإسلامية ، وكذلك عن طريق الاحتواء وكسب ولاء بعض الحكام فضلاً عن أن تأكيد وتدعيم الانظمة الغربية في عالم الإسلام كان من الدعامات الأساسية للبقاء الاستعماري والصيوني ، فضلاً عن أنها فتحت الطريق للماركسية والشيوعية سواء عن طريق إنشاء الأحزاب الشيوعية أو عن طريق موالاته الروس . بعض الانظمة تحت تأثير الخروج من قسوة قبود الغرب ، حتى لقد قيل أن هناك قوى تهدف إلى الصعود على السحب الإسلامية حتى تلتقي نفسها في أنون الشيوعية فإن ذلك جزء من مخطط عرف بمخطط الحكومة الخفية التي تحكم العالم من وراء ستار .

هذا وقد تبين بوضوح أن المسلمين لم يقبلوا المنظومات الغربية أو الايدولوجيات الوافدة ولكن القوى الغربية هي التي فرضتها عليهم وانشأت قادة يقدرون أمهم إلى الهاوية تحت اسم التقدم والعصرية ولو كانت الامور تدار على نحو من الحوار لما قبل المسلمون هذا الركام الزائف من الفكر المادى الوافد بانحرافاته في مجال الاسرة والمرأة والمخلوق والمعاملات ، ولكن الامور كانت ولا تزال تدار بوسائل التآمر والخداع وفرض وجهة نظر الغرب في مقابل بعض المعطيات ، ومحاولة دعوة بعض العناصر إلى اعتناق هذه الوجهة باغراء السيطرة ، أو استدامة البقاء والنفوذ ، ذلك لأن النفوذ الوافد لا يستطيع في الحقيقة أن يعيش وينمو ويسيطر دون سناد من الداخل .

ولاريب أن التبعية الاقتصادية والمالية قد فرضت السيطرة في جميع وجوه الثقافة والتعليم والاجتماع ، ودفعت العرب إلى بيع نتاج حضارته الاستلاكية واستنزاف ثروات الامم من أجل كاليات ونرف وأسباب تسلية ووسائل انحلال وعيث .

سادساً : لقد فشلت محاولة التقدميين والماركسين في اتمام الإسلام بأنه مصدر المزيمة في نكسة ١٩٦٧ وتكشف أن غخطاطهم التي سيطرت على المنطقة وكانت وليدة غخططات الرأسمالية هي المصدر الحقيقي في وصول العرب والمسلمين إلى هذا اللوقف الخطير الذي هو علامة تحول حقبية نحو الاصالة .

لقد صدرت كتابات جلال العظم ونديم البيطار وفؤاد زكريا تهاجم الإسلام وتطالب بالدولة العصرية العلمانية في مصر وهذا غش فكري مكشوف ، فمن المقرر أن الإسلام نحي عن المعركة وافصى عن الصراع بين الامة الإسلامية واليهود ، فعل جبهات القتال قبل الحرب وأثناءها عام ١٩٦٧ لم توزع المصاحف على الجنود وإنما وزعت صور أم كلثوم ، ولم يذكر اسم الله وإنما شنت مجلات تابعة لبعض جيوش الجبهة هجوما على

الله تبارك وتعالى وطالبت بوضع الدين في متحف ولم يمكن المؤمنون الصادقون من قتال عدوم وإنما سيقوا إلى المعتقلات والسجون فعلى أى منطق يحاسب الإسلام على أخطاء وانحرافات تمت في غيبته ، وهكذا حاولت القوى التغريبية التابعة للماركسية وللصهيونية وللغرب أن تمنح فكر الهزيمة عمرا جديدا ؛ قال نديم البيطار :

إن هدف الثوريين في الغرب هو تحرير المجتمع من الدين . وإن هذه بداية كبدية الثورة الفرنسية عندما وقف أحدهم في الجمعية العامة وأعلن أن عدونا الأول ليس الاستقراطية وليس الملك وليس الكنيسة وإنما هو أولا الديان ، لقد عانت هذه القوى سواء في كتبها في ندوة أو أزمة التطور الحضارى التى عقدت في السكويت عداوتها للإسلام وهى عداوة مشتركة بين أطراف الصراع : الماركسيون والعلمانيون والرأسماليون وكانت هذه الندوة جهدا نظما لحلحلة العقائد الإسلامية والشريعة الإسلامية ابتداء من الإيمان بالغيب وانتهاء بالمواريث . ولا ريب أن الصراع بين الأمة العربية والإسلامية وأعدائها جميعا إنما يهدف إلى التشكيك في عقائد الإسلام ، وأدواته في الفكر والثقافة والتعليم .

وقد انحصرت هذه التيارات الضالة وتبينت الأمة الإسلامية حقيقة موقعها وأخذت تتطلع إلى فكر جديد ، وأدركت الأمة أن هزيمة يونيو كانت هزيمة للأظمة التابعة للشرق أو للغرب ، وهزيمة للإنسان المادى الذى يحارب بلا عقيدة ويدافع بغير إيمان بشئ ما ، وكان لابد للأمة أن تبحث عن عقيدتها وأن تخطط طريقا جديدا فسكان هذا الاندفاع نحو الإسلام ، حيث أصبح المسلمون جميعا على قلب رجل واحد يتطلعون إلى مجتمع إسلامى أصيل قائم على أساس الشريعة الإسلامية .

كما سجل التاريخ انحصار الفكر الغربى والشيوعى أمام المقاومة الإسلامية فكراً وتطبيقاً وفي هذه الفترة غزا الإسلام قلب الحضارة الغربية في أوروبا وأمريكا مؤكداً أن الإسلام هو دين الفطرة وأنه لا محالة عائد .

وهكذا كانت نكسة ١٩٦٧ منطلقاً جديداً كشف عن هذه الصورة التي هزت العالم كله وألهمت أمثال موريس بوكاي وجارودي وهما من كبار فلاسفة المسيحية والماركسية الاتجاه إلى الإسلام حتى يقول جارودي :

إن الإسلام له دور متغير لتغيير كثير من مفاهيم البشر ونحن في أوروبا نطرح دائماً جملة (الإسلام القادم) كحل لازمات نفسية وفكرية واقتصادية وربما سياسية أيضاً .

عصر الاسلام قادم والغرب في حاجة إليه ، أنا واحد من رواد الحضارة الغربية أقول صراحة أنها قادت لانسان بعد كل هذا التقدم المادى إلى طريق مسدود ، نعم هي حضارة تدهو إلى مزيد من الانماء والانتاج بلا حدود من أجل مزيد من الرفاهية التي وصلت إلى حد الترف ولكنها في نهاية المطاف ركزت على الانتاج العسكرى وصنع الاسلحة بكمية رهيبة تجاوزت الملايين وما الغرض منها في نهاية المطاف إلا خراب الانسانية .

وشتان بين معطيات الحضارة الغربية ودورها وبين معطيات الحضارة الاسلامية في كافة الجوانب الروحية والخلقية والعلمية والعملية ، التي استقى منها العالم والتي لازالت رغم معاول الهدم المستمر تعمل عملها في الأمم وفي النفوس إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

الباب الثالث

تزيف حقائق الإسلام

(مهمة الاستشراق والتغريب)

الفصل الأول : لإزالة التمييز الإسلامي الخاص والذاتية الإسلامية .

الفصل الثاني : تزيف حقائق الإسلام .

الفصل الثالث : قضايا الاستشراق .

الفصل الرابع : المدرسة والمناهج التعليمية .

الفصل الخامس : الجامعة وتبعية المناهج الجامعية .

الفصل السادس : (١) تغريب الأزهر .

(٢) قضية التطوير .

(٣) المدرسة الحديثة وانفصالها عن الأزهر .

الفصل السابع : مدرسة الترفيه والتسلية .

الفصل الثامن : (١) مدرسة الصحافة .

(٢) تجاوزات الصحافة السياسية .

(٣) كيف أفسد التغريب الصحافة .

(٤) الصحافة وكتابها التاريخ .

(مدخل)

أربع مؤسسات خطيرة استحوذ عليها النفوذ الأجنبي من أجل تفريب الفكر الإسلامى وإثارة الشبهات حوله وضرب الأمة الإسلامية فى مقاتلها وتشويه خطواتها نحو تحرير وجهتها وإملاك إرادتها تلك هى :-

(١) الاستشراق : المؤسسة الصانعة لكل السموم والشبهات .

(٢) المدرسة عن طريق التعليم .

(٣) المدرسة الموازية عن طريق وسائل الاتصال والتسليية .

(٤) الصحافة بسمومها المبشورة يوميا فى الخبر والقصة والصورة .

* * *

وقد جرى الاستشراق طوال قرن ونصف إلى هدفه عن طريق أساليب مختلفة ووسائل متعددة ، وانتقل من التعصب إلى المكر ، ومن القوة إلى الخداع وكون أجيالا ، وترك ترانا ضغما ، مبشورا فى شتى مجالات الفكر واللغة والعقيدة ما يزال مرجعا أساسيا فى كثير من المدارس والجامعات ، ومصدرا للباحثين من الطلاب الذين يفرض عليهم أسانذتهم مراجع معينة تمثل وجهة نظر معينة فالدارسون فى الولايات المتحدة تغلب على مراجعهم الاستشراقية أهواء الصهيونية وسمومها ، وفى الغرب تغلب مفاهيم فصل الدين عن الدولة وفى الاتحاد السوفيتى تغلب نظرية التفسير المادى للتاريخ والحياة والسكون ، وكلها نظريات مضادة لمفهوم الإسلام وحقائقه ، فتحن اليوم بين تيارات استشراقية صهيونية وماركسية وغربية رأسمالية بذنا لا ينفصح المجال أبدا لوجهة النظر الحقيقية لهذه الأمة الممثلة فى مفهوم الإسلام .

* * *

٢ - إن أكبر عوامل التزييف التى تبدو على الساحة الفكرية اليوم هى : عرض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال وجهة نظر : إما رأسمالية غربية أو اشتراكية ماركسية مع تجاهل شديد وتآمر صامت على وجهة النظر

الاصيلة لهذه الامة ، التى تتبع من فيصتها وتراثها فى مسائل تتصل بمجتمعها وعقيدتها : تلك هى وجهة نظر الإسلام .

فى الجامعات تدرس القضايا من خلال الرسائل أو الماركسية . وفى مجال الاقتصاد أو علم النفس أو التاريخ أو الادب لانجد لإلهذه النظريات الوافدة ، تلك التى جاثنتا مع النفوذ الغربى والآخرى التى تسربت إليها فى فترة الظلال الماركسية ، وما يجد شبابنا فرصة أو بادرة تكشف له وجهها آخر لهذه القضايا غير هذين الوجهين ، فلا يعلم أن هذه القضايا فى بلاده يمكن أن تدرس بأسلوب عربى إسلامى مستمد من تاريخ يمتد خمسة عشر قرناً ومن حضارة باذخة ومن فهم إسلامى جامع قدم خبرته وتجربته فى مختلف هذه المجالات ألف سنة كاملة للبشرية كلها وقامت على أساسه الحضارة العربية المعاصرة .

٣ - ومن الظواهر الواضحة أن الكتاب الشيوعيون المنتمون الآن باليساريين سواء فيهم اليساريون الخالص أم اليساريون المنتمون للإسلام ينشبون فى كل مكان وفى كل مؤتمر ، عشرات المؤتمرات تعقد المغرب تحت اسم (التراث والفكر السياسى) وفى أماكن أخرى كثيرة يحضرها أمثال أحمد بهاء ، وكامل زهيرى ، حسن حنفى وخلف الله . الخ ، ويتحركون فى حرية تامة وينشون فى هذه المؤتمرات مفاهيمهم المسمومة ويعرضون للإسلام فى استهانة شديدة .

وترى أمثال محمد جابر الانصارى فى مجلة الدوحة ، وأغلبهم يتحرك فكراً ماركسياً ، ومدرسة العلوم الاجتماعية ، ويتخفون تحت أسماء ورايات مختلفة وفى مؤتمر المركز القوى للبحوث الاجتماعية والجناية الذى يشرف عليه عليه الدكتور أحمد خليفة تراهم ظاهرين بشكل يدهش له القارىء ، فهل لم يعد هناك باحثون اجتماعيون فى مصر غير هؤلاء ذوى الولاء المنحرف ، ومؤتمرات العروبة والمشروع العربى الحضارى فى بيروت نجد أسماء كثيرة تتكلم وتتحدث وتحاول أن تضفى على العروبة قداسة وإعلاء وخاصة من المتحدثين باسم البعث والناصرين وكتاباتهم ذات هوى ، ومفرغة من الإيجابية ، وخالية من نهج

العلمي ، وهي عبارة عن إمشاح تكشف عن سخرية بكل القيم العربية والإسلامية ومحاولة دائبة تعمل على تحطيم هذه القيم والسخرية بها .

وهناك مؤتمرات ترمي إلى احتواء مصر والعالم العربي في مجال التكنولوجيا والقضاء على الهوية . . .

٥ - ونجد الآن أن دراسات مصر تقدم من وجهة نظر أصحاب المطامع :
فإذاعة إسرائيل تدرس مصر من خلال كتاب صحبي وحيدة (المسألة المصرية) وتعيد كل ما جاء فيه محققا لما تريد أن تذيبه عن تاريخ مصر في مختلف العصور ، محاولة إعطاء مصر قدراً من التميز وتصوير ما تحمله في مواجهة التناثر بأنه جهد في سبيل العرب وليس ذلك صحيحاً فإن مصر كانت تدافع عن المنطقة باسم الإسلام وليس لحساب العرب ولا لغيرهم ولكنها محاولة خلق المغالطة : نفس المغالطة التي يتحدث عنها أمثال محمد عمارة والماركسيين الذين يتمسحون في الإسلام .

وهكذا نجد أن محطة إذاعة لندن تقدم كتباً عن مصر والعرب والإسلام تحمل وجهة نظر رأسمالية ، كما أن محطة إذاعة موسكو تقدم كتباً من كتابات اليساريين ، وإسرائيل تقدم وجهة نظر تتفق مع مطامعها ومفهومها عن الصهيونية .

أما وجهة النظر الحقيقية : وهي مصر في مكانها الإسلامي فهذه الكتب تتجاهلها جميع محطات الإذاعة العالمية لأنها لا تقدم ما تريده أو ترغب فيه .

الفصل الأول

إزالة التمييز الإسلامي الخاص والذاتية الإسلامية

من هدف مخططات الاحتواء والتغريب

لقد خطا الفكر الإسلامي خطوات واسعة في السنوات الأخيرة في طريق الأصالة وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم وبناء القاعدة الأصلية لقيام المجتمع الإسلامي وتجديد الحضارة الإسلامية على الرغم من كل المؤامرات التي تقوم بها القوى الغازية في الغرب في ضرب الصورة الإسلامية واحتواء المد الإسلامي ، وتأخير انتقال المسلمين من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة .

ومع ذلك فقد استطاعت الدعوة الإسلامية أن تخترق التغريب والغزو الثقافي بقوة لأنها على الفطرة ولأنها تدعو الناس إلى الحق وأما تلتبس نور الله تبارك وتعالى في هذه الوجهة ، ولقد بلغ التغريب غايته في مرحلة ما بين الحربين حين أسقط الخلافة وأقام إسرائيل كرأس جسر في قلب العالم الإسلامي ثم حين جاءت الدعوة الإسلامية فتنازل المد التغريبي وبدأ عصر جديد من اليقظة ينفذ بضوئه الباهر من خلال تلك الضلالمات وكانت هجمات العدوان الضخمة التي قامت بها القوى التغريبية لتعطيل هذا البناء الجديد ومع ذلك بدت عاجزة أن تقضى على الإيمان العميق والعمود القائم والأحرار على الحق .

وقد تحركت الدعوة الإسلامية في مبادئ الفكر في قوة وأصالة فاستطاعت أن تكشف زيف المطروحات المسدومة التي قدمها التغريب والاستشراق . وتواجهها بصورة باهرة من مخططات الإسلام .

ثم جاءت نسكة ١٩٦٧ فكشفت للناس أن طريق التغريب والغزو الثقافي

الداعى إلى أسلوب العيش الغربى من خلال المهجين الغربين الرأسمالى والماركسى كلاهما باطل فإن النفس المسلمة قد رفضت الجسم الدخيل وتبين أن هناك طريق واحد هو طريق الاسلام .

ففى ثلاث ميادين عمل التغريب للقضاء على الروح الاسلامية القائمة على التوحيد الخالص والعدل والرحمة والأخاء البشرى :

أولاً : تزيف حقائق الاسلام (عن طريق الاستشراق والتبشير والشعوبية) .
ثانياً : تدمير المجتمع الإسلامى : وذلك بتزيف مفاهيم السياسة والاجتماع والاقتصاد والقرية .

ثالثاً : تمزيق الوحدة الاسلامية ، وتفكيك الجامعة التى تجمع المسلمين بإشاعة مفاهيم القوميات والاقليميات بمفهومها الغربى .

لقد استطاع النفوذ الغربى عن طريق التعليم العلمانى المفرغ من الاسلام وعن طريق دعوة القومية والاقليمية أن يحقق أهدافاً كثيرة :

أخطرها تعميق الفجوة بين المسلمين (عرباً وعجماً) بحيث يبدو وكأن المسلمين قد استسلموا لمفهوم القومية الغربية فى إقامة حاجز من العداء بين العناصر الاسلامية .

وثانياً : قبول الأمر الواقع والرضا بالحلول الجزئية دون قيام العزيمة التى شادها الاسلام فى النفس المسلمة مع أن الخطر ان يتوقف وإن يلبث أن يلحق بأهل الحيدة وذلك معناه غيبة مفهوم وحدة الأمة الاسلامية والمفهوم الاصيل فى دعوة الاسلام إلى المrapطة والمواجهة الدائمة لآى ماغته من العدو للأمة الاسلامية فى أى جزء من أجزائها .

ثالثاً : قبول موقف الغرب المؤيد لإسرائيل ضد العرب والمسلمين دون القدرة على اتخاذ موقفه التبعذ على سواء ، الذى دعا إليه الاسلام ، والاستسلام للغرب فى موقفه الذى جدد وأصر عليه من أن تكون إسرائيل مهيمنة للقوة

المنفوقة على القوة العربية جميعاً مع أن العرب يملكون من القوة والطاقة والثروة ما يمكنهم من تحديد موقفيهم .

إن هدف النفوذ الغربي في مخططة كله خلال عراحله الثلاث : الاستعمار ، الغزو الثقافي ، التغريب — إنما يرمى إلى تأخير إمتلاك المسلمين لآرادتهم وإقامتهم بمجتمعهم ، والمحاولة الأساسية التي يجرى حولها عمل الاستشراق والتبشير هو إزالة التميز الخاص والذاتية الإسلامية وذلك بهدف صهر المجتمعات الإسلامية في بوتقة الأمة واحتوائها وتغيير هويتها وذاتها ووجهتها حتى تسقط في دائره الاحترام والمخطة هي إخراج المسلمين معه منهج حياتهم ، فإذا تم هذا فقد وصل النفوذ الغربي إلى غايته .

ولكن الدعوة الإسلامية المستمدة من التوحيد الخالص والقائمة على مفهوم القرآن الحلى الذائع القائم الممتد الذي لن يخف وت لن يضعف ولن يزول قادره على أمرين :

أولاً : قادره على استعادة أصالتها بعد مراحل من التبعية .

ثانياً : قادره على تقديم نماذج قيادية جديدة تحمل لواء النهضة .

وآية العقيدة الإسلامية هي القدرة على المقاومة وبقاء عامل الحفاظ على الكيان في مجالات : العقيدة واللغة والتاريخ ، وذلك عن طريق المراقبة والاستعداد لمواجهة أى غزو خارجي ، وتصحيح المفاهيم وكشف زيفها وتقديم مفهوم الإسلام الأصيل والخروج من دائرة التبعية والاحتواء ، والارتفاع فوق أزمات الغزو ، وامتلاك الإرادة ، واستئناف العطاء الحضارى بعد توقفه .

ولما كانت الحضارة الإسلامية تقوم على التوحيد والعدل والرحمة والإنهاء البشرى فإنها قد تتوقف عن العطاء ثمة ، تحت تأثير متغيرات الظروف ولكن هذا التوقف يختلف كثيراً عن الاندثار والتشتت أو عن المجوود .

ولقد استطاعت الحضارة الإسلامية أن تبقى قادرة على البث والعطاء ، بعد زوال السلطان السياسى للإسلام ، وهذه ظاهرة لا تتمتع بها حضارات كثيرة سقطت بسقوط السلطان السياسى .

وفي العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر ضغط التغريب والغزو الثقافي في ميادين الرأسمالية والصهيونية والماركسية ضغطاً شديداً ووقع العالم الاسلامي في بعض أجزائه تحت تأثيره ولكن التجربة أثبتت فشل القدرة على الانصهار واستطاعت الامة الإسلامية أن تقاوم وأن تعلن أن هذه الابدولوجيات والمعطيات التي وضعت في قوالب علمية زائفة أو حضارية برافة ، ليست هي ما تقبله النفس الإسلامية أو ترغب إليه ، فهي لا تتفق مع طابعها وذاتها التي بناها القرآن أربع عشر قرناً وقد استطاعت اليقظة الإسلامية أن تتحرك في إيجابية وقوة .

في مجال الثقافة : من التبعية إلى الأصالة .

في مجال المجتمع : من العلمانية إلى الإسلام .

في مجال الحضارة : من التوقف إلى المطاء من جديد .

في مجال بناء الامة : من اليقظة إلى النهضة .

وإذا كانت هناك ظواهر انحسار جرت في القرن الرابع عشر ، ومطالع القرن الخامس عشر نتيجة حملات القوى التغريبية ، مثال الدعوة إلى تحديد النسل ، والعلمانية في الحكم ، وفساد معطيات الفنون والآداب ، وتغليب القانون الوضعي والقومية المفرغة من الإسلام والاقتصاد الرأسمالي والتعليم العلماني فإن هناك مؤشرات قوية تدل على أن جوانب كثيرة من هذا الاطلام يقع تحت دائرة الضوء الكاشف فقد جرت تحولات كثيرة نحو فهم جديد للإسلام .

فهناك تصحيح لأفكار مفروضة تنكر دور الإسلام في النهضة الحديثة .

وهناك أفكار تكشف عن معطيات القرآن الحقيقية يدل عليها العلم الحديث ،

وهناك تزييف واضح النظرية دارون ولنظرية فرويد ومفاهيم الماركسية وما كشف في مجال اللاهوت وما صححه الكثيرون عن « معطيات التراث

الإسلامي وسقطت قلاع كثيرة : القومية ، الاشتراكية ، الرأسمالية من وجهة النظر العلمية .

وقد اتسع نطاق المعطيات الإسلامية في مجال الاقتصاد والتربية والعلوم السياسية والتاريخ وكان أكبر هذا العطاء في مجال تقنين الشريعة الإسلامية والجهود التي تبذل اليوم في مصر وبا كستان والاردن والسكويت وأبوظبي.

وكذلك في مجال أحياء التراث الإسلامي وأطروحات الجامعات والندوات الإسلامية التي عقدت في مؤتمر السنة والسيرة والملتقى الإسلامي الجزائري وندوات جامعة الإمام محمد بن مسعود ومؤتمرات الهند وباكستان وغيرها هذا فضلا عن المؤلفات الإسلامية والمجلات الإسلامية التي أبرزت عدداً كبيراً من الأسماء الجادة المختصة .

الفصل الثاني

تزييف حقائق الإسلام

إذا حددت مهمة الاستشراق الحقيقية فهي العمل على تزييف حقائق الإسلام وتفريغه من محتواه الحقيقي وجوهره الرفيع . وقد عمل الاستشراق في جميع الميادين على بث سمومه ، وقد مر الاستشراق بمراحل متعددة ، وحاول أن يغير جلده بعد الحملات المكشوفة التي كشفت زيفه ، وتلك طريقة تم في التحول من أسلوب إلى أسلوب مع الاحتفاظ بالغاية الأساسية والهدف الأول .

ولقد حاول الاستشراق في العقود الأخيرة أن يعزز وجوده بأن أدخل في دائرته مجموعة من المبشرين المتعصبين ، الذين حاولوا في كتاباتهم الاعتدال وأبرز طابع التسامح كما أنهم أدخلوا أساليب جديدة منها : أسلوب الحوار الذي تبنته الكنيسة الكاثوليكية ، ولا ريب أن الاستشراق مرتبط بالاستعمار والنفوذ الأجنبي من ناحية وبالتمصب للفاهيم الدينية التي يعتنقها المستشرقون وهو لا يستطيع أن يخرج عنها أو يكون قادراً لأن يرود افقا آخر أوسع منها ولذلك فهو لا يستطيع تفسير الإسلام إلا بالرموز التي عرفها في عقيدته ، وهو الآن يجرى مع هدف واضح هو تثبيت الغايات التي يعمل لها وهي التي توجهه فهو يكون إفسكرة مسبقة ثم يبحث لها عن أدلة ، فإذا وجد أدلة ، لا ينكسر جزئياً أو انتحلها أو غلط في تفسيرها لتكون متفقة مع وجهته ، فهو يصدر عن ثلاث علامات .

(١) تبعية عقيدته الأصلية (٢) الهوى الخاص (٣) الظنون والفروض ولقد حاولت بعض المؤسسات الاستشراقية في العصر الحديث بعد أن تعددت كشوف الزيوف التي قدمتها أبحاث الاستشراق إلى محاولة فتح صفحة جديدة تحت أسماء أخرى ، ولكنها كلها محاولات ترمي إلى تغيير الأسلوب دون تغيير المضمون لاستمرار خداع جماعات أخرى ،

يقول الدكتور أحمد غنيم : إن ارتباط الاستشراق بالاستعمار أمر لا يمكن إنكاره تاريخياً إنكاراً تاماً بمعنى أن الدول الأوروبية التي غزت بلاد الشرق غزوات استعمارية استعانت بما لاشك فيه بعض المستشرقين وكوالت جماعات تبشيرية بهدف التعرف على تراث الشرق وتاريخه تمهيداً لاحتلال شعوبه وبلاده ، ولكن كان هناك الكثير من المستشرقين الذين ظلوا بعيداً بين عن التورط في الاشتراك في تحقيق الأهداف الاستعمارية . وبذلوا جهوداً عظيمة في سبيل دراسة الفن والتاريخ والآداب العربي تحقيقاً لأهداف علمية مجردة : إن المستشرق بالنسبة لأي بلد شرقي ليس إلا رجلاً أجنبياً يسعى لتحقيق أهداف علمية مجردة ، ويجب أن يمنح قدرأ من المساعدة وحرية الحركة في إطار البحث العلمي سواء في الآداب أو الفلسفة أو التاريخ أو غيره من الدراسات .

وهذا الدفاع من الدكتور أحمد غنيم فيه نظر فإن هؤلاء المستشرقين الذين وصفهم بأنهم لم يعملوا في مجال الاستعمار عدد قليل وإذا كانت لم تصبهم التبعية السياسية فإنهم لا يتخلون من التبعية العقيدة لأديانهم ، وهي أديان تختلف مع الإسلام في أصول أساسية منها الإيمان بالصلب والخطيئة والتثليث وما يتبع ذلك من فلسفة هوية من شأنها أن تؤثر في فهم الآداب العربي والتاريخ الإسلامي القائم على مفهوم عقيدة أخرى قوامها التوحيد الخالص ، كذلك فإن عدم تبعيةهم السياسية لا يخلو أنفسهم من الإيمان بالاستعلاء الغربي الذي يؤمن به الجنس الأبيض ويعتقد أنه صانع الحضارة وإنه ممتاز عن الشعوب الملونة . وإن هذه الشعوب جاءت خادمة له فهو لا يتخلو من هذا الإحساس في نظراته إلى المسلمين وتأتي بعد ذلك مسالة أخرى لها أهميتها في البحث وهي التجرد للعلم وهذا ما لا يقع للباحثين الغربيين الذين يخضعون دائماً - وخاصة في الأبحاث الإسلامية - إلى الأهواء وإلى الظنون والفروض وإلى عدم القدرة البنيانية التي يفهم بها العربي بلاغة المصوح الإسلامية ولهم في هذا تفسيرات مضحكة .

وهم دائماً يعلنون من شأن جوانب معينة في الفكر الإسلامي

كأعلامهم للمعتزلة والفلاسفة والتصوف الفلسفي لأنهم يرون أن هؤلاء جميعا كانوا تابعين لمدارس الفكر اليوناني القديم ، وهم كذلك في البحث عن الآثار بقصدون موازنة التوراة والسكشاف عن الآثار الصليبية ، والحضارة الرومانية ، وهم في أعرق أعماقهم يرون أن أي (أنصاف) للحضارة الإسلامية يكون بعيد الخطأ في الغرب فهو يقرب الإسلام من أولئك الخياري الذين سقطت المذاهب والايديولوجيات القائمة في نظرهم وعجزت عن العطاء . أنهم لا يرون تأييد أو إعلان الاعجاب بالآثار الإسلامي لأنهم يخشون انكشاف نظريات مازال الغرب يستعلي بها وهي مأخوذة من العلوم الإسلامية ، أو إعلاء شأن عظمة القوانين الإسلامية التي قدمتها الشريعة الإسلامية والفقهاء الإسلامي لأنها تكسب للإسلام في الغرب انصاراً وهناك غاية مضمرة في نفوس المستشرقين هي حجب عظمة الإسلام عن الغربيين أنفسهم ، وذلك حتى لا يحفون نحوه ، وقديما عارضوا العائدين من بلاد الإسلام بعد الحروب الصليبية عن تحدثوا عن عدل المسلمين ولعل ما أورده الدكتور أدوار سعيد في كتابه الاستشراق الذي صدر قريباً في الغرب يصدق ما أوردهناه : يقول أن عدد الكتب التي تعالج الشرق العربي والتي صدرت بين ١٨٠٠ - ١٩٥٠ تقدر بستين ألف كتاب وأن الاستشراق مدين كلياً بالعدوانية كإداة ثقافية - يقول أدوار سعيد : أن ما يحدث في حركة الاستشراق من تغيرات فهو ظاهري ومصطلحي لا يمس هذا الجوهر الثابت الخالد المستقل ابداً ، أن الاستشراق يخضع مدارسه واتجاهاته ودراسته وتخصصاته : حيث تلتقي بنظرة استعلاء على الشرق وترى فيه الدونية وتدعو ضمناً أو صراحة إلى ازدرائه ولا يقف الباحث عند إعطاء المستشرقين كلهم هذه الماهية التي وصفناها بل يتجاوز ذلك إلى إعطائها إلى الأوروبيين كلهم فرداً فرداً دون استثناء ، فمن الصحيح إذن أن كل أوروبي هو عنصري امبريالي شوفيني بشكل عام تقريباً في كل ما يقوله حول الشرق ويرى أن محاولة الاستشراق هي احتواء الفكر الإسلامي (وهذا ما كشف عنه هاملتون جب قبل نصف قرن حين ألف كتابه وجهة الإسلام عن مخططات تفريب الإسلام) ويرى أن الطلاب الذين يدرسون في أوروبا (والولايات المتحدة) هم ضحايا هذا الاستشراق الذي يسود الجامعات هناك وبما أن الاستشراق يعلمهم فيها يعلمهم أن العقل العربي يتميز بالدونية عند

مقارنته بتفوق العقل الأوروبي وبسبب ثابتة جامدة متغلطة خالدة تتناقض مع الحضارة الحديثة فإن معنى هذا أن المثقف العربي يلقح بهذا المفهوم الاستشراق ويتبلور ويصبح كالاستشراقيين مقتنعا بعمى العربى عن دخول الحضارة الحديثة واستيعابها .

ولا ريب أن هذه هى إحدى المحاولات التى يقوم بها الاستشراق فى سبيل هدفه الخفى ، وهو خلق روح اليأس من الذاتية الإسلامية على نحو يدفع أصحابها إلى القاء أنفسهم فى أحضان الولاء والتبعية الغربية . وذلك بما يؤكد أن الاستشراق فى غايانه الحقيقية يرمى إلى التشكيك فى قوة المنهج الإسلامى وإضعاف العلاقة بين المسلم وبين الإسلام كدين وكمجموعة من القيم والمبادئ العليا .

ذلك أن سياسة القوى الأجنبية كما أشار إلى ذلك عدد من الباحثين لا ترحب بقوة الإسلام فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة ولا توجب باتجاه الشباب فى هذه المجتمعات إلى الإيمان بالإسلام والتسك به لأن قوة الإسلام تخلق لهذه القوى فى المجتمعات الإسلامية عداوة وعنفا فى سبيل استغلال ما فيها من إمكانيات اقتصادية وطاقات بشرية ، ولذلك فهى تروج لمفهوم إسلامى يوصف بالاستنارة والمرونة بقبول الربا وتحديد الفسلفة والزوجة الواحدة والعنصرية الإقليمية والقومية والاستعلاء التاريخى الإقليمى حتى فى مجال الإسلام نفسه ووضع قادة الفكر الإسلامى فى مجال الأبطال الإقليميين مع أن الإسلام هو الذى صاغ فكرهم وليس وطنهم أو قومهم .

ويعتمد الاستشراق فى هذا على الواقع الخاطيء المعاش ونمطه ، واسوأ ما فى هذا الواقع الخاطيء ما قام به الاستعمار من تمزيق وحدة العالم الإسلامى إلى قوميات وطوائف متناحرة ، وزين لهم الرجوع إلى نحل ما قبل الإسلام إمعانا فى إغاثتهم بمزقين ومختلفين ، وأغرى بينهم العدواة والبغضاء حتى يحال بينهم وبين الدخول فى تجمع إسلامى يمكنهم من مواجهة النفوذ الأجنبى ولم يتوقف الغرب عند تمزيق وحدة الأمة الإسلامية بل قذفها بكثير من الأيدولوجيات والفلسفات حتى لا تلتقى على رأى واحد وجعل لها ولاه أمريكى وفرنسى وبريطانى وولاء ماركسى ورأسمالى . ومن مهمة الاستشراق تخدير الخلق العربى فلا يتأثر بتشريد شعب فلسطين ولا بمظالم الحكام الطغاة ، بل ينظر إلى هذه المأساة وكأنها

نتيجة طبيعية لعملية تصنيع وتمديد الشرق والشرقين بل يدعى مروجي المستشرق اليهودي أن منطقة الشرق الأوسط لا تشكل قوة سياسية وليس هناك ما يشير إلى أنها ستصبح قوة سياسية ذات أهمية .

هذا فضلا عما يحشوه به الاستشراق لكتب التاريخ التي تدرس في الثانوية في أمريكا وأوروبا من معلومات خاطئة حيث يتعلم الطالب أن الاسلام دين وثني صجراوي . . الخ .

يقول الدكتور فؤاد سيزسكين أن الاستشراق يقوم بمهمتين خطرتين :
الاولى : الاقتراء على التاريخ الاسلامي وغمط الإسلام حقه والتقليل من أهميته وفعالته .

الثانية : إنكار فضل العرب والادعاء بأن نهضة العلوم كانت نتيجة أحدها من اليونان وهم بهذا ينكرون المنجزات العلمية العربية وينكرون تأثيرها المباشر عليهم ويقولون : إن الغرب بدأ يأخذ ويتمثل العلوم العربية منذ القرن العاشر الميلادي واستمر الأخذ حتى القرن الخامس عشر الميلادي واستطاع خلال ذلك أخذ ما أنتجه العرب والمسلمون .

وتحدث الكثيرون عن خطة الاستشراق وآثارها المدمرة :

(١) القاء الشك والحيرة في نفس المسلم المثقف .

(٢) نقد جوانب معينة في الإسلام في إلحاح مرتب حتى يثبت في الأذهان مفاهيم مشوشة .

(٣) نقد مبدأ تعدد الزوجات .

(٤) قيام مدرسة فكرية ترمي إلى تبرير واقع الحضارة الغربية والمجتمع الغربي وما ينظمه من أفكار ونظريات وذلك بمحاولة تفسير الإسلام تفسيراً عسرياً يلائم الفكر السائد وتقديم نظريات مضللة في قضايا الجهاد ، الحدود ، الربا ، التنازل ، الطلاق ، تعدد الزوجات وأخطر ما في ذلك هو إنبعثات الفكر التغريبي على لسان المسلمين أنفسهم تحت اسم (التيار الإسلامي المستنير) ليكون أكبر تأثيراً من كتابات المستشرقين .

(٥) إشاعة قصص الجنس والكشف التي يشجع على المسكرات والمخدرات والقلل والشذوذ والمراقص والتمثيل الماجن وقيام الصحافة على تبرير

الفساد وتشجيع طرقه وفتح الثغرات والأبواب مما يؤدي إلى كسر الحواجز النفسية وهدم الفضائل الخلقية التي كانت تمسك الناس وتشكل مظلة عامة للآداب الإسلامية .

(٦) المناهج العلمانية الدراسية التي ترمى إلى تخريج أجيال مقطوعة الصلة بدينها العظيم ، تقوم على خلق مثل أعلى غربي باعلاء شأن الأبطال الغربيين والاعتزاز بالتاريخ القديم كالفرعونية والفينيقية والطورانية مع الترويج للغات الأجنبية في الهند والجزائر واندونيسيا .

(٧) الممتازون يسافرون إلى أوروبا وأمريكا للتشكيلهم وتوجيههم : ويستعمل في هذا المخطط سبل المطبوعات والكتب التي تمجد الغرب والصحافة الرافدة التي تشمل على أحاديث الجنس الفاضحة والصور العارية والنقد الجارح .

وأخطر ما في مؤامرة الاستشراق أن هناك ثلاث تيارات : غربية وماركسية وصهيونية وأن كل واحدة لها أهداف وغايات : وكل منها تعمل في مجال خاص وهي في جملة ما تعمل على إضعاف الروح المعنوية بين المسلمين وأبعادهم عن معتقداتهم وتثنية أفكارهم بالشك في دينهم وإغراء المسلمين بالمفاهيم المادية وتسريب الفلسفة المادية المنمقة إلى عقول ومفاهيم المسلمين من الجيل الجديد حتى يترافق لهم أن المفاهيم والتعاليم الإسلامية أصبحت بالية عقيمة ولا تتناسب مع مسيرة العصر الحاضر وإحياء تراث ما قبل الإسلام للاعتزاز به وتأييد كل الذين يكتبون لآحياء النزعات والدعوات التي قضى عليها الإسلام .

الفصل الثالث

قضايا الاستشراق

توزع المستشرقون في ميادين مختلفة بحيث صنعوا تغطية كاملة لآفاق الفكر الإسلامي وقد زرعوا الشوك في هذه الميادين جميعاً ، وترمى الشبهات المثارة إلى ضرب هدف واضح أساسى في الفكر الإسلامى وأتارة الشبهات حوله :

ومن هنا نجد جولدزيهر يوجه شبهاته نحو القرآن الكريم والشريعة الإسلامية وهو في كتابته التى ترجمها مسلمون دون العناية بالرد على ما جاء بها :

مذاهب التفسير الإسلامى : والإسلام عقيدة وشريعة :

نجد عديداً من هذه الشبهات وهو في مختلف ما يعرضه من قضايا متعصب يهودى الهوية يحرف القول ويرمى القرآن بسهام مسمومة . قد حاد عن الجادة وتكسب الصراط السوى وجانبه الترفيق فيما نورط فيه من أخطاء كما أشار الشيخ عبدالفتاح القاضى في كتابه القراءات وفى رده عليه فهو يحاول أن يصف النص القرآنى بالاضطراب وعدم الثبات ولا ريب أنه ضال مضل فى اقترانه هذا فإن النص القرآنى لم يعثره ومحال أن يعثره اضطراب أو ينزل لساحته قلق لأن معنى الاضطراب والقلق وعدم الثبات فى النص القرآنى أن يقرأ النص على وجوه مختلفة وصور متعددة ويكون بين هذه الصور تناقض فى المعنى وتعارض فى المراد وتضارب فى الهدف وهذا منى عن القرآن قطعاً فإن الروايات المختلفة والوجوه المتعددة التى تواردت على النص القرآنى لا تناقض فيها ولا تعارض فى معانيها ولا تضارب فى المراد منها بل كلها يظاهر بعضها بعضاً ويشهد بعضها لبعض .

ولا ريب أن ما كتبه الشيخ محمد الغزالى والدكتورة بنت الشاطىء فى الرد على جولدزيهر عن كتابه الذى نشره له بالعربية الدكتور طه حسين (العقيدة والشريعة) يدحض هذه السموم النافعات .

وقد ركز الاستشراق على علم أصول الفقه، وعلى الفقه نفسه ، فقد تعرض هذا العلمان للحد الاستشراقي في الحاقه المفروض ، باعتبارهما الركائز الأساسية للإسلام ، وهم في هذا المجال عدوا - كما يقول الدكتور عجيل العشمي إلى إبراز كتب الخلاف وبنوا علماء مروته الشريعة إلى حد وصل في نهايته إلى أن أحكام الشريعة بنيت على الهوى أو يمكن أن تنبى على ذلك ، فهم :

(أولاً) قد صوروا الخلاف بين علماء الامة على أنه خلاف في الاصول لا في الفروع .

(ثانياً) ادعوا أن الاستنباط الفقهي قد توقف لأن أحكام الاسلام كانت صالحة لفترة معينة أغلق باب الاجتهاد بعدها والغاية من هذا الادعاء المضلل الوصول إلى القول بأن على المسلمين أخذ أحكام الحوادث المستجدة وفق منظور الفقه الغربي .

كذلك فإن كتاباتهم في أصول الفقه مع قلتها تحمل من الخطورة مالا يقل عن خطوره كتاباتهم في العلوم الاسلامية الأخرى ، فإن إراهم المشوشة في العقيدة الفكر الاسلامي - على حد قول الدكتور عجيل العشمي - إنما بنيت على نظرتهم وتصورهم الحقيقي لمصادر التشريع الاسلامي التي تكشفها كتاباتهم في أصول الفقه وهم في هذا يصدر عن (١) سوء النية المبيت المكشوف (٢) الفصل بين الأدلة والأحكام وذلك مدلك خاطيء علمياً ، ذلك لأن علم أصول الفقه عنوان للأدلة الموصلة للإحكام أو للأحكام المبينة على الأدلة فهما في لازم الأمر وحقيقة شئ واحد ، وقد أدى مسلكتهم هذا في الفصل إلى الجبل بعلاقة صلة الأحكام بالأدلة مما أوقعهم في استنتاجات خاطئة لا يقرها منطق علمي سليم ، ذلك أن الأدلة مقصودة لذاتها للتوصل إلى الأحكام الشرعية خاصة فينبغي النظر لكليهما في آن واحد .

كذلك يؤخذ عليهم تلون كتاباتهم باللون السياسي الاستعماري الحاقه وأخذت الكتابات حول واقع المجتمع الاسلامي تبرز بصورة براءة على أنها هي الاسلام والاسلام هو المشكلة .

وقد ساعدتهم على ذلك ما كان يعيشه المجتمع الاسلامي وقتها من مشاكل

كبيرة فقد كانت الاضطرابات والثورات متلاحقة في العالم الاسلامي الممزق وهي في جملتها متأثرة بالمعاطفة الدينية وبالسياسة وتنطلق من منطلق العداء للاسلام ، وهي في أغلبها تدور على سوء الظن بالاسلام والمسلمين والتقليل من شأن الحضارة الاسلامية والتشويش المتعمد على العلوم الشرعية الاسلامية وتشكيك المسلمين في دينهم بإثارة الشبهات المختلفة عن العقيدة أو الشريعة أو الفقه أو التاريخ وعموم العلوم الاسلامية ، فقد بدأ الاستشراق في أحضان التبشير وبعد ١٨٨٠ بدأ الدس والطنع المكشوف والمعلن وتخصص هذا كثير من المبشرين وغيرهم .

أما ما قبل عن موضوعية المستشرقين فقد انقلبت نارا حامية على الاسلام والمسلمين عند ما حى صراع الاوربيين على ما يسمى بالمسألة الشرقية مع بداية القرن التاسع عشر ويعنون بها مسألة دولة الخلافة مع استانبول ولكن لانه هدو للعلم والتقدم والحضارة فأخذوا يصفون بالاسلام بأنه رجعية وأخذت كتاباتهم تصور الاسلام في هذا الثوب الرجعي .

بالنسبة لكتابات المستشرقين عن القرآن فقد اتسمت بإبراز المتشابه منه والقرامات الشاذة وتأويل الآيات وتحميلها أكثر مما تحتمل موافقة للرأى والهوى ، كما أبرزوا اختلاف وجهات النظر بين المبشرين وما إلى ذلك من منهج يرمى إلى التشكيك والتشويش في مجال الدراسات القرآنية ولم يكن حظ الحديث وعلومه بأقل من ذلك بل أن مجالهم فيه أكبر وأوسع رحابه ، الأمر الذى مكّنهم من إغراق المكتبة الاستشرافية . بواقر من الكتب التى تشكك في السنة شكلا وموضوعا فقطعوا في طريق جمع السنة وفيما تحمله من تصورات تحالف ما جاء في القرآن برعهم .

وفي نفس الوقت جعلهم ذلك جاهلين بصفة الفقه بالاصول التى هو الثرة العلمية التطبيقية للأدلة ، إذ الاستنباط الفقهى وليد الأدلة التى بينها أصول الفقه ، كما بين طريقة استخدامها للوصول إلى الاستنباطات الفقهية وأخطأهم استنتاجاتهم المبينة على عملية الفصل بين الأدلة والاحكام هذا الفصل خاطىء علميا ومنطقيا .

(٢) وفي مجال آخر لا يقل خطورة نرى دعوى عريضة لايقاع الخلاف بين العرب والموالى اصطنعها فلون وآخرون وجعلوها قضية كبرى بهدف إثارة شبهات لم تكن موجودة في حقيقتها ولكن أريد بها في العصر الحديث ضرب المسلمين فرسا وتركوا عربا بعضهم ببعض ، وقد تعالى فلون عن النصوص وجرى وراء أهوائه فهو يسوق رأييه في الفتوح الإسلامية وأثرها في المجتمع مؤكدا أنها كانت بالدرجة الأولى من أجل الغنائم فأدت إلى ثراء فاحش فافسدت المجتمع وأزرفته وأغرت المسلمين بالمزيد من الفتوح للمزيد من الغنائم ، ويستند في هذه المعلومات إلى كتب تاريخية قديمة وقد استند في ذلك إلى نصوص مجرأة جمعها ولوى اعناق نصوصها وأوغل في فهمها وتفسيرها على نحو غريب . وهو يحاول أن يورد عبارة خاصة ليستخرج منها حكما عاما على نحو ساذج وماكر في نفس الوقت فهناك عبارة في الطبري تشير إلى حوار بين سعد بن أبي وقاص وخازن المال عبد الله بن مسعود بشأن قرض لم يتم ، فإذا به يأخذ هذه العبارة ليصور منها معنى بعيدا كل البعد عنها ، فيقول أن حالة الترف المتصاعدة ألجأت بعضهم إلى الاستدانة بطريقة فذة من أجل إشباع رغباتهم . وكيف يفهم من نص الطبري أن هناك ظاهرة للاستدانة في المجتمع وأنها أصبحت وسيلة لإشباع الترف الذي شاع وأي نوع من الترف كان في مجتمع الكوفة عام ٢٦ هجرية . ونحن إذا نظرنا إلى الخبر بانصاف وجدنا فيه غرر للإسلام إذ لا يستطيع والى الكوفة أن ينال من مال الجماعة الإسلامية إلا قرضا ثم كانت أمانة خازن بيت المال الذي لم يسعه السكوت وأن الحاجة أو الغاغة هي في الحقيقة التي ألجأت سعد إلى الاستدانة .

ومعنى هذا خطير بالنسبة لفهم النصوص فهو ليس فقط يمثل العجز عن فهم النص ، أو عدم الاحاطة بالنصوص الواردة في القصة الواحدة ، أو الخطأ في التفسير والتحليل ، ولكن هناك سوء نية وخدمة أغراض تنصيرية واستعمارية .

(٣) ويطرد الهدف الاستشراقي ويبدو واضحا : أنه يرمى إلى تشويه الإسلام دعوته ونيه وتاريخه تحت ستار البحث العلمي واعتساف التأويل والإستنتاج للوصول إلى النتيجة التي يهدفون إليها باسم البحث العلمي والعلم منها براء .

يقول جولد سيهر عن الرسول صاوات الله عليه وسلامه : فنذتوك مكة
تغير الزمن ولم يعد واجبا بعد الاعراض عن المشركين أو دعوتهم بالحكمة
والموعظة الحسنة كما نزل القرآن بذلك في مكة بل حان الوقت لتتخذ سيرته لهجة
أخرى [فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم]
ويحاول يثبت منه أن يدعى أن منهج الدعوة الإسلامية تغير من اتجاه إلى اتجاه
وتناسى هذا المستشرق الخافد أن الجهاد الذي أعلنه الإسلام آتئذ وأن الغزوات
التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم كانت ضرورية لبقاء الإسلام وبقاء
المسلمين ، وكان لابد بعد المعاناة من المشركين وما كابد المسلمون من المشركين
وهذا الظلم الذي أوقعه الكفار بالمسلمين ، وأن الهلاك والموت الذي كانت تحمله
قلوبهم وأيديهم يطاردون به الإسلام ، كان لابد أن يأذن الله للمسلمين بالقتال
بأنهم ظلموا في الدفاع عن عقيدتهم [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله
على نصرهم لقدير] .

أما عن منهج الدعوة فإنه لم يختلف لحظة واحدة من الزمن ، كيف والذي
رسنه هو العلم الحكيم من فوق سبع سموات ، أن سمات المنهج الإسلامي في دعوة
الناس إلى الإسلام ثابتة لا يمكن بحال من الأحوال أن تتغير من مكان إلى مكان
ولا من زمن إلى زمن لأنها صالحة لكل زمان ومكان .

(٤) وفي ميدان آخر هو : رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى الملوك :
فقد حرص المستشرقون على ظاهرة التشكيك المتعمد لواقعه لإرسال الرسول
ﷺ كتباً إلى ملوك وحكام الدول المجاورة للجزيرة العربية وقد وردت هذه
الكتب في صحيح مسلم وتاريخ الواقدي وفي سيرة ابن هشام وابن سعد في طبقاته
السكبري وأضاف ابن القيم إلى ذلك أسماء رسل رسول الله إلى أولئك الحكام
وما حشد لهم مع من أرسلوا إليهم : إلى المقوقس حاكم مصر : الصحابي حاطب بن
أبي بلتعمة إلى العلاء بن الحضرمي ، إلى قيصر : دحية الكلبي ، إلى كسرى :
عبد الله بن حذافة السهمي ، إلى التجاشي : عمرو بن أمية الضممرى ، كما أرسل
كتابه المنذر بن ساري البحرى إلى العلاء الحضرمي .

وقد أشار إلى تلك الرسائل المؤرخ الانجليزى ويلز واعترف ادوارد
جيبون بواقعة إرسال هذه الرسائل إلى هرقل في كتابه اضمحلال الإمبراطورية

الرومانية وبعد أكثر من ألف وأربعمائة عام شاء الله سبحانه وتعالى أن يكشف أكاذيب المستشرقين ويقصص أساليبهم الملتوية بعد أن ظنوا أن افتراءاتهم قد إنطلقت على الناس فقد عثر البعض في الأردن سنة ١٩٧٧ على النسخة الأصلية للرسالة التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل قيصر الروم .

وثبت من لخص المادة التي كتبت بها الرسالة وهي رقعة من الجلد وكذلك من تحليل الخبر الذي كتبت به ومن دراسة الخط الذي استخدم في كتابة الرسالة والأقلام التي كتبت بها أنها جميعا أصلية لم يلحقها أى زيف فالرقعة من نفس النوع الذي كان مستعملا في التاريخ الذي أرسلت فيه .

وقد جاءت قرية إنكار الكتب من المستشرقين التي أرسلها الرسول مقدمة لانكارهم وادعائهم بأن الإسلام ليس ديننا عالميا ودعواهم الباطلة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل للناس كافة وإن الإسلام دين محلي خاص بالعرب فقط دون غيرهم . كذلك قال لامانس ، وكاتيانى ، وسيديو ، وجولد سيهر الذى يزعم فى كتابه (العقيدة والتشريعة فى الإسلام) أن القرآن من وضع الرسول وليس كتابا منزلا ويزعم أن رسالة الإسلام قومية عملية .

(أحمد على المجذوب)

(هـ) وهناك مؤامرة المستشرقين بالنسبة للطفل حيث يقول زوير فى كتابه عن الاطفال فى الشرق : أن العرب عنوا بفروع العلوم والآداب كلها ووضعوا منها عشرات ومئات الألوف من المؤلفات ولسكنهم مع وفرة ما ألقوا وترجموا ، أهملوا أطفالهم وصغارهم واحداثهم فلم يضعوا كتباً لتعليمهم أو مطالعتهم . وقد نشر كتابه ١٩١٤ ولم يجسر أحد من أدبائنا على تزيف ما قاله ولم يأتنا أحد بكتاب واحد وضع فى صور الأدب الذهبية للصبيان والنبات ووضع المرسلون الأمريكيون كتباً للاحداث وأهتم بالامر فى العصر الحديث كامل كيلانى ومحمد المبرادى مع أن الإسلام عنى بتربية الطفل على آيات القرآن وأحاديث النبى ووضع المنهج الصحيح لذلك وهو منهج يختلف باختلافا واسعا عن الصورة قدمها الغرب للعقل كما جاء فى حكايات السوبرمان وجيمس بوند والسكره وأفلام الجنس وأفلام

الجريمة ، فإن مجلة السوبرمان بمجلة صفراء تبحث عن مسكنات مختلفة يتلفها الأولاد فتفسد وجهتهم العربية والإسلامية حيث يقدم لهم (طرزان) الرجل الأوربي القوي الذي يعيش في محافل وغابات إفريقيا وهو بطل آلاف القصص والأفلام التي تستخدم الاستعمار .

والطعم الشهي الذي يقدم جيمس بوند بخلفه عالما زائفا يبعد الناس عن واقعهم الحقيقي ، وجل مؤامرات لا يتجلى بفضيلة ما لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة ، وغرور القوة وغرور الثراء وأن من أسوأ الآثار في نفوس أطفالنا المسلمين ما تتركه مجلة سوبرمان وغيرها من مجلات .

الفصل الرابع

المدرسة والمنهاج التعليمية

كان الاستشراق هو مصنع الشبهات ، وكانت المدارس والرساليات والمناهج التعليمية التي فرضها النفوذ الغربي على البلاد هي الحقل الذي اختبرت فيه هذه السموم وادخلت إلى القلوب والعقول الإسلامية لافسادها وتسميمها ويشويه وجهتها من الفطرة النقية إلى المادية والوثنية والاباحية بهدف تشكيل أجيال جديدة منقطعة الصلة عن دينها وأخلاقها وتراثها ولغتها وقيمها .

هذا الخطر الذي بدأ في مرحلة الاحتلال الأجنبي مازال امتدا في مرحلة الاستقلال وفي مراحل التبعية التي تلت بعد ، والتي كان من المفروض أنها ترمي إلى تحرير الأوطان من التبعية ، ولكن الظاهرة الخطيرة أن صيحات الزعماء كانت تجرى للتحرر من النفوذ الأجنبي السياسي والعسكري في نفس الوقت الذي تزداد التبعية للفكر الاجتماعي والاقتصادي والتربوي الغربي .

ذلك لأن الذين تصدروا القيادات كانوا قد نشأوا في إطار الأسلوب الغربي في التعليم فهم أوليائه المعجبون به .

وفي العهدين التابعين للاستعمار ظلت تبعية النظام التعليمي للغرب والفكر الوافد وبقيت فيه جميع محاذيره وخاصة ازدواجيته بين المفهوم الإلزامي للعقيدة والمفهوم المادي للعلم وفي مقدمة ذلك نظرية دارون التي تتخالف مفهوم الإسلام ، ونظرية فرويد في علم النفس ونظرية دوركايم في الاجتماع ونظرية الماديين في تفسير التاريخ ونقد الأدب وتاريخه .

وقد كان حرص النفوذ الأجنبي على أن تبقى الأساليب التي وضعها فتلوب أبناء عقليات ذات ولاء فكري غربي يركز على الإقليمية والوطنية وتعتز موافق الزعماء الذين كانوا أولياء النفوذ الأجنبي من وجمال الأحزاب

السياسية الذين تصارعوا حول المطامع ، وقبلوا الاحتلال ونفوذ التفافى والاجتماعى على بلادهم .

وقد حدد الاستاذ سيد قطب أهداف هذا النظام التعليمى الغربى الذى وضع أساسا فى مدارس الارسلالات التبشيرية . ثم نقل إلى المدارس الوطنية فى عدة أهداف :

الهدف الاول : تخريج أجيال مجردة من العقيدة الدينية أو موعزة الإيمان على الأقل بالقيم الإسلامية ، وقد صاغ المواد الدراسية فى التاريخ والمطالعة بروح معادية لوجدان الدينى وبطريقة تخرج منها التلميذ والطالب وهو يعادى روح الدين وينفر من كل ما يذكره به حتى إذا طالب دعاء الدين فى الزمن الأخير تقرير دراسة الدين فى المدارس اصطدمت حصة الدين بكل رواسب الروح المعادية للدين فى المنهج كله ذلك أن روح المناهج والخطط المدرسية مازال إلى هذه اللحظة تسير على نفس الخط الذى رسمه دنلوب فى هذا الاتجاه . لقد تخرجت أجيال كثيرة وفى أعماق مشاعرهما هذا الشعور العدائى للأديان جميعا ، روح مادية مجردة من المشاعر الروحية . ولم يكن دنلوب يقدر أن الشيوعية ستزحف وأن الماية هى التربة الخصبة لبذور الشيوعية ، لقد كان الرجل مشغولا بتحطيم القوة التى يمكن أن يتماكب بها الشعب فى وجه الاحتلال الإنجليزى والتى تتماكب بها أخلاقه من مغريات الاستعمار الغربى على وجه العموم ، وقد كان طبيعيا أن الرجال الذين تتلمذوا على خطة دنلوب هم الذين يوجهون وزارة المعارف .

(الهدف الثانى) : من أهداف دنلوب وهو متصل بالهدف الأول - هو تخريج أجيال مجردة من الاعتزاز القومى ، أو موعزة الإيمان على الأقل بالقيم المصرية والشعرية على العموم ، ومن هنا جعل كتب التاريخ ودروسه عملا لتجهيد إنجلترا على وجه خاص وأوربا بصفة عامة ، وفى الجغرافيا اهتم باغفال كل ما يذكر الطالب بوطنه أو بالشرق كله ، وتخرجت على هذه المناهج عشرات الأجيال مؤمنة بأوربا كافرة بمصر والشرق تحس بالضآلة إلى جوار ذلك العملاق الضخم . - الرجل الأبيض - لقد بنى دنلوب أهرطورية الرجل الأبيض فى وجدان الآلاف وعشرات الآلاف من المصريين دون وعى وشعور وظل الشعوب بهظمة بريطانيا وأوربا قائما فى وجدان الزعماء وبقي الفتى والمفتاة يمجدون

انجلترا وفرنسا وأمريكا بإيمان العابد الذى يلحد فى الله ولا يلحد فى عظمت
هذا العملاق الموهوم الذى دسسته عصرية دنلوب فى إخلاد الألوف بعد الألوف .

(الهدف الثالث) : إقصاء كل الشخصيات التى يمكن أن تفسد عليه خطته
الرميية فى مجال التوجيه بل فى مجال التأثير فى وزارة المعارف ومن هنا
حكم على جميع الذين لم يتحققوا ثقافة أوربية — أيا كان عملهم وأيا كانت
كفاءتهم — أن يكونوا مذبذبين من الوظائف الرسمية فى الوزارة . أولا لكي
لا يكون لهم رأى فى توجيه سياسة التعليم وثانيا لكي تمنهم فىهم الثقافة
العربية والصيغة الدينية فتظل عترة فى مشاعر تلاميذهم فقد كان يرى
أساسا إلى تحقيق الثقافة العربية الدينية وإبعاد من يمثلونها عن مراكز التوجيه

(الهدف الرابع) : تخرج أجيال مجردة من المشاعر الشعبية منكرة عن كتلة
الشعب لكي يبقى القادة وهم المتعلمون فى جهة وتبقى كتلة الشعب فى جهة فلا يبقى
القادة والشعب فى مشاعر واحدة وأهداف واحدة فى مستقبل السنين .

ومن ذلك عمد إلى إقامة عقبات السن والكشف الطلى والمصرفات فى وجوه
الكثير وكما كثرت الحوائل شعر الذين يجتازونها بأنهم طبقة ممتازة وشعر
العاجزون عن اجتيازها بالاضالة .

(الهدف الخامس) تخرج أجيال مجردة من الثقة بالنفس ومن الشجاعة فى
التعبية ومن القدرة على الابتكار والتعبير ، ولقد وضع النظام المدرسى ونظام
الديوان كما وضع المناهج والكتب وحدد العلاقة بين الرؤساء والمدرسين وبين
الأساتذة والتلاميذ بطريقة معينة يحقق له تلك الأهداف الرميية .

وجاءت الموجة التالية من المصريين لتحمل أهداف كرومر ونمضى بها إلى
غاياتها فدعا لطفى السيد إلى منع التعليم عن الشعب وقصره على أبناء السراة
لاهمهم هم الذين سيحكمون مصر ، وأعلن سعد زغلول الإصرار على بقاء التعليم
باللغة الإنجليزية ورفض صيحات الوطنيين فى استعمال اللغة العربية . ثم جاء
ظه حسين ففتح الطريق واسعا إلى تريب التعليم تغريبا كاملا . ومهد السبيل

أمام مختلف الثقافات والعلوم والترجمات وفرض تعليم اللغتين اللاتينية واليونانية
بغير حاجة إليهما على الجامعات وقدم مناهج تعليمية تغرى بإعلام شأن الفنون
اليونانية كالخطابة وغيرها على العربية ثم دعا إلى منهج التعليم الفرنسي في صراع
منهم بينه وبين إسماعيل القباني الذي كان يحتضن منهج ديبوي والأسلوب
الأمريكي ومن قبل استمر الصراع بين الثقافين الفرنسية والابجايزية
أمدأ طويلا .

ثم فتح طه حسين الطريق إلى الفكر الصهيوني والفكر الماركسي جميعاً مع
أنه كان داعية الفكر الليبرالي الغربي وهذا هو الذي مهد للعصر الذي غلبت فيه
الشيوعية بكل سمومها وسوءاتها .

ولقد كانت خطة الغزو الثقافي والتغريب في مجال التمايم هي أشد الخطط
دهاء ومكرأ من حيث أن احتواء المسلم عقليا وثقافيا هو العمل الأكبر الذي
يطلق الغرب إليه من أجل صناعة أجيال تابعة مستسلمة ، منبهة ، ولقد عمد صناع
هذه المناهج على الفصل بين التراث الإسلامي وبين الثقافة العصرية وأقاموا بناء
التعليم على هذا الفصل بعد أن كان التعليم يرتبط بالدين والتراث ، فالمدرسة
العصرية في مصر والبلاد العربية منفصلة عن التراث الإسلامي تستمد أصولها
الفكرية من العلم الأوروبي والثقافة الأوروبية ، وفي كل مواد الدراسة تبدأ عادة
بأصولها من الفكر الإغريقي ثم الفكر الروماني ثم يشار إلى العصور الوسطى
كفترة جهالة وظلام ثم يجرى إغفال ما بعد ذلك إلى ظهور النهضة الأوروبية ونجما
الضياء الإسلامي الكاسح الذي عم العالمين حتى لا يعرف الطلاب بلادهم ولا أمهم
ولا تاريخهم ، وهكذا يجرى بنشئته أجيال الشعوب العربية في ظل التبعية
لفكر الغربي بعد انتهاء السيطرة الاستعمارية ومن ثم تنشأ هذه الأجيال منفصلة
عن تراثها العريق فلا يحيط الطالب المسلم بالفكر الاجتماعي الإسلامي (المتصل
بالاقتصاد والزراعة والسياسة) عندما يدرس العلوم السياسية أو الاقتصاد أو
الاجتماع لأن المراجع الأساسية التي تقدم له ويدرسها ويتمكن فيها تمسك من
أصولها نهضة الإسلام وتسدل عليها ستار العصور الوسطى . ومن شأن هذا
أنه يوقع أبنائنا في خطأ الاعتقاد بأن العلم الحديث إنما ينبع من تراث الإغريق

والرومان قبل المصور الوسطى ومن الفكر الأوروبي في عصر النهضة وفترة ما بعد النهضة وهذا ما يسمى بالتأصيل أى إعطاء الفكر المعاصر في عالمنا الإسلامى عنصر الأصالة يربطه بجذوره التاريخية لتكوين هذه الجذور أصوله الفكرية النابعة من التراث .

وإذا استمرت الأمة المسلمة مفرطة في تواتها وفي أصالتها بمفهومها الخاطيء للمصرية عن طريق التقليد الأعمى فإنها تربط نفسها بذلك مع سفينته على وشك الفرق ولا بد أن تغرق معها .

وإذا كان لنا أن نتحدث عن أخطار المنهج الغربى في التعليم لقلنا أن أخطر ما هنالك أن مفاهيم السياسة والاجتماع والاقتصاد التى تقدمها هذه المناهج تختلف مع مفاهيم الإسلام ، وهى مفرغة من الإيمان بالله ومن البعد الإلهى لحركة الحياة ومن أخلاقية الحياة .

ومنها خطر توحيد مناهج التعليم بين الرجل والمرأة ، وقصور التعليم على المفهوم المادى مع استبعاد المفهوم الروحى والمعنوى ، وعدم بروز الوجه العربى الإسلامى لمختلف المناهج ودور الإسلام فيها وكذلك فى محاولة إخضاع العلوم الإنسانية لمناهج العلوم التجريبية المادية .

الفصل الخامس

الجامعة وتبعية المناهج الجامعية

خضعت الجامعة في مصر والبلاد العربية للتبعية الغربية في مناهج التعليم فأصبحت لا تدرس المفاهيم الإسلامية بل المذاهب الغربية (الرأسمالية والماركسية) والتي ثبت فشلها سواء أكانت اقتصادية أم تربوية أو اجتماعية .

ومن هنا فإن الضرورة أصبحت تحتم إعادة النظر في فروع الثقافة والعلوم التي مازلنا ندرسها في جامعاتنا ومعاهدنا وينعكس أثرها على طلابنا وطالباتنا في مختلف مراحل التعليم ، هذه الفروع التي تشمل العقيدة والتربية والنفس والاجتماع والأخلاق والأدب والفن والتاريخ والفلسفة والاقتصاد ، وسياسة المال وكل ما يتصل بالجانب النفسى والاجتماعى والأخلاقى ، هذه الفروع للأسف الشديد ما تزال تدرس حتى الآن من وجهة نظر الثقافة الأوروبية الاستعمارية والمسيحية إلى حد كبير .

وما تزال تترك أبنائنا ضحية التبعية للمضارة الأوروبية المنهارة أو بوقالها وإن جامعاتنا لا تزال تقوم بدور (التفرغ) بدلا من التعريب (عدنان زرزور).

ويعنى تعريب التعليم الجامعى (الذى هو ضرورة لوصول المسلمين إلى مرحلة الرشد الفكرى) إنما يعنى الانتقال من مرحلة التعليم للفكر الغربى أولا وباللغة الأجنبية فلا بد من إسلامية التعليم وتحرير مناهجه وأن يقوم ذلك التعليم باللغة العربية مع المحافظة على تعلم واقتان لغة أجنبية أو أكثر من أجل العودة إلى المراجع الأجنبية . وتأنى خطورة بند ذلك هى القيام بالأبحاث العلمية الحقيقية المناسبة التى تسير تطور الركب العلمى والتى تعتبر مساهمة حقيقة في بناء حضارة هذه الأمة عندما تكنت هذه الأبحاث باللغة العربية ، فلا بد

من إستيعاب الطالب المادة العلمية بلغته حتى تتحرك في مزاجه وروحه
وكيانه الإسلامى .

ومن هنا فإنه لا بد من تحرير الجامعات ومراكز البحث العلمى ومناهج التعليم من
رواسب التبعية الثقافية والمؤثرات الاجنبية، حتى ينكسر هذا الإطار الابدولوجى
الغربى المسيطر على العلوم والثقافات ، فإن هؤلاء الذين تكونهم الجامعات اليوم
إنما هم قادة الأمة فى المستقبل القريب ومن أجل هذا يجب أن تكون عملية
الانهار بالغرب ومدنيته قد تضاءلت تماماً وحل محلها نقد علمى واع لتجاوزات
المناهج الغربية البشرية التى هى من صنع الانسان لمتغيرات الزمن والبيئة ،
على النحو الذى كشفه علماء الغرب أنفسهم من فساد تلك النظريات والفروض
التي قدمت فى مجال العلوم والفلسفات ومناهج الحياة الاجتماعية والاقتصادية ،
ولا بد من غرس الولاء والوعى الإسلامى لدى الدارسين وتوجيه نظرهم إلى
بدائل إسلامية فى كل هذه المجالات من منهج الله الاصيل الجامع ، الذى عاشت
عليه الأمة أربع عشر قرناً وبني كياناتها ورد عنها عدوان خصومها ، ورتب لها
أسباب نصرها ونهضتها وخرجوها من المحنة والأزمة كلها حاقت بها ، فالمسلمون
هم الذين صنعوا المنهج التجريبي الذى بنى عليه هذا التقدم وما زال المنهج الغربى
عاجزاً عن الاجابة عن تساؤلات النفس الإنسانية ، عاجزاً عن العطاء الذى يحقق
أشواق الروح .

والواقع أن الوقت قد حان لإعادة النظر فى برامج التعليم بعد أن مضينا
زمناً طويلاً قايمين فى قنوات مظلمة : للنقل من مناهج التعليم الاوروبى ،
بدلاً من العودة إلى الأصالة .

ولقد كان المستشرق جب صادقاً عندما قال أن للدارس الاجنبية فى العالم
الإسلامى كانت مفسدة لقومية التلاميذ لأنها أدت إلى تمزق الاواصر
التي كانت تحفظ تماسك المجتمع الإسلامى ، وهو بقصد تمزيق الوحدة
الإسلامية ونحن نضيف أنها كانت مفسدة أيضاً لاخلاق التلاميذ فقد حالت
دون حلهم أمانة حماية الأمة من عمليات احتوائها والقضاء على كياناتها
وتحطيم ذاتيتها .

وقد انجذعت الآراء الناضجة على أن المهمة التي تقع على عاتق الجامعات الإسلامية أن تبطل تأثير التيارات الوافدة التي ترمى إلى نصفية ثقافتنا بوصفنا أمة واحدة والقضاء على مصادر الطاقة التي عليها المعول في بقاء حياة المسلم وقدراته

ومن العجب أن الجامعات في مختلف أنحاء العالم نشأت في يوره التراث إلا جامعاتنا التي نشأت بعيدة عن الأصل الاصيل فهي لم تنبثق من الأزهر وإنما أنشئت لتواجه الأزهر وتعارضه وتوجه الثقافة وجهة أخرى يصبح فيها الأزهر مجمداً منطقياً. الأنوار داخل دائرة التجميد ، فإذا قبل أنه التعديل والتغيير ومطالبة العصر ضرورة فلنا فإن ذلك لا يكون على حساب القيم الأساسية ، إن التعليم أساساً يجب أن يبنى الشباب على الايمان بأمة وعقيدتها وفكرها والدفاع عنها ومحاولة دفعها إلى الامام دون أن تخرج عن أطرها وقيمها ومقوماتها الاصيلية . أن أساس الجامعات هو الاستمداد من المنابع والحفاظ على طابع الاخلاقية العلمية ، وهو ما حاولت تلك القيادات التي فرضت على الجامعات أن تحول دونها .

كذلك فإن هذه الجامعات اعتمدت مناهج الجامعات التي أنشأتها الاراساليات التبشيرية في البلاد العربية وكان في مقدمتها :

أولاً : الدعوة إلى العلمانية في أوساط المسلمين وأبعاد المسلمين عن حقيقة دينهم .

ثانياً : تفسير التاريخ الاسلامي تفسيراً مادياً .

ثالثاً : الدعوة إلى العامية وأن يحل الحرف اللاتيني محل الحرف العربي وأحياء اللهجات وقد دعت الجامعة الامريكية إلى شعار : تسهيل اللغة ، وألف أنيس فريحة كتابه تبسيط قواعد اللغة العربية وقد تلقف هذه الدعوة الدكتور طه حسين ونصارى لبنان .

ونجملت الدعوة إلى هذه الفكرة المسمومة في مؤتمر أزمة التخلف الحضاري الذي عقد في الكويت وحضره غلمان المستشرقين .

رابعاً : دعم اللغات الأجنبية وإحياء اللغة اليونانية القديمة .

خامساً : إحياء الولاء الغربي والبطولات الغربية ، وتهوين شأن النفوذ الأجنبي فقد استهدف التعليم العلماني إنشاء أجيال من المسلمين منسلخة عن الإسلام وجعله به ، تسخر منه وتعاديه ، مع التعلق بوجال في التاريخ الأوربي من أرسطو وأفلاطون إلى رسل وسارتر معظمة للقادة الفتوح من الساسة الغربيين من أمثال هانفبال إلى بونا برت إلى جورج وشتطون .

سادساً : محاولة تصوير الإسلام في دراساتهم عائقا بوصفه دون التقدم الحضاري الذي وصل إليه الغرب (فكما أن الغرب لم يبلغ هدفه إلا بعد حصر المسيحية داخل جدران الكنيسة وأبعادها عن التعليم والمجتمع والحكم) فإن الشرق الإسلامي لن يتمكن من النهضة إلا بحصر الإسلام داخل جدران المسجد إذ لم يتم الاجهاز عليه نهائيا وبذلك يفتح الطريق أمام التقدم والتحضر .

سابعاً : عزل المسلمين عن تاريخهم وماضيهم (الذي يمثل فترة الازدهار الحضاري علما وعمرانا وقوة) جعلت المسلمين في الصدارة بين العالمين .

ثامناً : محاولة محاكمة الإسلام إلى طبيعة المسيحية ومفاهيمها في مقالات واضحة .

(١) فالإسلام لا يعمق التقدم العلمي بل يدعمه ويجعل العلوم والصناعات من قروض الكفاية بينما كانت النصرانية المحرقة في الغرب تقف أمام جهود العلماء وتمنعهم من إعلان الحقائق العلمية وتضطهدهم .

(٢) يمثل الإسلام شمول العبادات والمعاملات والسياسة الشرعية في الداخل والخارج فهو ليس كالسيحية علاقة بين العبد والرب تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله بل ترى أن الشكل لله . ومن هنا لا يمكن حصر الإسلام في المساجد كما حصرت المسيحية بين جدران الكنيسة التي هو طبيعتها ونظامها من حيث أنها دين وصايا .

(٣) أن جميع حركات المقاومة للاستعمار انطلقت في مطلع هذا القرن من داخل المساجد وتحت شعار (الله أكبر) .

وهذا يعني أن حجب الإسلام عن المناهج الدراسية يحرم المسلمين من أعظم القوى المعنوية المؤثرة في جماهيره والدافعة إلى الجذل والتضحية والى كائن سند المسلمين في المحن التاريخية منذ مواجهة القوى الصليبية قديما والقوى الاستعمارية والصهيونية والماركسية الجديدة .

وهكذا نجد أن التعليم كان عاملا خطيرا في تأخير النهضة وأن احتوائه وتغريبه كان له أثره البعيد في النتائج التي ترتبت على ذلك بما لحق بالامة الإسلامية من إستهانة بالقيم الإسلامية والتسك بالالتزام الاخلاقي في بناء المجتمعات الإسلامية .

طه حسين (التعليم كالماء والهواء)

يقول الدكتور فتحي حموده :

إن إثارة موضوع تدهور التعليم والثقافة في مصر يحرك اللواعج الكوامر حول غاشية الجهالة المقتنعة التي رانت على أبناء هذا الجبل كله أو جله منذ أن فتحت أبواب المعاهد على مصاريعها لكل واغل أو وارث وبغير تحديد أو تمييز أو أهبة مناسبة من المعلمين الصالحين وأدوات التعليم في مختلف الفروع ، والعجيب أن يكون المسئول الأول عن هذه المحنة هو (طه حسين) رمز الثقافة الرفيعة ومحامها وأن تبدأ هذه المحنة كلها بلمعه بيانيه منه حين طاب له تشبيه العلم بالماء والهواء اللذين لا يستغنى عنها مواطن من حيث هو مواطن ، أو إنسان من حيث هو إنسان .

وقد كان لعميد الأدب العربي على حصافته وفطنته ولع غريب بالتعميم وإطلاق الأحكام ثم الانطلاق وراءها إلى أقصى غاياتها ولا سيما في المجالات الإصلاحية التي تهمة منها النتائج القريبة العاجلة والظواهر الخاطفة والوائض دون كبير تدبر أو تفكر في آثار التطبيق على الزمن الممدود ، أما العقاد المولع بالتحقيق والتدقيق فقد أجاب بأنه إذا صلي القول بأن التعليم كالماء والهواء فإن من غير المجحود أيضاً أن هذا التعليم المشاع كالطوفان الدائم المفرق المحتاج إلى كل القطة في كبج مجاحه وتوقى لإخطاره والتأهب له قبل موعده بالخواجز والسدود والقناطر التي تضبط مساره وإثاره . ثم أضاف العقاد قوله المشهورة : أن تشبيه السلم المباح بالطوفان يقل بلاغة عن تشبيه بالماء والهواء وقد قصد العقاد من ذلك أن ينبه إلى أن هذه المسألة أخطر من أن يقطع فيها بفنون البيان والبديع ولا مندوحة فيها عن تحكيم العقل والمنطق .

وفي الزحام ضاع صوت العقل وساد حكم الهوى والعاطفة لاسيما بعد

أن قامت الثورة ورفعت شعاراتها التي ركبت بها الجماهير موجه طه حسين وتركزت فلك العقل والروية التي فيها النجاة من هذا البحر المسجور .

وهكذا فتحت مدارس وجامعات غير محدودة كلها بالجمان وهو أمر لا نظير له حتى في الاتحاد السوفيتي . واستعين بالوف من المعلمين وغير المؤهلين وغير المتعلمين ممن شتروا على هذه الحشود المحشودة بما لديهم من قشور وبلوا وجوهم شطر الدروس الخصوصية أو دنائير البلاد العربية وإنسام ذلك كله رسالتهم بل أنسام أنفسهم وبلغ بهم الاستحقاق أن يتقوا الطلاب بجهلهم وعبلهم إلى الصفوف الأعلى وأن يهطوا في تصحيح الشهادات العامة مثاث في المائة لعايرة زائفين تنكشف هوراتهم في الجامعة ، ولم يعد الغش والفساد مقصورا على الطلبة بل شارك فيه المعلمون والمتعلمون جميعا وذلك بشهادة (طه حسين) نفسه في (مستقبل الثقافة في مصر) ولقد كان كاتب هذه السطور أول القطار في جميع الشهادات العامة وكان بينه وبين من يليه في شعبة الآداب بالشهادة التوجيهية (الثانوية العامة) ثلاث عشرة درجة ومع ذلك لم يزد مجموعة الكلي عن ٨٥٪ وكان ذلك رقفا قياسيا عشر مسبوق في أيام اعتدال الموازين وانضباط المقاييس واستقامة الضمائر في تلك الأيام الخوالي كان المعلم معلما حقا ، يستحق أن يقام له وفاء لتبجيله وعرفانا بأبادية وثقافته في أداء واجبه وتبليغ رسالته وصبره على الاعادة والافادة حتى يصل إلى إفهام أغبي وأهدى تلاميذه المائلين ، وكانت الدروس الخصوصية (نزاكه) لا يطلها ولا يقبل عليها إلا الأغنياء الموسرون الذين يتخذون منها مادة لقتباي وكان آخر أقل ما تقرأه هو كتب الوزارة المقررة ، إذا كانت الدراسة فإذا كانت العطلة فقد كنا نقرأ المفلوطين والمقاد وطه حسين والرافعي ومنا من كان يقرأ عيون التراث ويحفظ المعلقات السبع ، وكنا نقرأ أيضا لشكسبير وديكنز وستينون ووالتر سكوت في أعمالهم الأصلية أو الميسرة ونحن لم نزل في المرحلة الثانوية .

وقد بلغنا هذا المستوى لأننا درسنا في المرحلة الاولى الاساسية القراءة والكتابة والحساب وحفظنا القرآن ، فكان لنا نورا هاديا مرشدا وكان نعم الزاد لأرواحنا وقلوبنا وأسفتنا وما زال رأي أنه ن أنجب

أبدا في اللغة العربية أى إنسان لا يكون أساس تكوينه القرآن ، ثم بدأنا تعلم اللغة الإنجليزية منذ أول صف في المرحلة الابتدائية ، وكان مقررا علينا في الصف الرابع روايتان كاملتان بـ تلك اللغة يتم منها الامتحان الشاهد لمن يختاره بالانقائ فليس بغريب إذن أن يقف تعليم العقاد عند الشهادة الابتدائية في تلك الأيام ويتفق له منها هذا الرسوخ والتسكن في اللغة الانجليزية الى كانت لغة ثقافته الاجنبية ، كذلك كان يتحقق لنا إتقان اللغة الفرنسية على امتداد خمس سنوات .

ولن يصدق هذه (الاساطير) أحد من أبنائنا وأبناء مدارس الماء والهواء من لاحظ لهم في معلم كصف أمين مخلص أو في معهد منظم مجتهد متأهب ومن كتب عليهم أن يتشققوا على يد ذلك الصندوق العين المعروف بالتلفزيون في حلقات الحارب والرجل الأخضر والفتاة الحارقة وغيرها من مواد الملوسة الأمريكية والفنى تطلع علينا إحدى مذيعاته المثقفات بأنه خير صحيح مايشاع من أن أبا العلاء رهن المحبس فنسب إلى معرفة النعمان وإنما وإنما هو أبو العلاء المصرى المنتمى إلى مصر لما ودما ، وقد يكون هذا من فرط الغيرة الوطنية عند هذه المذبة ولكنها سقطة ثقافية بشعة تعطى مؤشرا للثقافة المتاحة لجيل الماء والهواء وهى ثقافة لن تبلغ الافهام ولن تتجاوز مواطنى الاقدام إذا صح أن هناك ثقافة أصلا .

ولاشك أن المصيبة أعظم في السكليات العملية وعلى رأسها كلية الطب التى يتهافت عليها الجميع . اين خريجو الطب اليوم ومنهم من يتخرج لياوس الجراحة وهو لم يجرب التشريح قط على امتداد دراسته ومن الذى يشق بهم أو يأمن لهم أو يطمئن إلى رأيهم ورأى أساتذتهم فيهم معروف ونسبة نجاحهم في امتحان المعادلة الذى يجرى لهم في إنجلترا اثنان فى المائة على أكثر تقدير .

الفصل السادس

تغريب الأزهر

منذ جاء النفوذ الاستعماري الغربي كان حربصا على احتواء الأزهر فقد شهد موقف المقاومة التي أثارها علماء الأزهر وكذلك ما نام به الأزهر من مواجهة الاستبداد الداخلي وقد كان له موقفه مع الأمراء المماليك في مواجهة ظلاماتهم فقد اشتكى الناس من مظالم الأمراء فاتجهوا إلى الشيخ الدردير في الجامع الأزهر ، الذي أمر بدق الطبول على المنارات لإبذاناً بالاستعداد لمهاجمة بيوت الأمراء ونهبها فلما بلغت أخبار الجماهير الشائنة الأمير إبراهيم بك وبلغه تصميم الشيخ الدردير على قيادة الشعب ضد الأمراء ، حشى أن يستفحل الأمر فأرسل يعتذر عما حدث ووعد بأن يكف أيدي الأمراء عن الشعب وكتبوا كتابا بذلك احترام فيه الحاكمون إرادة المحكومين (حسباً أورد ، الجبرتي في الجزء الثاني من تاريخه) .

وكان للأزهر موقفه من الحملة الفرنسية ومن محمد علي حين دخل ليرحلته الاستبداد ، وعرف الاستعمار البريطاني مدى خطورة الأزهر على وجوده منذ احتل مصر سنة ١٨٨٢ ولذلك نجد أن كرومر المعتمد البريطاني في مصر يقول في تقريره :

إن التعليم الوطني في قبضه الأزهر الشديد التسك بالدين والذي يقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي ، وكان الطلبة الذين يتخرجون منه يحملون قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني فلو أمكن (تطويرة) لكان خطوة جليلة الخطر فليس من اليسير أن يتصور أي تقدم لنا ، ظالماً ظل الأزهر متمسكاً بأساليبه وإذا بدأ أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها - فيستدعي يصبح الأمل محصوراً في التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح ،

وهكذا بدأت حملة انتفاص دور الأزهر الخطير على الاستعمار والاستبداد
جميعاً على أكثر من محور .

(أولاً) تقليص دور الأزهر بالتوسع في التعليم اللاديني .

(ثانياً) إنشاء الجامعة الأمريكية التي أريد بها تحويل الانظار عن الأزهر .

(ثالثاً) إنشاء الجامعة المصرية التي حملت منذ اليوم الأول مخطط التعليم
العلماني والتي قام عليها طه حسين وأمين الحول وأحمد أمين ، وهكذا وضع
الاستعمار البريطاني خطة تطوير الأزهر التي امتدت حتى حققت غايتها
عام ١٩٥٦ عندما وضع القانون الذي ألغى المحاكم الشرعية وحول كلية الشريعة
إلى كلية لدراسة القانون الوضعي وتخريج قضاة ومستشارين أزهرين يحكمون
بقانون نابليون إلى جانب قضاة كلية الحقوق .

ويشير الدكتور محمد البهي إلى خطة احتواء الأزهر فيقول أنه في عام ١٩١٥
وردت رسالة من المستشار الإنجليزي (دنلوب) إلى شيخ الأزهر تنأسف فيه
وزارة الخزانة لأن المبلغ الذي خصص للأزهر قليل وقد وعد أن تصرف وزارة
الخزانة مبلغ ثمانية آلاف جنيه للأزهر بشرط أن تنتقل أوقاف الأزهر إلى
وزارة الخزانة ثم أنشئت وزارة الأوقاف التي استمرت بميزانية مستقلة حتى
جاءت حركة الجيش في يوليو ١٩٥٦ حيث صدر قرار بضم الأوقاف إلى الحكومة .

فأصبح رجال الدعوة الإسلامية ورجال الأزهر غير مستقلين وانتهى
الامر بأن أصبح رجال الأزهر ورجال الدعوة موظفين لدى السلطة وأصبح
رجال الأزهر يتحدثون عن (الاشتراكية) وهي (ماركسية) من أجل أرضاء
الأحزاب والسلطات كما تسلل الروتاري إلى الحركات قبل حركة تحرير المرأة
في بلاد المسلمين ويستقطب العلماء والمفكرين والصحفيين ، ثم أنشئ في جمعية
الشبان جمعية للتقريب بين الأديان .

كذلك فقد أنشئت الكلية الإنجليزية الأمريكية في الأزهر لتجارب الأزهر
وأنشئت في استانبول لاسقاط الخلافة ولأن القائمين على هذه الكليات يعتقدون

إنه لابد من تفويض الأزهر ولابد من هدمه وكذلك الخلافة الإسلامية
والتركيز على القوميات لزور العداء بين المسلمين .

ولاريب أن تقليص التعلم في الأزهر وتفريجه من عوامل قوته التي
أعطته القدرة على الجدل مع المستشرقين ؛ ومقاومة المستعمرين . والمستبدن
هي العامل الأول في هذا المخطط الذي قضى في المرحلة الأولى على تكامل المعرفة
الإسلامية حيث كان عالم الإسلام جاءماً للجوانب الفقهية واللغوية
والعقائدية جميعاً على طريقة الأزهر الأساسية وهذه هي ما افتقدها بالتقسيم
التي تم عام ١٩٢٦ ثم كانت المرحلة الثانية بعد ثلاثين عاماً لنفقده جوهره
الاصيل فقد كان قانون تطوير الأزهر بمثابة تمكين التيارات المعادية للإسلام
من تجريد هذه الجامعة الفريدة من كثير من مقوماتها الأساسية حيث فرضت
عليها ألواناً من المعرفة التي قد تصطبغ أصول بعضها مع التصورات الإسلامية
وخاصة في مجال الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي حيث تقلصت العلوم
الإسلامية والعربية في الأزهر وفرضت المواد القومية والاشتراكية وهي
مواد بتجاهل الإسلام في أسسها وتحليلها وغاياتها وذلك لكي يسدوا بها الفراغ
العقائدي التي سببه تجريد الأزهر من رسالته وإبقاء المدارس والجامعات على
مناهج كرومر ودنلوب الاستعماريين .

وكان من أخطر المحاذير دخول طلبة الأزهر للمعاهد الدينية دون حفظ
القرآن حفظاً كاملاً ، حيث لا يتصور أن يتقدم عالم إسلامي للناس ليؤمهم
ويفتيهم ويقضي بينهم وهو لا يحفظ القرآن وهذا أخطر ما في عملية تطوير
الأزهر بل هي في نظر البعض كارثة ، فإن يكون عالماً صالحاً لثوبه مالم يستطاع
أن يعرف أحكام القرآن .

وقد كشفت الأحداث عن أن علماء كلية الشريعة والقانون أصبحوا
يصدرن أحكاماً فاسدة لأنها قامت على جمل بالشريعة ، هذا الجهل راجع إلى
سوء ما وصل إليه العلم في الأزهر ونتيجة العشور التي تدرس في كلية الشريعة
أو غيرها .

وشهد بذلك بعض من تركوا المحاماة الشرعية بأنهم وجدوا القضاء لا يعرفون
المبسات من الشريعة الإسلامية ومن المعروف أن الدكتور طه حسين هو
أخطر من دعا إلى تطوير الأزهر حين كتب مقالاته (الخطوة الثانية) وهي
إلغاء المعاهد الدينية بعد إلغاء المحاكم الشرعية ، والمعروف أن تخصص القضاء
الغى في كلية الشريعة قبل التطوير عام ١٩٥٥ فلم تعد تخرج قضاة ، ولما
أدجت المحاكم الشرعية في المحاكم الوطنية لم يعد لها من يعذيها أوجدت كلية الشريعة
مثل البحر الميت على حد تعبير الدكتور سعد جلال . وقال انصار التطوير أنهم
أرادوا به إلحاق بالحياة مع المحافظة على الأصالة الإسلامية ، وفي كلية الشريعة
تمرقوا بين دراسة القانون ودراسة الشريعة وفي كلية اللغة العربية تاريخ دون
نحو وأدب دون لغة أو دون دين وضاع تكامل الدراسة الذي عرفت في كتب
المتقدمين بعد إلغائها .

ولما كان الأزهر — كما يقول الأستاذ محمد عطية خيس — أمانة الفصل في
المخالفات الشرعية التي تنظم حياة الأمة كلها أفراداً وجماعات ، حكماً
ومحكومين ، فإن استقلال الأزهر كقوة شعبية هو من أهم الضمانات لتحقيق
التوازن الدستوري ، وفي النظام الإسلامي يعتبر العلماء هم أهل الشورى
الذين يمثلون الإرادة الشعبية ، وهكذا عمات القوى المختلفة على تجريد الأزهر
من جميع أوقافه ونهبها منذ عصر محمد علي وهم يحتالون للأمر حتى أمكنهم بالمر
والخديعة أن يستولوا على أوقاف الأزهر ويعطوه مالا من خزائن الدولة .
وقد استولى الانجليز أبان ثورة ١٩١٩ (بعد أن أزحهم دور الأزهر
في مقاومتهم) على اقتحام مكتبة الأزهر والاستيلاء على جميع أوقاف
الأزهر للقضاء على قوته ولاضافه وتدمير استقلاله ، وخاصة أوقاف الطمام
والانتقال .

وفي خلال الاستعمار البريطاني أصبحت تبعية الأزهر للسلطة الوطنية :
وصدر القانون ١٨٩٥ . ١٨٩٩ وما بعدها ، وبعد وفاة الشيخ أبو الفضل
الجزاوي ١٩٢٧ تدخل الإنجليز وتقدم اللورد جورج لويو المندوب البريطاني
وطلب ترشيح الشيخ المراغي لمشيخة الأزهر .

وهكذا نرى كيف نفذت خطة احتواء الأزهر والسيطرة عليه :

أولاً : مصادرة أوقافه .

ثانياً : القضاء على الروح الوطنية التي قادت ثورة القاهرة على الفرنسيين

وثورة ١٩١٩

ثالثاً : القضاء على زعامة الشعبية التي فرضت على أمراء المماليك اتفاقية

حقوق الإنسان .

رابعاً : تسلط الفرنسيين ومحمد علي والاحتلال البريطاني على الأزهر لتفريغه من قوته الذاتية بعد أن أشارت توصيات مؤسقى التبشير والاستشراق إلى خطر الأزهر وإنشاء الجامعة الأمريكية في مرحلة ثم الجامعة المصرية في المرحلة التالية للوقوف أمامه وخداع الناس بأسماء طه حسين وعلى عبد الرازق وأحمد أمين وغيرهم بأنهم من ثمرات الأزهر .

خامساً : تفريغ الأزهر من قواه في عهد حركة الجيش ، وإنزال شيخ الأزهر إلى درجة وكيل وزارة والسيطرة عليه وعدم تمكنه من أداء واجبه ثم احتواء الأزهر بالسيطرة على رجاله حتى لا يكونوا قادرين على تمكين الأزهر من أداء أى دور في مواجهة النفوذ الاجنبى ثم إلزام علماء الأزهر بالتقبل للمفاهيم الاشتراكية دون تبين أخطارها ومخاطيرها .

غير أن هذا الوضع بدأ يتغير قليلاً فقد أجمعت الآراء على ضرورة إعادة النظر في تجربة قانون التطوير الصادر ١٩٦١ بعد مرور عشرين عاماً على ذلك بما يحفظ على الأزهر شخصيته العلمية الإسلامية ويمكنه من أداء دوره الكامل في المجتمع الإسلامى وتحقيق حريته واستقلاله في اختيار قياداته ونظام دراسته والمادة المتخصصات التي كانت حقاً الأزهر منذ مئات السنين ، وقد تمكن علماء الأزهر من تحقيق سلطتهم التشريعية ونجاحه × بعد اعتبار الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسى للتشريع واعتبارهم قناة شرعية لتأييد الصالح من المشروعات ومعارضة غير الصالح منها ، بوصفهم الجهة الوحيدة المتخصصة

التي يستطيع الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص شرعى ، وإبداء الرأى فى المسائل الخاصة بالمعاملات المالية الجديدة .

...

وكان المفروض أن يجمع دراس الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى ما يمكنه من أن يظهر عظمة شرع الله وسموه وعكائته . أن الدراسة بالكلية قبل التطور كانت قاصرة على الدراسات الإسلامية والعربية مما أتاح الفرصة لتخريج علماء أكفاء فى الدراسات الإسلامية والعربية ، أما بعد التطوير فقد اتخذت الدراسة منهجى آخر حيث ضمت إلى مناهجها دراسات القوانين الوضعية وأصبح نصيب المراءد الشرعية من حيث الحكم تقريباً ثلث المناهج الدراسية وضاعت فكرة المقارنة بين القانون والشريعة التي من شأنها أن تكشف عن عظمة الشريعة ، ونحوالت إلى تبعية للقانون الوضعى . وهزيمة للشريعة ، هذا ما يقوله أساتذة الكلية .

ولما كان من الضرورى أن تشترك كلية الشريعة والقانون فى مجال تقنين الشريعة فيقول الدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون العام أن لجان التقنين بدأت من منطق قانون وضعى أساسى وهرضت على لجان الشريعة للنظر فيها هل ضره أحكام الشريعة لكي يزال منها ما يتعارض مع الشريعة وبمدل بالشكل الذى يتمشى معها فالذى حدث من وجهة نظرى ، كأستاذ فى القانون ليس تقنيناً للشريعة وإنما هو تطوير للقوانين القائمة بجعلها لا يتعارض مع الشريعة فالتقنين يكون باستطلاع أحكام الشريعة من مصادرها الذريعة ، وحسبما وجدت لدى رجال الفقه سلا مى وهو جهد الإسبق إلى القيام بعض العلماء .

أما ماتم تحت اسم تقنين الشريعة فقد انطلق من التقنيات الوضعية . وطورها لكي لا يتعارض مع الشريعة وشتان بين نتائج كل منطق .

(٢)

قضية التطوير

مرت قصته تطويراً الأزهر في ثلاث مراحل :

أولاً : كانت خطة محمد علي - بعد أن أحس بخطر القيادة الشعبية على نفوذه بقيادة عمر مكرم ، يقوم على أساس تجفيف المصادر التي تمد الأزهر بالرجال ولهذا أنشأ المدارس الجديدة في مصر وأخذ يرسل طلابها لا كمال دراستهم في أوروبا بينما أهمل الأزهر فقل الاقبال عليه وزاد الاقبال على المدارس العصرية ، فلما رجع الذين - افروا إلى أوروبا أصبحوا سفراء للحضارة الغربية المادية في بلادهم ولم يعد الأزهر حامل لواء الدعوة الإسلامية بل أصبح مهدداً لتخريب الأئمة والوعاظ ولا يؤمه غير الفقراء .

ثانياً : في عصر الاحتلال البريطاني رفع الانجليز من شأن المدارس والجامعات وزادوا من عددها واوافدوا طلابها لإكمال دراستهم في أوروبا وجعلوا وظائف الدولة وقفا على خريجي هذه المدارس ، كما قلدوم المراكز الاجتماعية الهامة في مصر بالإضافة إلى الرواتب العالية .

أما طلاب الأزهر فكانوا لا مستقبل لهم ، ولهذا عزف المصريون عن إرسال أولادهم إلى الأزهر وأخذوا يرسلونهم إلى المدارس الحكومية :

وبدأ خريجو الأزهر يبحثون عن التبعة . وإرضاء أصحاب النفوذ .
ليأكلوا لقمة العيش بالفتوى لهم .

ثالثاً : تمت في عهد التبعة الاشتراكية حيث تبنى القائمون على البلاد الاشتراكية العملية منذ أوائل الستينات وتركوا أحكام الشريعة ورائهم ظهرياً على اعتبار أنها رجعية يجب الابتعاد عنها . وتصدر الشيوعيون العرب المراكز الحساسة في مصر وغيرها ، ولهذا فقد شن هؤلاء حملة شعواء على الاسلام والمسلمين عامة وعلى الأزهر بشكل خاص على وأن تكون غطتهم

اللاحقة في القضاء على الأزهر بمثابة استمرار للمرحلتين .

وقد استطاعوا ضرب الأزهر ضرب قاصمة بدعوى تحويله إلى جامعة علمية وتطويره وإصلاحه فحولوا الأزهر من جامعة إسلامية ترسخ العقيدة في نفوس طلاب العلم ليكون الأساس القديم الذي تقوم عليه العلوم والمعارف الأخرى إلى جامعة تشكك الطلاب في دينهم وتدرس لهم الاشتراكية والماركسية والميثاق أكثر من تدريس العلوم الإسلامية والقرآن .

وكانت عملية تطوير الأزهر التي قام بها الشيوعيون تهدف إلى تحويل الأزهر بالتدريج إلى جامعة علمانية تهتم بشكل رئيسي بالعلوم الدنيوية وبشكل فرعي وثانوي بالعلوم الإسلامية . والهدف من هذا أن يتخرج الطالب الأزهرى وهو عاجز عن تأدية الرسالة المنوطة بها فلن يكون الأزهر بعد ذلك من المنارات التي يهتدى بها الناس ويقفون .

ومن ثم فإن عدم اهتمام المناهج الاشتراكية بالأزهر بالطلاب من الناحية الخلقية والالتزام العلمى بتعاليم الإسلام والسماح باختلاط الشباب والشابات فقد سهل على الشيوعيين الدراسة في الأزهر ليتخرج منه شيوعيون في ملابس أزهرية فيكون دورهم في الدس على الإسلام وتشويه تعاليمه وناربخه أحظر مما لو كانوا في جامعات أخرى .

يقول الأستاذ نيه عبدربه الذى لحصنا عنه هذا الفصل : لقد تقلت هذا حرفياً عن المخطط الشيوعى في العالم الإسلامى الذى يهدف للقضاء على الإسلام وإحلال الاشتراكية مكانه ، فالشيوعيون ينظرون للدين على أنه العدو الاول للاشتراكية العلمية ولذا فإن الصراع بين الدين والشيوعية صراع مستمر حتى تطفى الشيوعية على الدين . وعندما أنه لن يستقر التحول الاشتراكي الصحيح إلا بسيادة الاشتراكية على الدين وسبب هذا أن الشيوعية ترى في العقيدة الدينية خطراً على مخططاتها ، لأن هذه العقيدة من القوة المنوطة ما يعطل المخططات النوعية ، والاشتراكيون يعلمون أن للاديان شعارات قوية وللجماعات الدينية قوة ضخمة ، ولكنهم لا يكشفون هذا العداء هنا حتى لا ينفروا

للمسلمين منهم ، ولكنهم يعملون للقضاء على الدين بطرق غير مباشرة ، الهدف منها زعزعة العقيدة في نفوس المسلمين كخطوة أولى نحو ابتعادهم عن دينهم كاليه ، ومن الوسائل الشيوعية لمحاربة الإسلام والتي استعملت في الأزهر ما يسميه المخطط الشيوعي [تنقيح الدين] وقد أوصاهم لينين منذ البدء بأن إعادة التنظيم الفكري العقيدة الدينية وميراثها ومفاهيمها إنما هو بمثابة التنقيح للدين وتحديثه لاشتراكية العلمية .

والغريب أن الغرب والشيوعية يشتركان في مسألة واحدة يسمونها (تنقيح الدين في الشيوعية) ويسمونها في الغرب (تطوير الشريعة) فلا نفع في هذه الدعوة بالقول بأن (الإسلام دين الاشتراكية) إذا لم يتبعها تحطيم للمنظمات الدينية وصهرها في بوتقة التحويل ، فالتنقيح للأديان كما أوصى به لينين يجب أن يصاحبه الهدم لكل قاعدة يمكن أن يتخذها الدين سبيلاً إلى البحث والنضام والنماسك .

ومكافحة الدين وروابطه لا يكون بنسف الدين ، وإلغائه كلياً من حياة الناس ولكن بالترويج لشعار الثورة وخلق وعي مادي في نفوس الجماهير ليفرروا من الدعوة الروحية التي في جبهة الأديان ، وليس المهم إزالة طقوس العبادة وهدم الكنائس والمعابد وإنما المهم هو تغيير الوعي الروحي وخلق وعي مادي في الفرد ووجد الجماهير برفع الإنتاج والمنجزات الصناعية والزراعية والقوة العلمية ويجب أن يجنبه بعض رجـال الدين وبعض النصوص الدينية أن أمكن للدعوة الاشتراكية ولا بد أن تخضع المعامل الدينية بالجامعات والمؤسسات والجمعيات بالمساجد لسيادة الحزب الاشتراكي في الدولة الاشتراكية وتصبح جهازاً يصلح ضبطه واستعماله عند الحاجة ومن أجل ذلك عقدت أمانة الدعوة والفكر في الاتحاد الاشتراكي اجتماعات عدة من مشايخ الأروقة في الأزهر وعلماؤ الدين وأئمة المساجد ، وذلك بهدف تسخير الأزهر للدعوة الاشتراكية . فقد حدد القانون ٤٤ سنة ١٩٦٢ مهمة المسجد بأن يقدم لنا الفرد الصالح الذي يشارك في بنهاء النهضة القومية التقدمية الجديدة وأن مهمة وزارة الأوقاف هدفها التطبيق الاشتراكي السليم في المجتمع العربي كله وأن مهمتها اشتراكية بحتة ، وأن تتصرف بشكل يؤدي إلى تعميق جذور الاشتراكية في المجتمع

العربي وهكذا وجد من الأزهريين من يدعى بأن الإسلام هو دين الاشتراكية وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو إمام الاشتراكية وأن خديجة هي أم الاشتراكية وأن أبو ذر النخعي أول الاشتراكيين ، وأن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تابعة من حياته الأولى المتأثرة بالوضع الطبقي الشاذ في مكة وقال محمد حافظ سليمان (مجلة الأزهر - منبر الإسلام - يوليو ١٩٦٦) لاشك أن للصراع الطبقي في كل زمان ضراوة وأشار إلى ما تقوم به الرجعية العربية دفاعاً عن هيمنتها الرأسمالية وعن المصالح الاستعمارية التي تسندها ، وقال محمد أحد خلف الله : أن القرآن يدعو إلى ما ندعو إليه الاشتراكية من الاعتماد على العلم في ممارسة الحياة ومن هنا لا بدعنا شعار (اشتراكية علمية) وهذا هو نتيجة المخطط الذي استهدف رجال الأزهر وقال أحمد كمال أبو المجد (منبر الإسلام) أن الخطوة الجديدة لرسالة المسجد في مرحلة التحويل الاشتراكي : أن يخضع كل مسجد في مصر لمجلس إدارة تشرف عليه اللجنة الفرعية للاتحاد الاشتراكي على أن ترتبط هذه اللجان بإدارة عامة لصياغة البرامج غير الدينية للتنقيف الاشتراكي في الوسط الديني وسيلقى على الخطباء محاضرات في الدين والاشتراكية والعلم والاقتصاد الإسلامي ، . ١٠٠ هـ

(٣)

المدرسة الحديثة وانفصالها عن الأزهر

تقول الدكتورة بنت الشاطي : حين كانت المدرسة الإسلامية في أوج عزتها تفرد بالتعليم الاصيل ونشئة أبناء الامة في المرحلة الأساسية على منهج موحد وبرامج وكتب مماثلة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب قبل أن يخرجوا إلى ميادين العمل أو يتابعوا الدراسات العالية لعلوم الإسلام والعربية أو علوم الرياضيات والطبيعات نظرية وتجريبية . وفي العصر الحديث عزلت المدرسة الإسلامية عن مكانها المرموق وعطلت رسالتها الكبرى في التعليم الأساسي الاصيل الموجه وصرف عنها أكثر التلاميذ إلى المدارس الحديثة محمية وتابعة للبعثات التبشيرية والارسلالات العلمانية وانشئت الجامعات الحديثة ، فالبعض

أن خطفت الأضواء بجاذبية عصريتها وخفاة مؤسساتها ودرجاتها وألقائها المؤهلة للوظائف الراقية والمناصب السالية والمهن المربحة . وقد ضعت الكليات العلمية مقابل كليات الآداب والحقوق فشبه للناس أن ما يدرس في الكليات العلمية هو العلم ولا علم غيره فكيف بما يدرس في الجامعات العتيقة . لكن التيار العصري بما ضج فيه من أصوات دعاة التجديد والتطور والتقدم لم يقو على مقاومة النفوذ الروحي لشيوخ الاسلام : علماء الدين وكان معلمونا الشيوخ على تواضع معيشتهم وزهدهم ملء القلوب والأبصار مهابة وجلالا . فهم قضاة شريعتهم وملأ ذمهم عبادة في عصبب النوازل والمحن والكروب يعصمونهم من الضلال والقنوط وعنت جباه السلاطين والحكام لورثة الانبياء وتواضعوا لهم تقربا إلى الله أو خوفا من نفوذهم الروحي واستجلابا لرضى الشعب . إلى ذلك الماضي القريب بقى لطالب العلم في الحوامع العتيقة : الأزهر والقرويين والزيتونة ومعاهدها الدينية من دمياط وطنطا والاسكندرية إلى مرا كثر وفاس وفي المعاهد الإسلامية من الهند إلى نجد وأم درمان والبيضاء ، بقى لهم ممتهم الاصيل المميز بصنى عليهم في أعين الناس حرمة العلم الدينى بما يكشف بريق الطرايش والقبعات ومن الاحترام ما يفيض من زهو الافندية المتفرجة .

حتى جاء المد الثورى فتغيرت الأوضاع والمنازل والقيم ، واشتدت الحملة على السلفية المناوئة أو الموقفة للتغيير ، وانجحت المؤسسات الدينية العتيقة تهر صروحها ، وما كانت لتتجاسر أو لتقوى على النيل منها لولا أن أعان عليها رجال من هذه المؤسسات كانوا مرجون لحمايتها والدفاع عنها ، وأول ما كان من ذلك إلغاء المحاكم الشرعية وتذويبها في المحاكم المدنية وتقرر منح رجال القضاء الشرعى القاب نظرائهم المدنيين ومرتباتهم ، فما أصبح الصباح غداة القرار حتى سعى نفر منهم إلى القصر الجمهورى فوقعوا في سجل التشريعات التماسا برفع أصدق الشكر والامتنان لما حظوا به من رعاية كريمة ثم مالبث أكثرهم أن خرجوا على الناس في أزياء عصرية ملائمة لمجتمعهم الجديد وذابوا فيه لا يتميزون ولا يعرفون ، واستبدلت الثورة هبة كبار العلماء شيخونا الراسخين في العلم : « بجمع البحوث الإسلامية » جمع تشكيلة الاول خليط من العلماء والشيوخ ودكاترة في الجغرافيا والآداب والطب تخرجوا من جامعات أوربية ، وزفت

الأقلام والأصوات الموكب الجديد بأزيائه وصوره المتنافرة إعلاما بتجديد
كيان الهيئة العتيقة واحتفالا ببث الحيوية في خلايا شيخوختها . وطورت الثورة
جامعة الأزهر التي استكثرتنا عليها أن يتخصص - إلى جانب عشرات الجامعات
والمعاهد الحديثة - في علوم الإسلام والعربية ، مناط مجدها التاريخي العلمي
ورسالتها الكبرى في الأمة لاكثر من عشرة قرون ، واستحدثت التطوير (كليات
علمية) نضفي عليها صبغة العلمية وطابع العصر ، وما كان يدرس في كلياتها العريقة
(الشريعة وأصول الدين واللغة العربية) لا ينميا إلى وجودنا المعاصر . وليس
من (العلوم التي تخضع لمناهج البحث العلمي) ؛ خلع كثرة من الشيوخ زيمهم
التقليدي ولبسوا أزياء عصرية بمجادة لزملائهم الجدد في كليات الطب والعلوم
والهندسة بالجامعة الأزهرية واتمسوا من أى سبيل درجة الدكتوراه المؤهلة
للتدريس في جامعاتهم المتطورة يستوى في ذلك من نالها من معهد الدراسات
بجامعة الدول العربية ومن جاءوا بها من جامعات غربية في تخصص الشريعة
وفقه اللغة وتاريخ الإسلام باشراف أساتذة أجنب ليسوا عربا ولا مسلمين .
واستبدلوا بالمشيخة لقب دكتور وبلغ من شذوذ الوضع أن لو رشحنا لفحص
رسائل جامعية في علوم القرآن والحديث شيوخا من كبار علمائنا الشيوخ
الراسخين فيها لقبيل أنهم ليسوا من حملة الدكتوراه وخرجت رسائل جامعية في
فقه الاثمة الاربعة وتواتر أعلام السلف لقبوا فيها بلقب دكتور لم يتصور
شباب الدارسين أن هؤلاء العلماء الاثمة لم يكونوا دكاترة .

واختلط الامر على الناس ، تصدرت صور الدكاترة الأزهريين بأزياء
عصرية واجهات التلفزيون ومناو الصحف فاعادوا ينتمون في الرؤية العامة
إلى علماء الدين ولا يتميزون عن غيرهم ، ومكنوا بذلك للدخلاء من افتحام
الموقع الديني يقدمون بضاعتهم من العلمانيات الفجة الشائمة ليكسب الدين بها
صفة العلمية فلا غرابة أن راج القول بأن الدين (سلوك المتدين وطرائق عبادته)
بما تقدمه البرامج والصحافة الدينية ، والكثرة الغالبة من رجال الدين
في المجتمعات الإسلامية هم مقرئو القرآن في الإذاعة والمآتم ، والموائد
والسرادات الشعبية والخطباء والوعاظ في الجوامع والمساجد والزوايا
وما ذنونا الشرح :

وقد أوفدت نخبة من شباب الجامعات في بعثات للدراسة العليا إلى دول حلف وارسو أو حلف الأطلسي لتشغل المراكز القيادية لتوجيه الرأي العام بدعوة من الماركسيين أو المتشاكركين ، وإذا كان من المنتمين إلى علماء الدين من وظفوه لخدمة مواقف سياسية متغيرة ومآرب فردية عارضة ، فغير مستغرب أن يوظف الماركسيون التاريخ الإسلامي لخدمة ايديولوجيتهم فخرجت في هذه المرحلة كتب جامعية أعطت الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري رضي الله عنه لقب زعيم المعارضة والداعية الأول إلى الاشتراكية ، وفسرت حركة الخوارج بتمرد مبكر على الأوضاع التقليدية اسقط هيبة الخلافة وأرخس دماء الصحابة رضي الله عنهم فدية للتغير وضريبة للتطور . واعتسفت توجيهها ايديولوجيا بالغ الغرابة والفحش لحركات المفكرين السفاحين الذين خرجوا على الدين والأمة في العصر العباسي وعاثوا في الأرض فساداً وظهر (على محمد) فساد الزوج وقال : اجعلوا كل عام قفراً وكل دار قبراً فوطشوا البصرة وقتلوا في يوم واحد أربعة وعشرين ألفاً من أهلها ، وحركة الزوج تفسيرها الايديولوجي ثورة على الوضع الطبقي والاولتوقراطية قامت على إهانة الفتن والحروب بين الطبقات قبل الثورة الشيوعية بأكثر من عشرة قرون ، وفي أواخر القرن الثالث كان ظهور القرامطة بالبحرين ثم اكتساحهم ديار العراق والشام والحجاز ، وانتزع الحجر الأسود ، وهذه الحركة يفسرها الايديولوجي : حركة تقدمية رائدة لتحرير الناس من أفيون الشعوب ، وهكذا في سبيل خدمة متغيرات متلاحقة ومذهبيات طارئة يسقطون مصطلحاتها على تاريخ مضى من قبل أن تسمع الدنيا بلفظ واحد مما يقولون ، يثمر كسون وبتأمر كون في يوم وآخر وما كان شذوذاً صار هو الغالب على البضاعة الحاضرة لا يشد عليها إلا قلة غير مبصرة ، ا . هـ

الفصل السابع

مدرسة الترفيه والتسلية

ثلاث مدارس شكلت المزاج الذى يعيشه الناس اليوم : —

- (١) المدرسة .
- (٢) والمدرسة المرآزية (مدرسة الترفيه والتسلية)
- (٣) والصحافة .

وقد كانت مدرسة الترفيه والتسلية القائمة على المسرح والسينما والمراقص والأغاني وأدواتها الإذاعة والتلفزيون من أخطر التحديات التى تواجه بناء الأمة على الإسلام ، وهى تكمل - ملقة الخطر الذى يبدأ بالمدرسة وينتهى بالصحافة ، حيث لم تعد المدرسة هى المؤسسة الفعالة الوحيدة فى مجال التربية ، بل أن آثار هذه المؤسسة الإعلامية أشد خطورة إذ أنها هى التى تسيطر على ساعات الراحة وعلى البيوت والأهالي والآباء جميعا ، بما تفرضه على أبنائنا وبناتنا من قوة التأثير لدخولها كل بيت ولساعات طوال ويمثيرات تجتذب أكبر عدد من الحواس على حد تعبير الدكتور إسحق أحمد الفرحان ، هذا التحدى يكمن فى ناحيتين على الأقل .

(أولا) فى البرامج التى تستورد غالبها من مجتمعات لا تتفق ومجتمعاتنا فى قيمها ونظرتها إلى الحياة وتأتى معها بمشكلات قد لانعاق منها فى كثير من الأحيان تنبيه أذهان أبنائنا إليها ومن هنا بدأنا نسمع ونقرأ عن مشكلات انحراف الشباب وارتكابهم بعض الجرائم نتيجة تقليد فيلم أو مسلسل أجنبى معين يتسم بالإجرام والعنف ، والاعتصاب والسرقه كما رأوه .

(ثانيا) : عدم وجود أجهزة تنسيق بين المسئولين عن الاعلام والمسئولين عن التربية وهن الشئون الدينية فى بلادنا العربية والإسلامية والتحدى يكمن أن ينظر إليه من زاويتين .

الأولى : هذه الهجمة الغربية الشرسة التي تحاول اقتلاعنا من جذورنا وتغروننا في مدارسنا ومؤسساتنا الإعلامية المختلفة .

الثانية : أزمة المثقفين عندنا والمربين من حيث عدم تبنيهم للأسلام صراحة وفكرا وعامرة ، ليكونوا على مستوى التحدى فيثقفوا أبناءنا في الإطار الإسلامى في سائر حقول المعرفة . وليس التربية الدينية فقط من منطلق إسلامى وتصورات إسلامية ، وليكونوا هم أنفسهم قدوة علمية صالحة للاقتداء بهم لأن التعليم عن طريق القدوة هو خير أنواع التعليم .

(دكتور إسحق أحمد الفرحان)

ولقد اتسع مجال مدرسة الترفيه والتسلية بانتشار أجهزة الراديو والتلفاز التي وسعت في عصر الاحتواء الماركسى بثها على نحو خطير حطم كل القيم وأشاع روحا من الاباحية واللامبالاه الميوعة والتمثيان حيث حشدت فيها كل المطروحات الوافدة سواء غربية أم شيوعية بهدف تدمير النفس المسلمة وإفسادها ولما كانت مرحلة هذه المدرسة أوسع وقتنا من المدرسة الأولى فقد عكفت جماعات الشباب والأطفال والآباء والامهات على هذه المسرحيات والمسلسلات المملوءة بالبذاءة والاباحية والكلمات النازلة التي يتحدث بها أحط الطبقات ، وهذا هو ما يسمى بالدور العظيم الذى قامت به الثقافة في رعاية الآداب والفنون والمعروف بأن الماركسيين هم الذين استولوا على كافة أدوات الإعلام (الصحافة والمسرح والسينما ومنابرها) وعلى حد تعبير الدكتور لويس عوض أن المسرح المصرى خلال السنوات العشر الماضية في عهد عبدالناصر سقط في يد عصاة شيوعية وقد أدى ذلك إلى عدة عوامل خطيرة .

أولا : النزول بالجوار إلى أدنى مراتبه على النحو الذى يسمع في أشد الاحياء الشعبية .

ثانياً : نشر المعايير فى أدنى مراتبها .

ثالثاً : تحطيم الضوابط والحدود بين الآب والابن والزوج والزوجة بحيث تحول الحوار إلى سفاهات هجاء نازل منحرف .

وابساً : خلق أعراف جديدة تحقر الدين وتمتهن الأخلاق وتدعو إلى الرذيلة وتحرض على الفجور ، وتدعو إلى استغلال الفرص بالسرقة والنهب وتعلى من شأن الجنس والجريمة .

خامساً : أعلت مدرسة التسلية والترفيه التفاهات والكلمات الهابطة والاباحيات وحطمت الاعراف الإسلامية الدينية والأخلاقية .

ويظهر ذلك جلياً في مسرح توفيق الحكيم ونعمان عاشور والفريد فرج ويوسف إدريس وسعد وهبه وصلاح عبد الصبور وميخائيل دومان ونجيب سرور .

سادساً : أعان الغناء والرقص في إشاعة روح الاباحية بل كانت بعض الاغاني الحماسية التي كانت تلقىها أم كلثوم وعبد الحليم عاملاً في خديعة الجماهير ومصدراً للنكسة وقد تأثر بهذا التيار كثير من الشباب للذي لم يكن له خلفية دينية أساسية في بيئته وظهرت عشرات الجرائم والأحداث التي قد فيها طلبة المدارس ما يروونه في المسرحيات والأفلام ، ولما كان المسرح في نظر الدول الغربية والشيوعية عامل من عوامل شغل الجماهير عن القضايا الهامة والمهاثا عن الأزمات وتحويل أبصارها عن التحولات فقد تحول المسرح في مصر إلى خمار تبيع بالجنس والسكران على ما وصفه المؤرخون للمسرح في تلك الفترة ووصف بأنه المسرح الأحمر وأن الفنون التي قدمتها الشاشة البيضاء كانت فنونا ساذجة تخاطب الفرائز ، وقد حاول البعض إعطاء كلمة الفن قداسة وجلالا في حين أن هذا الفن كان سوقيا .

ذلك أن هذه الفنون جميعا لم تعالج قضايا مجتمعا وإنما نقلت أشد ما في مطروحات الفكر الغربي والماركسي لإظلاما ومواداً وخشا وفسادا وطرحته في أفق المجتمع الإسلامي واقتحم على الأسر البيوت ، ومنها أطفال وعذارى وآباء وأمهات يعملن على تشكيل بناتهم وأبنائهم على الحصانة والحلق والصلاة ومعرفة الله فأفسد ذلك كله .

ولم تعمل هذه الوسائل بالطرق التي كان عليها أن تعمل بها وهي تقديم

التسلية والترفيه في أسلوب هادئ برى . ولكنها كانت من ورائها أهواء الذين يرغبون إلى تحطيم المجتمعات الإسلامية فانتقل الضحك الهادئ المنزل إلى قهقهات الحشاشين . وما أسماء لويس عوض (التقصيع وتلعب الحواجب والضرب على القفا والتزحلق على قشر الموز واختفاء العشاق تحت السرير أو في الدواليب) وكان هذا الفن يخدم هدفين :

هدف عقائدى وهو إفساد إيمان الناس بالله وبالقيم .

هدف اجتماعى وهو بذور بذور القلق والحقد والتفرق في عقول الناس وأفقدتهم وظهر [أن هيثات المسرح وشركات السينما في سباق حاد لقتل روح الأمة وتشويه شخصيتها في الأفطار العربية بما ينتج من فن رخيص مهرج داعر يسوق البقية الباقية من أخلاق الشرف والقوة في الأمة ويفسد ذوقها ويحطم رجولتها ويزيل عفاف نساءها ولا يرتفع بها إلى مستوى أعلى ولا يثيرها وينبها إلى أوضاعها السيئة] .

وبدا أن هناك تجارة ضخمة هي تجارة الاغانى النازلة والافلام الهابطة لها مرا كزها وعملاتها وعططها الذى يهدف إلى إفساد عواطف الشباب في هذا الجيل وأن هذه المسرحيات والافلام إنما تقدم فكراً أسوداً زائفاً له وجهته وأهدافه وهو معارض تماماً لكل قيم المجتمعات الإسلامية ، يرمى إلى تدمير الشباب النض وإفساده وتزييف إرادته وعاطفته .

وفى هذا يقول (حمد السعيدان) أن مافيا السينما تستهدف الأحداث والمراهقين والشباب والطلبة لأن عقولهم هشة قابلة للتأثر ، وتربى في عقليتهم التفاهة وتولد لديهم البلاهة لأن الافلام المصرية بمواضيعها ووضاعتها تعتبر طعماً للشباب فهم أكثر رواد السينما بينا الكبار مشغولون بعمالاتهم وهموم أرزاقهم .

وفى المركز القومى للبحوث الاجتماعيه تسائل الباحثون إلى أين نقود سينما الجنس والعنف ، وكشفوا عن آثارها الخطيرة حيث أن سينما الجنس

والعنف والحلم الوهمي ، سينما الخيال العلمي المزيف في الغالب حول تفوق الإنسان الأوربي ، هذا العالم المنسوج بتمارة لتحطيم نفسيات الأجيال الجديدة ووضع الاغلال والقيود على عقولها وعواطفها لتكون خاضعة للتبعية وللنفوذ الغربي .

ولقد ازدادت مخططات الافلام المابطة انحرافا حيث أصبحت تقدم سير الرفاصات في حلقات متصلة تكشف عن حياة الكابريهات والاسواء الى متصل بجماليتهن الخاصة ، كما وضعت أفلام عن تجار المخدرات (الباطنية) وجاءت قصص أحياء البغاء التي كانت قائمة في الماضي ، وإتسعت دائرة افلام الجنس والمخدرات والافقيون إلى حد يلفت النظر ويدهو إلى التساؤل : ومن الأسف أن تدور هذه الافلام في بيوت الدهارة والكابريهات وأنها تتصل بتاريخ سياسي أو وطني زائف .

• • •

أخطار السيئنا

يقول الاستاذ حسين عبدالقادر : (٢٠ / ٧ / ١٩٨٣ - جريدة النور)
تقوم السيئنا المصرية في الوقت الراهن بهجوم سافر ومكثف على تقاليد
مجتمعنا فالذي يرمى اللافئات في الشوارع هذه الايام سيجد أن السيئنا في
مصر تعاقى من طغيان ألوان السفور والتبرج عليها بصورة تقشعر منها
الابدان وتسخر فيها الإمكانيات الفنية لارضاء النزوات وإشعال نار الشهوات
بما أدى إلى وجود صورة سيئة في ذهن كل مسلم عن السيئنا .

يقول الشيخ صلاح أبو إسماعيل : إن الوضع الحالي للسيئنا يجعلنا نهم
القائمين عليها بأنهم يريدون تدمير النشء وإضاعة الشباب ، فنذ عهد قريب
كانت الجدران في الشوارع حافلة بمثل هذه الموضوعات السيئنامية (زوجة
وخمسة رجال) ، بدون زواج أفضل ، في الصيف لازم نحب .

وهكذا تتمثل هذه العريضة جريمة نكراء نصرخ بسببها الفضيحة وتتأذى
الاخلاق والقائمون على السيئنا يتفننون في إثارة الغرائز والشهوات بالكلمة
والصورة وألوان المفاتن والعري والمفروض أن لكل مجتمع قيما ومقدسات
ولكن السيئنا هدمت أكثر من ٩٩ في المائة من قيمنا ومقدساتنا وامتلأت
بالغرائز والشهوات في وقت غاب فيه صوت الدين العنادر عن بعض المساجد
وعن الجامعة وعن براعنا ومن أهم عيوب السيئنا أنها تعتمد على الشباك
فهي جرى وراء المال مهما كان منبعه ولو ضمنت عنه بالعرض والشرف
والمقدسات .

الفصل الثامن

مدرسة الصحافة

لقد كانت الصحافة من أخطر المدارس التي عمقت التغريب وعوقت النهضة وحالت بين الوصول إلى غاياتها في إمتلاك إرادتها ، فهي من حيث قيامها على قادة علمانيين أساسا فهم خصوم الداء للفكرة الإسلامية ويحاربون لها وعاملون على حججها بقدر المستطاع عن قراءهم ، ولما فرضت الأحداث وجود الصفحات الدينية أو الملاحق الدينية أو الصحف الإسلامية فقد وضعت كتابات كل هذه الأعمال في إطار مفهوم ضيق وافد هو الإسلام بوصفه الدين اللاهوتي المتصل بشئون الصلاة والصوم والحج أو عمل الخير وإصلاح الأخلاق مع حجب مهمته الأساسية ودوره الحقيقي في بناء الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية .

ولقد كان موقف الصحافة من أكبر قضية في حركة اليقظة الإسلامية في السنوات العشر الأخيرة وهي مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية وتقنين القوانين كان موقفها غاية في المعارضة والكرامية والتجاهل ، ذلك لأن القائمين على الصحف يكرهون أن يخرجوا من حياتهم القائمة على الانصال بدوائر الفن والمسرح وحياة الفنانين والراقصين والمغنين وهو مجال واسع للمتعة المحرمة ، وللثروة الطامعة ، وللجري وراء الشهوات والأهواء .

ومنذ وقت بعيد كشف المستشرق هاملتون جب عن تبعية الصحافة لثنفوذ الغربي في مجال السياسة ودورها العلماني في مجال الاجتماع على النحو الذي يؤيد وجهه القوى المسيطرة التي تريد دائما أن تفسد ذوق الأمة عن طريق الكتابات الإباحية من القصص والجنس والجريمة والسكر والمسرح والسينما وإعلاء شخصيات الفنانين وجعلهم مثلا أهلا

وإفساد الأسر والبيوت بما يدخل عليها من صور عارية وكلأت عارية ومن وجهة خطيرة تمارض تمام المعارف مفاهيم الإسلام وأخلاقه وتناقض معاني الخلق والمرض والعفاف وإفساد المجتمعات بما يطرحه كتاب علمانيون أباحيون ؛ وقصاصون مفسدون ، إلى صور وحوادث وإعلاء وتزكية للفساد الذي تقوم به مدرسة التسلية والترفيه فهما متعاقبان على هدف واحد والصحافة هما بمثابة مرآة للبث الإذاعي والتلفزيوني الخطير الذي يهدم القيم والتركيز في هذا كله على الشباب والفتيات وعلى البيوت التي تتطلع إلى تكوين أبنائها على مسكة من الدين والخلق .

وإن أي مراجعة يسيره للميثاق الثاني عشر من بروتوكولات صهيون يكشف عن مهمه الصحافة ووجهتها حيث يقول :

و الصحافة تثير العواطف التي تقتضيها غايتنا وتتهيج الاحساسات التي نخمد أناثية الأحزاب وغاياتها والجمهور لا يعلم ولا يفهم ماذا يخدم الصحافة بين الاعراض الحزبية السخيفة التافهة الباردة ، نحن نسرّج الشعب ونلقى على ظهره البردعة وكذا نفعل بمحاضلات المطابع والصحافة .

ومن وراء أهواء الصهيونية نجد أهواء النفوذ الغربي والنفوذ الماركسي وكل منهم يسمى لبس أهدافه ، والشباب المثقف الذي يقرأ الصحف في حيرة من أمره ، فإن الحرف المطبوع له سحره وله تأثيره .

ولكن هذه الأهواء جميعا تتجمع في هدف واحد هو إشاعة التفاهة وتزييف الحقائق والسخرية بالناس ، وجسهم في مجال السذاجة والبلاهة ، حتى لا يخرجوا إلى نطاق الثقافات العالية الكاشفة لأهداف الغزو الثقافي والتفريب العقائدي .

وإننا من منطلق الفهم الإسلامي نعرف أن ارتفاع توزيع الصحيفة ليس دليلا على وفاء الصحف لحاجات الناس أو للأمانة المنوطة بالصحافة شجاء الأمة ، أنهم يقصرون رسالة الصحافة في تقديم النواحي الترفيحية ووسائل

القسلبية ولكن ليس ذلك صحيحا في الحقيقة ، فإن مهمة الصحافة أكبر من ذلك وأكرم ، وليس كون صحيفة ما توزع مليوني نسخة الآن بدليل على سلامة وجهتها . أن الصحافة لا تعطي الشعب ما يريد ولكنها تفرض عليه ما يريد هو ، وهي ليست بأداة تلمية وترفيه حتى يقال أنها تشبع رغباته ، ولكنها أداة توجيه وبناء لشخصيته على أساس أن يكور مواطنا صالحا فاعما للتيارات التي تجري من حوله ، وليست زيادة التوزيع دليل على رضا القارىء :

لقد استطاعت الصحافة أن تفسد فطرة الجماهير ، وأن تعتمد على الإنارة وأخبار الجنس والجريمة ، ونشر قصص الطلاق والفضائح ، وأن تستطيع أن تشغل الجماهير بقضيه تافهه عن قضايا الحقيقة .

هناك من لا يتوقف يوماً عن تقديم أخبار الفراعنة وقبور الملوك ، وفلسفة ما وراء الوثنية وعبادة الأصنام ، وهناك يوميات السحرة والاساطير والخرافات ، وهناك دعوات موجهة إلى الإباحية والأفلام الجنسية وأفلام الجريمة ، هناك صحافة دفع المرأة إلى الشطط ، بهدف هدم الأسرة وتدمير المجتمع ، حتى أصبحت الصحافة أداة لافساد الذوق والانحطاط بمستوى التفكير وإشاعة التحلل والفضول والتفاهة ، فهي اليوم مدرسة للإنارة والفضول والمبالغة .

ولقد كانت أوليات هذه الأسماء اللامعة أوليات منفردة ولكنهم عادوا تحت ضغط ظهور مفاهيم اليقظة الإسلامية إلى شيء من المناورة المأكرة ، كان زكي عبد القادر يكتب بطريقة العلمانيين المنفرة ولكنه عدل طريقه في آخر أيامه ليتمكن من كسب أكبر قدر من القراء بالتحرك في إطار عبادات براقة مثل (القوة العليا) ومثل هذه المصطلحات التي تتخذ القراء عن مفاهيم الماسونية وقد تم تعيين زكي عبد القادر في يونيو ١٩٨١ حاكماً للمنطقة الليبوترية في مصر والتي تضم سبعة أندية لليوز وسافر إلى الولايات المتحدة بدعوة من مؤسسة الليبوتر الدولية في أمريكا ، وقد عمل في الاختبار م ١٢ - طريق النهضة

منذ ١٩٥٠ ومنذ صدرت أخبار اليوم ١٩٤٤ وصدرت الأخبار ١٩٥٢ امتداداً لهذا التيار كان ذلك بداية تغير شامل في الصحافة المصرية قاده (مصطفى أمين) فقد بدأت في احتواء جميع الصحفيين اللامعين في مصر ثم الكتاب المنشئين .

وقد تم ذلك بسرعة فائقة ، فانضم إليها على فترات : العقاد وتوفيق الحكيم والمازني وهيكول وطه حسين وسلامة موسى ، وكان أغلب هؤلاء يكتبون في مجلة الرسالة بأسلوب أدبي رفيع ، وقد تغير هذا الاتجاه ، فقد تم تحويل هؤلاء الكتاب البالغاء إلى صحفيين ، وامتد الاحتواء إلى الصحفيين البارزين فضمت التابعي وزكي عبد القادر والصاوي وكامل الشناوي وجلال الحامصي ، وبذلك سيطرت أخبار اليوم على هؤلاء الكتاب وجعلت وجهتهم هي وجهتها في مختلف القضايا التي يقدمها مصطفى أمين أو الهدف الذي هو سائر إليه ، فقد أصبح هؤلاء الكتاب جنوداً للحضارة الغربية الرأسمالية ، ومبررون لتبعية البلاد العربية ومصر إليها .

وكان مصطفى أمين قد بدأ عمله الصحفي بخطة محدودة وبأهداف واضحة : منها تأييد حرية المرأة ومحاربة اللغة العربية الفصحى ، وإبراز عنصر الإنارة في عرض الحوادث ونقل آراء العرب من مستواه الذي وصل إليه إلى مستوى صحفي ، يبدو هذا واضحاً في أحاديثهم مع عباس خضر وغيره كما كان لاحتواء هؤلاء الكتاب تأثير واضح في أضعاف تيار المحلات الأدبية والثقافية التي كانت تدفع مكافئات قليلة بالنسبة لما أخذت تدفعه أخبار اليوم نظير تحول هؤلاء الكتاب أمثال العقاد وتوفيق الحكيم إلى أسلوب أقرب إلى العامة : وبذلك نشأت مدرسة صحفية رخيصة في مضمونها وفي آدائها أيضاً ، وتركزت قاعدة أساسية تفريبية في دار أخبار اليوم التي كانت تصدر آخر ساعة ، ومجلة الجليل وغيرها) . وفي مقابل جريدة الأهرام التي كانت فرنسية البزعة مارونية الهدف ولم يكن لديها كتاب بارزون (بعد خروج زكي عبد القادر والصاوي) وإن كانت قد انتعشت بتولي محمد حسنين هيكل لها ١٩٥٦ الذي قادها إلى منهج غربي صحفي مختلف في مظاهره عن صحافة أخبار اليوم ، وإن كان في بعض صورته أشد عنفاً فقد احتوى مجموعة التغريبيين وعلماء

المشتريين أمثال توفيق الحكيم ، ولويس عوض ، وكال الملاخ ، وزكي نجيب محمود ، وحسين فوزي ، ورشاد رشدي وغيرهم ، ولقد كان ميكلًا كما كان مصطفى أمين يصدران من نبع واحد هو ولاية التبعية الغربية عامة والأمريكية خاصة وأن اختلفت الوسائل والأدوات .

ومن ثم بدا من العسير أن يستطيع أى كاتب أو أديب إصدار مجلة أدبية أو ثقافية فقد ارتفعت أسعار الطباعة والكتابة ، وقد كان هذا محاصرة واضحة لكل فكري يختلف عن الفكر التابع الوافد السائر في هدف التغريب وفي خلق (مزاج) ثقافي وفكري وأدبي واجتماعي في المجتمع المصري والعربي خلال هذه السنوات الأربعين (١٩٤٢ - ١٩٨٢) مما يمكن دراسته دراسة موسعة على أنه غير كثير من الأوضاع الروحية والنفسية والاجتماعية وقد أفرزت هذه المدرسة أنيس منصور وموسى صبرى وعلى الجلال الذي كان من تلاميذ هنرى كيسنجر .

وهناك للمدرسة الصحفية الماركسية التي اشتملت في عقود التبعية السوفيتية وسيطرت على الصحافة حتى عام ١٩٧٤ حينما فرض السوفيت نفوذهم على مصر أبان حكم عبد الناصر ، هؤلاء الكتاب لا يعرفون شيئا من شرف الخصومة وعداوتهم للإسلام واضحة وهي أشد من خصومه كتاب التغريب وهم يعطون حق العلم أن الإسلام هو ضمير الأمة وأن القرآن حامى مقوماتها ورمز وحدتها ولن يكون لهم ظهور ماضى هذا .

وفي خلال أكثر من أربعين عاما عمدت الصحافة إلى تشويه الفكرة الإسلامية وإبرازها في قالب مخالف للحقيقة ، متممة تشويه وجهة نظرها وإعلاء وجهة نظر خصومها فهي تنشر مرافعات الخصم وتتجاهل مرافعات الدفاع ، وتفسح الطريق للاتهام وتزوى علامات البراءة ، بما يؤكد تبعية الغربية وولائها الخارجى في نفس الوقت الذى يكشف زيف دعواها بأنها تودى واجبها أمام جموع الشعب بأمانة وثقة .

وتحول الأدب والفن وصفحات الدنيا والمسرح إلى سلعة استهلاكية رابحة

أكثر منها رسالة إنسانية يتناق فيها الكاتب وراء إغراء النجاح المين
والكسب السريع ويسمونه دخل الشباك .

ولقد اقيمت الصحافة عن طريق الأساليب الخادعة التي هي إعلانات مزورة ،
دوراً رئيسياً في تضليل الجماهير وكسب ثقتها وانسيانها وراء التفاهات السهلة ،
وهناك الأبواب الصحفية التي يقدمها حملة القمامة وباعة الضائير من أخبار
وتعليقات مفعجة في إثارتهما لأنهم يخطونها دائماً بالكاذب مفضوحة وهناك
متهو شرس ذلك : أبواب البخت وطوالع النجوم .

(٢)

تجاوزات الصحافة السياسية

كانت الصحافة السياسية في العصر السابق خادمة للأحزاب ، وهي في هذا
العصر خادمة لنظام الحكم القائم بتقديم وجهة نظره في مختلف القضايا الخارجية
والداخلية ، هذا في ظاهر الأمر ولاخبر في هذا ولكن وراء الصحافة قوة أخرى
تعمل في الخفاء هي التغريب ، وهذه مبثوثة في صفحات المسرح والسينما والألعاب
للإباحية وصحيفة الجريمة والقمص والمرأة وغيرها .

فالصحن يتبع الحكومة ويروضها بالواجهة السياسية التي تنمشى مع وجهتها
ولكنه فيما وراء ذلك يخدم أهدافاً أخرى ترمى إلى تغريب الذوق والمشاعر
والأحاسيس وفي عصر الاحتلال عندما كانت الزعامات الوطنية تجارب النفوذ
البريطاني السياسي كان كتاب السياسة أنفسهم يصرون عن إعجاب وتقدير
وتبعية للنفوذ الغربي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويعلمون أن النظام
الراسخ والليبرالي هو أصلح الأنظمة للبلاد العربية ، ومعنى هذا أن الحركة
الوطنية ، كانت مدخوله لأنها كانت تجارب الاحتلال السياسي والعسكري
وحده ، وهي تقبل من النفوذ الاجنبي كل ما سوى ذلك وهو ما حققه الاستعمار
عندما جعل عسكرياً وترك النفوذ السياسي الظاهر لقادة الأحزاب السياسية
الذين كانوا مع ولاد للوجهة الغربية منكرون تمام الانكار للاتصال العربية

الاسلامية التي تتمثل في النظام الإسلامى في مجال الاقتصاد والاجتماع والقانون
والثربة .

فلما جاء عصر سنة ١٩٥٢ بدأ أن الخلاف ينحصر في مسألة الجلاء والنفوذ
المسكرى .

أما بالنسبة للنظام الاجتماعى فقد كان هناك إعجاب وانهار بالانظمة الغربية
وخاصة النظام الأمريكى الذى كان قد طفا على السطح بعد تهم نفوذ الامبراطوريين
الانجليزىة والفرنسية .

ومن ثم فقد كانت الصحافة ذات ولاء طبيعى لحركة الجيش ولقضاةها
السياسية ولكنها في مجال الاجتماع والفن والممرح والتعليم والرياضة وغيرها
كان هناك تبعية واضحة للنفوذ الغربى وإعجاب به وقبول له .

ولكن هل كانت الصحافة السياسية أمينة في تقديم الصورة العاملة للجمع
وتحولاته وما يروج به من دعوات وتطلعات في هذه الفترة . تستطيع أن نجيب
بأن الصحافة قد عشت الامة في هذا الجانب وكانت كاذبة ومخادعة فكيف صفحات
من حركة المجتمع نحو الاصاله ومواقف حجبها الصحافة ومنعتها وحالت دون
تقديمها للناس ، بل لعلها كانت دائماً في صف الحكومة في وجهة النظر عما نود
الحكومات أن تعلنه أو تحجبه ، تؤيده أو ترفضه .

ومن ثم فإن صفحات كثيرة من حركة المجتمع سقطت من الصحافة ،
ولم يكن سقوطها إحصالاً وإنما كان عن أصرار . بل لقد حاولت أكثر من ذلك
أن تصور هذه الإيجابيات في صورته سلبية وأن تنقدها وتزيفها وتضرعها .

ففى لم تكن في الحقيقة أمينة على تقديم الصورة الحقيقية ، أو صادقة في
الكشف عن تمركات المجتمعات نحو أهدافه ، ومن ثم فإنها لا تصلح لتكون
مصدراً تاريخياً فإذا اهتمت كانت مصدراً زائفاً .

كان القائمون على الصحافة علمانيين ومن جملة الجاهل المعروفة ، التي

لم تبرز أبحاثها إلا لأنها استطاعت أن تقدم خدماتها في مجالات كثيرة .

وكانت ذلك ولاء مع نفوذ المغنيات والراقصات والممثلات اللائي جاء يوم أن قدموا فيه للامة على أنهم مثل أعلى في ملابسهن وحركاتهن ووجوهات نظرم القاصرة والمخدوعة ، وعاشت صحافتنا على تقديم تاريخ يومى لميلاد أحدها من أومراقها بينما بقي اعلام الامة مجهول الميلاد والوفاة ولا يهتم بهم أحد .

هؤلاء الذين تصدروا للصحافة من تلاميذ مصطفى أمين وروز اليوسف ، لم يكن في الإمكان أن يقدموا للامة صورة صحيحة لما يتحرك في إحشاء المجتمع ولذلك فقد حجبت تماما جميع الخطوات الخاصة بالشريعة الإسلامية .

ولم يتوقف الامر عند الكتاب والصحفيين دائما امتد إلى أصحاب الاعمدة وأصحاب الكاريكاتير وأصحاب الابواب الثابتة فقد تصدر هذه كلها تخرمبون وشوييون يولون اهتمامهم إلى التاريخ الفرعونى ، وإلى الاساطير القديمة ، وإلى السخریات التافهة ، وإلى نقول من كتب غريبة فاسدة ، حول الجنس والجريمة . على حد ما يكتب أنيس منصور وأحمد بهاء وكامل زهيرى ومصطفى أمين .

وهناك تلك الرسائل الزائفة التى برع فيها مصطفى أمين وحاشيته والتي تخرع رسائل بأسماء زائفة فى مناسبات معينة لنقول أشياء هى من أهواء هؤلاء الناس التى يحاولون أن يطرحونها على الناس وكأنها قادمة من الناس أنفسهم .

• حجب الصحافة أحكام المحاكم التى طبقت الشريعة :

• حجب الصحافة أحكام ألغت اتهامات ظالمة فى المصادرة والسجن وغيرها

• حجب الصحافة غلطاً كاملاً لدراسة وتبيين الشريعة الإسلامية .

• سزع عن طريق هذه الاعمدة التى سيطر عليها ماركسيون ووجوديون وشعويون بحرى البث النبوى لمقاهيم منحرفة ، تغريبية فى الأساس ، تعارض مفهوم الإسلام سواء فى الحديث عن الحب أو المرأة أو العمل أو الزواج أولى شأن من شئون الحياة .

ولما اختفى عصر الماركسية تخفى هؤلاء الكتاب وراء أقنعة جديدة ، تحمل طابع الغش والمداخلة في شأن الإسلام أو إرضاء مشاعر الناس ولكن الدس مازال مستمرا والسعوم مازالت تبث يوما بعد يوم .

بيدنا لا نستطيع وجهة النظر الاصلية والمسلمة أن تجد طريقا لنقدم وجهة النظر الصحيحة ، أو نتابع يوما بعد يوم ما يقدم من سموم وأكاذيب ولعل السياسة ترضى عن هذا الاتجاه ، لأنه يشغل الناس بأشياء كثيرة من تفاهات المعارك والمجرائم والاحداث ولعلها توظف هذه الابواب كلها ، من رياضة ومسرحية وغيرها في شغل الناس عن حركات السياسة ولكن يبقى بعد أن هذه الصحافة لا تستطيع أن تقول أنها تمثل واقع الأمة المختلف تماما والذي نجحت منه وقائع كثيرة وجوانب كثيرة لأنها لا ترضى وجهة نظر الصحافة القومية .

(٣)

كيف أفسد التغريب الصحافة

في عصر تتطلع فيه مصر أن تبقى مكانها على طريق الله نجد أن يوميات الاخبار تهدم كل محاولة للبناء بما يعرضه كتاب هذه اليوميات من سموم : فيقدم إسماعيل يونس (ضيف في بلاط الملك شهوش) حيث يتحدث عن فتح الفنجان ، كأنه انجاز ضخم أو حدث كبير أو اختراع جديد ، لماذا هذا التغريب بمقول الشباب ، هل هو عمل مقصود أم أن المحررين لا يجدون إلا هذه التفاهات ، أم أن سياسة الصحافة الآن قد أصبحت قائمة على مثل هذه التغريبات التي يراد بها تدمير شباب هذه الأمة وشغلهم بهذه الامور الفارغة ، والنزول بمستوى الكتابة والثقافة إلى هذا الدرك .

ولماذا يستشترى هذا اللون من الكتابة عن السحر ، وماسمى عالم الجن والارواح والغمريات في أمة يعلمها دينها تفاهة هذه الامور وفسادها ، فإذا لم يكتب عن السحر كانت الكتابة عن تلك الافلام السينمائية القذرة من أمثال (درب الهوى) الذي هو فيلم أريد به إحياء حي البغاء الذي كان قائما منذ عصر

مضى في حى كلوث بك والشهير باسم (درب طياب) حيث عاشت جماعات البغا وحول هذا تدور أفلام ينفق عليها من المال ما ينفق ويفرى الشباب البرىء بحضورها وتتفتح أمام عقولهم وغرائهم تلك الصور القذرة ، حيث يسمى السكاتب هؤلاء بنجوم الدطارة ولماذا نعيد لإحياء هذه الصفحة السوداء التى طويت من تاريخ الاستعمار البريطانى فى مصر .

فإذا لم نجد هذا وجدت فنونا أخرى من التفاهات تخصصت فيها أبواب المسرح والسنيما وكرة القدم .

وإذا كان السحر من متخصصات اليهودية العالمية منذ فجر التاريخ فنحن نعرف كيف يواد باذاعة هذه القصص وهذه الاحاديث تحويل أفتار الناس عن القضايا الأساسية فى أوطانهم وأمتهم إلى الاساطير وعالم الجن والعفاريت . وليس السحر وحده ولكن هناك قضية الفرعونية التى لا تتوقف ، كأنما أصبحت جزءاً من السياسة أو الاقتصاد ، فلا يمر يوم دون حديث عن تلك القبور المكتشفة والجبانات المستصلحة ، وذلك الرتل المتصل من الخبراء القادمين من جميع أنحاء العالم يبحثون عن التماثيل والاصنام .

ولا يقف الامر عند هذا بل هناك أحاديث عن ذلك التاريخ وعن فلسفة الوثنية وعبادة الآلهة يذاع ويردد ويعاد على أنه نوع من المجد القديم ، فهل هذا كله من أجل تروغيب السامعين أم من أن تحويل وجهة الامة عن دينها وعقيدتها .

أن ما يقوله الدكتور أحمد قدرى عن الفرعون غير دقيق وفيه تكذيب للقرآن الكريم ، فليس صحيحاً قوله (قالفرعون لم يكن كما يتصوره البعض فى العصر الحديث ظالماً متجبراً ، هذا تصوير بالغ الظلم . الفرعون كان هو الراعى الخير الذى يحافظ على انتظام الظواهر الطبيعية حتى الفيضان وقد وصل الفراعنة إلى هذا المفهوم من العدالة من خلال ثورة فكرية وشعبية بالغة الخطار .

وهذا الكلام لا يثبت أمام ما عرفه التاريخ الصحيح من مظالم الفراعنة وما سجله القرآن فى هذا الصدد وأن هذه المحاولة من الدكتور أحمد قدرى لا نستطيع أن نشبث أمام الوقائع للمروفة .

وهذا مادفع السكّانة (حسن شاه) أن تكتب مقالا عنوانه (انقذنا يا آمون) وهي بذلك تعرض نفسها للاستعانة بغير الله تبارك وتعالى تحت تأثير الاحساس بما سموه عظمة الحضارة الفرعونية حتى تتحدث عن تماثيل الفراعنة المعظم .

كذلك فقد كان للسكرىكاثير دوره في السخرية بالمفاهيم الإسلامية ولا يزال ، ومن الشبهات المثارة قصة الحب الإلهى التى اتخذوا من شهر رمضان مناسبة للحديث عنها ، ومايتصل بها باستقصاء الشعر الذى يتناول هذا الأمر ، وخاصة مايتصل برابعة العدوية ، والحقيقة أن الإسلام موقف من هذا الشعر ومن هذا الاتجاه الدخيل على مفهوم الإسلام الاصيل الجامع بين الخوف والرجاء من الله تبارك وتعالى ، أما هذا الاتجاه الذى ظهر من خلال نزعات التصوف الفلسفى فإنه ليس اتجاها إسلاميا أصيلا ، وهو يستمد من الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية ، وليس كل مايتصور الكتاب من شعر تحت اسم الحب الإلهى ، هو شعر مقبول فى مفهوم الكتاب والسنة . فقد أغرب هؤلاء الشعراء وخرجوا على مفهوم الإسلام إلى مفاهيم أخرى منحرفة عن الإيمان بالتوحيد الخالص .

وليس كل الكتابات الموسومة بالتصوف هى ذاتها صحيحة ، إلا إذا اتسمت مفهوم الكتاب والسنة ، أما إذا خرجت عنه إلى مفاهيم الاتحاد والحلول ووحدة الوجود وغيرها ففى ليست من الإسلام فى شيء . ومن هنا نرى كيف أن الصحافة تحاول بهذه الانحرافات أن تخدم مفهوما مغائرا للفطرة والمفاهيم الإسلامية الصحيحة ، وهى محاولات توى إلى توهين العقيدة الإسلامية وضرب المفهوم الإسلامى الاصيل ونحن نعرف أن كتاب اليوميات اليوم هم جماعة من الشباب العايب الساخو ، العلماني الوجهة ، المنحرف الاتجاه نحو الإعجاب بالفنون العائنة والولاء للقائمين بها تلقاء تلك السهرات والضحكات وتلقاء أشياء أخرى فإن عددا كبيرا من هؤلاء الكتاب يحصلون على عطايا وهدايا من أصحاب الاسماء اللمعة فى ميدان الفن ، ومن صريحيات هذه الاسماء .

(٤)

الصحافة وكتابة التاريخ

إذا سأل سائل هل يمكن أن تكون الصحافة القائمة فعلا خلال الثلاثين عاما الماضية مصدراً صحيحاً لكتابة التاريخ : تاريخ مصر والعالم الإسلامى سيكون الاجابة حاسمة صريحة : لا ، لا ، لا .

ذلك لأن الصحافة بطبيعتها خاضعة لوجهة نظر الدولة ، وهذا ليس منه بأس ولا خلاف ما دامت قادرة على أن تقدم وجهة نظر الامة فإذا لم يكن ذلك فى مقدورها ففى تمثيل فى كتابة التاريخ لإحدى وجهات النظر التى لا يكتمل العمل التاريخى بها إلا بعرض الجوانب الأخرى وهذا ما نراه اليوم من تحقيقات وذكريات وأحاديث يكتبها كثيرون ممن شاركوا فى الحياة السياسية قبل ١٩٧٠ تكشف عن بعض الجوانب التى كانت غامضة أو لم يكن من اليسير نشرها فالمعروف أن الصحافة كانت حتى هذا التاريخ تمثل وجهة نظر واحدة سواء بالنسبة لقضايا المجتمع أو السياسة . لقد كان كتاب الصحف مفسرين لوجهات النظر الحاكمة ، ولم يكن لهم رأى واضح صريح ، ولم يكن فى مقدورهم تقديم تحفظات على تصرفات الحكام ، وقد جرت الصحافة فى اتجاه القومية ثم فى اتجاه الاشتراكية ووالى عادات وغير وجهتها حسبما كانت تبنى التوجيهات وكان يحدث كثير من التناقض فى معاداة من والته الصحافة ومجدته فإذا هى تنتقصه وتهجم ، أو يحدث العكس تماما ، هذه هى الواجهة العامة لاصحافة مؤمنة أساسا وتملكها الدولة وليس فى مقدورها أن تستقل بوجهة نظرها ، وهى مرحلة تالية تماما وشبيهة للمرحلة السابقة التى كانت الصحافة فيها موظفة لدى الأحزاب والملاحظ فى هذا الصدد أن أحداثا سياسية ذات أهمية كبيره لم تسكتب عنها كلمة واحدة، وأن أحداثا ضخمة كعزيمة ١٩٥٦ صودت على أنها انتصار ، أو كعزيمة ١٩٦٧ التى صودت على أنها نكسة وقد كانت الصحافة تعبر عن وجهة نظر معارضة تمام المعارضة لإحدى القطبين الكبيرين مع ولاء للقطب الآخر ، وكانت وجهة نظر السوفييت السياسة

العالمية هي الغالبة ، ووجهة نظر الماركسية في الأدب والاجتماع والاقتصاد والتربية هي الظاهرة وذلك خلال سنوات ١٩٦٢ إلى ١٩٧٢ مع عرض مختلف جوانب النقض للمجتمع الغربي عامة والمجتمع الأمريكي بصفة خاصة .

وفي نفس الوقت لم تستطع الصحافة أن تعلن وجهة النظر الصحيحة ازاء قضايا المسلمين في العالم الإسلامي وخاصة في الحبشة وقبرص والفلبين ، وقد وقفت الصحافة في الصف المعارض للمطالبين بالحرية في هذه الشعوب مع التأييد الكامل لوجهة نظر هيلاسلاسي ومكاروس وماركوس حاكم الفلبين ، مع نشر صفحات ١٣٠٤ عن بلاد الفلبين في جريدة الاهرام الاجر تأييدا للحكومة ازاء جهاد مسلمي الفلبين الذين كانت تدمر قراهم ويقتل ، بجاهدوهم كذلك فقد اغفلت الصحافة موقف الامة من المطالبة بتعديل الدستور وإضافة مادة الشريعة الإسلامية ١٩٧٠ وماحدث من مظاهرات قادها شيخ الازهر الدكتور عبدالحليم محمود في هذا الشأن ومايتصل بالقوانين التي أعدتها لجان الازهر وناقشتها لجان مجلس الامة ، ولم تستطع الصحافة المصرية أن تقول كلمة صريحة وحررة عن كثير من النظم والتنظيمات وخاصة مايتعلق بالبحث والتصدير وانهائية أديس أبابا مع السودان واستشهاد بعض حكام إفريقيا المسلمين .

وهناك مسئولية الصحافة المصرية من الناحية الاجتماعية التي كانت تعمل فيها الافلام لحساب قوى التغريب والعلمانية وخاصة ما تقدمه الإذاعة والسينما والمسرح من أعمال تمثل وجهة نظر النفوذ الاجنبي ، أو الماركسية ، وخاصة في مسائل ما يسمى بالانفجار السكاني أو تحديد النسل ، وعلى كل حال فإن وجهتي النظر الغربية والماركسية جميعا لاتقدم الحقيقة التي تتم العرب والمسلمين وإنما تقدم وجهة نظر الايدولوجية التي تخضع لها الافلام .

وهكذا عاشت الصحافة بين هذا التناقض في المواقف والتقلب في الآراء والتحول من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ثم العودة ، في صفوف الرأسمالية ثم المناداة بالاشتراكية والتهديد للشيوعية ثم مطاردة الشيوعيين وتبرير الدكتاتورية والترحيب بالحزب الواحد والرأى الواحد ، والترحيب بالنفوذ السوفيتي

وتأييد انغلاق مصر على العالم ، ثم هي نفس الأقلام التي رحبت بالانفتاح على العالم ، ومهاجمة الانقطاع والمطالبة باعدام أصحاب الثروات ومباركة فرض الحراسات ثم معارضة ذلك كله عندما تتغير السياسة من التقصيص إلى البقيض بلا أدنى خجل .

وكان من عمل الصحافة تألية الحاكم ورفعته إلى مرتبة كبرى فإذا رحل عن الدنيا أخذت القزوس والمعاول تنال عاياه تشهيرا وتزيقا ونجربا وتشويه ، وتشويه الدول التي يختلف معها الحاكم والافراء عليها وهناك الكتاب الذين لا يكشفون عن هويتهم الماركسية ويدعون أنهم علمانيون أو يساريون وهم أشد خطورة من الماركسيين أنفسهم . ولم يكن في استطاعة الصحافة وهي بين العمل لقيار الحاكم والولاء التفريري الأساسي المحتفى وراء صفحات الفن والسرور والسبيل والكاريكاتور والجريمة والجنس والقصاص أن تمثل وجهة نظر الجماهير وتستجيب لنفض الجماهير وإنما هي تعرض عليه وجهة نظرها مخفية وراء قاعدة مسمومة فاسدة وهي الاستجابة لاهواء القراء ونزواتهم وغرائزهم والوجهة الصحيحة هي الارتقاء بالتأريخ إلى الشخصية الإنسانية الاخلاقية وإلى الثقافة الوافرة التي تفهم وجهات النظر المختلفة لبناء وطن قادر على العطاء الصحيح .

الباب الرابع

تمزيق الوحدة الإسلامية

الفصل الأول : المؤامرة على الوحدة الإسلامية .

الفصل الثاني : تأمر دول الغرب على الإسلام .

الفصل الأول

المؤامرة على الوحدة الإسلامية

أخطر الحركات التي واجهت العالم الإسلامي ومزفته إلى قوميات وإقليميات تحت أسماء مخالمة ، في ردة خطيرة من وحدة العقيدة إلى فرقة العناصر ، فهناك الاجناس : العرب والترك والفرس ، وهناك الاوطان : العراق وسوريا ومصر ، وهناك المذاهب : السنة والشيعة والدروز وهناك الاديان : الإسلام والمسيحية ، كل هذا إثارته حركة القوميات وفتحت أبوابه اصراع رهيب ضخم كان النفوذ الاجنبي يستهدفه لتفكيك وحدة المنطقة فلم يكن المسلمون قبل هذه المؤامرة يعرفون إلا أنهم مسلمون قبل أن يكونوا عربا وغير عرب أو ذوى أطان كأن يكونوا مصريين أو سوريين أو عراقيين ، وكذلك كان شأن المسيحية في هذه الامة ، لهم مكانهم وحمايتهم وأعمالهم . في أمن للعقود التي عقدها الرسول مع بنى نجران وعمر مع المسيحيين في القدس ولكن المؤامرة كلها كان لابد أن تبدأ من هذه البقطة ، لاسيما النقطة الاولى القادرة على تمزيق هذا السكيان الموحد ، وغرس كيانات أخرى في المنطقة كالصهيونية وإثارة الاجناس والعناصر إلى المطالبة بأوطان مستقلة كالتصاري في لبنان ، والاكراد في العراق ، وعناصر أخرى كثيرة تحركت تدعو إلى أن يكون لها كيانات منفصلة .

وبعد أن مرت هذه التجربة بذلك المخاض الطويل الذي وصل ذروته في أبان الحركات الناصرية والبعثية وغيرها ، والفشل الذي منيت به ، والنتائج التي وصلت إليها هذه الدعوات التي استعلت بالعنصر تحت اسم القومية ، لنصب الاحقاد بين أبناء الامة الإسلامية وتمزقها ، نجد أن هناك هاتزال محاولات لايقاد النار في ذلك المهيثم وقد ما كان من أخطر نتائج تاحر القوميات تلك الحرب بين العراق وإيران ، وذلك الصراع الرهيب بين القوى في لبنان

أن هاتين المعركتين هما ثمرة طبيعية لتلك النار التي أوقعتها دعوات القومية والاليمية والعنصرية ، والتي تردى فيها المسلمون تحت اسم القومية العربية بينما كان مؤججوها هم المحققون ورواء المسرح من خصوم العرب والمسلمين الذين يطمعون في أن يظل الصراع قائماً بين العناصر ، وحتى لا تلثم الجراح وحتى لا تعود الوحدة الإسلامية بأى صورة مرة أخرى .

لا ريب أن تلك الصراعات الشعبية الدينية التي تاجعت منذ مطالع تسلط النفوذ الاستعماري على البلاد الإسلامية ، هي التي يعزى إليها هذا القدر المائل من السكرامية والتعصب الذي تدار به معارك القتال الوحشية بين شعبين أو دولتين أو نظامين تجمعهما رابطة الإسلام ليست الحضارية والتاريخية لحسب ولكن والعقائدية أيضاً .

ومهما تكن الاحقاد التاريخية القديمة التي لمبتعث من جديد بين إيران والعراق أو بين الفرس والعرب أو بين الشيعة والسنة فإن الحرب الدائرة تتجاوز هذه البواعث القديمة ولا تتناساها .

وقد وجدت هذه الخلاقات البسيطة من يكبرها الف مرة ومن يوقطها لتحدث أثرها في النفوس والقلوب (ومن قبل قام اليهود بمثل هذا العمل بين الأوس والخزرج أيام النبي بعد أن جمعهما الإسلام حتى كادا يعودان إلى القتال مرة أخرى) .

ويرى كثير من المطلعون أن هذه الحرب المشتعلة منذ ثلاث سنوات بين العراق وإيران هي في التحليل النهائي تمثل حلقة من حلقات الحصار الذي أحكمت حلقاته حول المنطقة العربية في الشرق الأوسط بسبب أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية سواء بالنسبة لأمريكا أو الاتحاد السوفيتي أو بالنسبة لأوروبا الغربية واليابان وآسيا .

فهناك رغبة على الإبقاء على حالة عدم الاستقرار في المنطقة وضرب كل محاولة للنهوض أو إمساك زمام مصيرها وثرواتها بأيديها - على حد تعبير الأستاذ سلامة أحمد سلامة - فكان الصراع العربي الاسرائيلي وحده لا يكفي لإبقاء

شعوب المنطقة فوق نار لا تخمد ، كما أن احتمالات التقارب بين إيران الثورة والبلاد العربية بعد إزاحة الشاه ، اقتضت مضاجع الكثيرين من العرب وإسرائيل ومن ثم كان طبيعيا أن تستخدم كل الوسائل في سبيل الإيقاع بين الثورة الإيرانية والبلاد العربية وخاصة دول الخليج وسقطت الدول العربية وعلى رأسها العراق في مصيدة عداء سافر مع إيران الثورة لم يستغد منه طرف عربي واحد ، واستفادت منه كل القوى الكبرى الطامعة في المنطقة ومعها إسرائيل ، كانت هناك مخاوف من بعض الدول العربية ، لها ما يبررها ولكنها تضخممت وانتفخت بفعل تأثيرات خارجية يهملها أن تقسع دائرة العداء وأن تنتهم آله الحرب كل ما تملكه هذه الدول من قدرة على الاستمرار والاستقرار والأخذ بأسباب المنفعة والقوة وقد تحولت الحرب العراقية الإيرانية لسوق هائلة للسلاح تشارك فيها كل الدول الكبرى بدون استثناء بما في ذلك الاتحاد السوفيتي والصين وفرنسا ، وتستهدف مقدرات مجموعة من الشعوب الإسلامية والعربية على رأسها العراق وإيران ، أما القومية فلم تقف عند إعلاء العرب على الإسلام أول محاولة الخداع بجعل الإسلام عنصرا من القومية ، بل هم يذهبون إلى أبعد من ذلك ؛ إلى علمانية حافدة تحارب الدين وتسمى لاقتلاع جذوره ، على النحو الذي قام به أنانورك في تركيا فأصبح المثل الأعلى لكل الدعاة إلى القوميات ، وكان مخطط الاتحاديين في تركيا هو مخطط البعث والناصرية وغيرها من هذه الثورات .

وليس الهدف سلخ العرب عن أصولهم وتاريخهم ومضامين ولا عن الأمة الإسلامية العريضة في حاضرها وإقامة السدود والقيود ، والمقصودات بين العرب وبينها ولكن إلى أبعد من ذلك : إلى محاربة المنهج الإسلامي نفسه ، على أساس القول : بأن الإسلام كان مرحلة ، وإنه ولي وأدبر ، وإنه لا نهضة إلا بالانحلاص منه فهو لا ينهض أساسا كأساس لوحدة ، ولا نظاما لدولة .

فهم ينتظرون إليه بوصفه (دينا) بمفهوم الغرب اللاهوتي لا بمفهوم الإسلام الجامع (الذي يربط بين العروبة والإسلام) .

لم يتوقف الهدف عن تهمته العرب عن المسلمين أو فصل العرب عن الإسلام بل سعيًا إلى تهمته عالم العرب نفسه فجاءت نداءات الفرعونية والفينيقية ، وغيرها .

ولم يكن الإسلام جزءاً من العروبة بل أن العروبة لم تكن شيئاً بفكر الإسلام أو قبل الإسلام فقد شرفهم الله برسالة الإسلام وبظهور النبي من بينهم ونزول القرآن بلغتهم فقام مفهوم العروبة في إطار الإسلام .

(٢)

واقف قدم النفوذ الغربي القوميات والوطنيات بديلاً للإسلام ، ومن أجل هذا حجب كلمة (العالم الإسلامي) بمعناها الجامع الذي يتحدث عن وجود عام شامل للمسلمين في أمتهم الكبرى بالعمل على إشاعة مفهوم القوميات والوطنيات التي أحيت من جديد مفهوم ما قبل الإسلام ، ولا ريب أنه بعد هذه الجولة الواسعة للقرمية التي قام بها البعث والناصرية وقشلها الذريع ، فقد كان على المسلمين أن يأخذوا العبرة من هذه التجربة التي لم تحقق هدفاً لأنها انطلقت بنافذة معينة مضمرة هي أن تحل محل الإسلام وأن تلتف روابط الأمة الربانية: القارة الوسطى ، ولكن بعد مرور هذه التجربة الضخمة ، تعاود بعض فلول القوميين العرب العودة إلى تجديد الحديث عن مفهوم للقومية مفرغ من الإصالة والإيمان ولا يتلاءم مع روح الأمة الحقيقي ويبعد كل البعد عن مفهوم الإسلام الأصيل الجامع الذي لا يتعارض مع قيام الروابط الوطنية والقومية شريطة ألا نغمي إلى العنصرية والدم والاستعلاء بالأعراق ، فذلك مفهوم قضى عليه الإسلام حين جاء منذ أربع عشر قرناً .

إن محاولات القوميات الجديدة هي محاولات مضنية تحمل نفس مصطلحات ساطع الحصرى وميشيل عفلق وغيرهما فهي تحاول أن تحاكم المنطقة على أنها كيانات مجزأة ، ومن وراء ذلك عصيات قبلية وعرقية وعقدية تريد أن تثبت وجودها . وما هذا إلا دليل على الخطر الكامن وراء الدعوة أساساً التي بدأت في أحضان المارون وفي الرسائل التبشيرية ، وكانت تصريحات دعاة التبشير القدامى واضحة في الهدف المبيت لها .

ونحن إذا أعدنا النظر الآن في التصريح الذي أدلى به دكتور زومر قبل خمسين عاما عن القومية تستطع أن نستشكف تلك الخطوات التي مرت بها الدعوة إلى اليوم .

يقول : وإن انتصار الاستعمار الحقيقي ، هو هدم الوحدة الإسلامية وإحلال القومية محلها ، وما علينا ألا ننفخ في بوق القومية فننقاد لنا الشعوب ، وهذا هو الانتصار العظيم .

وليس القومية هنا بديلا للوحدة الإسلامية ألا خيط من نسيج واسع هو فضل الدين عن الدولة في نظام الحكم ، وإفاة التعليم الغربي العلماني بديلا عن التربية الإسلامية ، وبناء الاقتصاد الرأسمالي .

فإذا ذهبنا وراء الاقليمية وجدنا :

الحضارة عربية بدلا من الحضارة الإسلامية ، والثقافة عربية بدلا من الثقافة الإسلامية ، ونجد التاريخ عربيا بدلا من التاريخ الإسلامي والأدب مصريا بدلا من الأدب العربي .

ومن ثم استطردت البرقيات والكتابات في الصحف والإذاعات فكانت كلمات : أزمة الشرق الأوسط ، والافليحيات ، وحرب الخليج ، بديلا من فلسطين والرابطة بين العرب والفرس . وحتى تظل كلمة (العالم الإسلامي) محجوبة ، وراء العروبة والافليمية ، ويستطرد هذا حتى يشمل جميع وفائع التاريخ الإسلامي فسميت الحروب الصليبية بين المسيحية والإسلام ، معارك عربية ، ودعوة إلى السيطرة الاقتصادية للغرب .

ومن ثم نجد تلك التزيقات بين المصطلحات : ونجد الخلاف بين القيم فالخلاف مختلف بين الجنسية والدين ، وبين الدين والعلم . وبين العروبة والإسلام ، فهذه كلها قوى مترابطة ومتكاملة ، وما جاء الفصل بينها نتجته لهجر منهجنا الإسلامي الجامع بين القيم واعتماد مذهب الغرب الانشطارى ،

ومن فهم الإسلام فهما حقيقيا لم يقع في ذلك الخلاف المزعوم بين الجنسية والدين أو بين الدين والعلم ذلك لأن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع

جامل لكل القيم والمقومات ، ولكنها القوى التي تريدان تفرق الصف
وتصدع الوحدة ، وتريدان أن تعلى من شأن الجنسية على الدين ، بينما هما
قوتان مترابطتان في الإسلام ، فإن العروبة والإسلام يتكاملان أبداً ، كما
يتكامل العلم مع العقيدة .

ومن شأن تصحيح هذا المفهوم أن تعلى من شأن الفكر الإسلامى
كوحدة متكاملة ، تجمع السياسة والاقتصاد والاجتماع والترية .
ولقد كان الصراع فى الغرب بين القوميات والدين لأن الدين كان
مفهومه قاصراً على اللاهوت ، أما فى الإسلام فإن « تعارف الأمم » وتوافيقها
أمر قائم واضح .

ولقد ارتبط الفكر بالعقيدة قبل ارتباطه بالجنس ، إذ أن مصدر
الغفقات والحضارات هى العقيدة أساساً فالقول بأن هناك فكر مصرى
أو فكر عربى قول غير محدد .

الفكر الإسلامى هو جملة المفاهيم التى قدمها الإسلام فى مختلف مجالات
الحياة والفكر الإسلامى عربياً كان أو تركيا أو فارسياً فهو مرتبط أساساً
بعقيدة التوحيد الخالص وإن كان مكتوباً بلغة من هذه اللغات ولكنه
فى الأساس يصدر عن منبع الإسلام ولقد كتب هذا الفكر أترك وفرنس
وهنود ومن كل الاجناس وظلوا هم مسلمين لأن الإسلام هو الذى كون
هفليتهم وبنى نظرتهم إلى الحياة :

أما تلك الصيحة القومية والاقليمية السائدة التى ترمى إلى جعل الفارابى
تركياً والقرابى فارسياً . الح فهذه صيحة باطلة ، نتجت عن أثر التغريب
ودعوات الاستشراق والتبشير الضالة التى ترمى إلى تمزيق الأمة الواحدة كذلك
فإن التاريخ الإسلامى فهو تاريخ الأمة الإسلاميه كلها ، وليس منذ ظهور الإسلام
لأمة من الأمم التى انضوت تحت لواء الإسلام تاريخ قومى أو اقليمى منفصل
عن الإسلام ، فقد صنع الإسلام عقل هذه الأمة وقلبها فأصبحت منذ نهر
الوار إلى حدود الصين تصدر عن عقيدة واحدة وعقلية واحدة ماعدا بعض
خلافات تتعلق بالاقاليم لا يمكن أن تنهى القاعدة العامة أو تؤثر فى النظرة الكلية

كذلك الحضارة فإن هذه الحضارة صنعتها كل العقول الإسلامية التي انصهرت في بوتقة الإسلام فليس هناك حضارة عربية أو تاريخ عربي ، له طابع خاص يختلف أو متميز عن مفهوم الحضارة الإسلامية العام أو التاريخ الإسلامي أو الفكر الإسلامي .

(٣)

يرجع بعض الباحثين ظهور كلمة القومية إلى بدء التجمع اليهودي الذي عرف في سالونيك عندما تجمعوا في أواخر الدولة العثمانية وكونوا ما يعرف بالمخفل الشرقي الهناني ، يقول الأستاذ عبد الله العاقل : ولما عجزوا عن احتواء السلطان عبد الحميد تقرر أن يقضى عليه بالغزو الفكري حيث أوحى إلى كتابهم وعلمائهم ترويج فكرة القومية التركية الطورانية فتأثر بها الكثير من المستجيبين لدعوة القومية ؛ ولقد كون العرب قوميتهم في مواجهة القومية التركية وتناطحت القوميتان ، وأسدتا إلى الصهيونية جيلا لن تنساه لهم لأنهم برفضهم العلاقة الإسلامية المتمثلة في (عبد الحميد) باعوا فلسطين في سبيل القومية حين رفض السلطان بيعها مقابل ملايين الليرات الذهبية .

ويرى دعاة القومية إلى (أولا) فصل العروبة عن الإسلام ، ويريدون أن تحمل القومية محل الإسلام ، والقومية تخمد دعوة الإسلام (إنما المؤمنون إخوة) فهي تمرق الاجناس ، (ثانيا) والقومية تنادى بالعلمانية وهي تنهض على فصل الدين عن الدولة ، أي إبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة . (ثالثا) والقومية تمجد حضارة الإسلام فهم ينسبون الحضارة الإسلامية إلى العرب فقط . والإسلام ينص على أن كل من آمن بهذا الإسلام عقيدة وعبادة وتشريعا فهو مساهم في بناء الحضارة الإسلامية عبر التاريخ ومشارك في إقامة مجد المسلمين خلال العصور سواء كان عربيا أم أجنبيا .

ولكن الإسلام مع ذلك لا يمنع المسلم أن يعمل لبلده وأن يتعاطف مع قومه وعشيرته ، كذلك يدافع عن أرضه ؛ لأنها أرض إسلامية لا أرض قومية .

وكلما ذكر اسم الله في بلد غدت أرجائه من لب أوطاني

ويقسم الباحث : لماذا لا يكون النداء لمسكرة الجامعة الإسلامية التي حقق للمسلمين العزة تحت لوائها وقد شهدت لصلاحيتها وخلوها المستمر على مر الزمان والأيام .

(٤)

لقد بدأت بذور الاتجاه القوي العربي في أحضان المارون ومع فتح الأبواب لنشاط الرسائل التبشيرية ، وحل بذور الاتجاه العلماني (بعثات البروتستانت الأمريكية والكاثوليك الفرنسية) . وكان المبشرين الأمريكيين الأثر الواضح في انتشار القومية وقد اعتمد الأمريكيون في هذا على اثنين من العرب نصيف اليازجي وبطرس البستاني :

وفي هذا الإطار ظهرت مجلة الجنان ١٨٧٠ تدهو إلى الوطنية ونشر

وزق الله حسن : مرآة الأحوال في لندن

لويس صابونجسي : جريدة الخلافة في لندن

وأصدر نجيب عازوري كتابه المسموم (بقطة الأمة العربية) ١٩٣٣ وهناك موقفان يقدمهما الأستاذ طارق عبد المنعم محمد يكشفان عن مراحل الخطأ : (الأول) في مفاوضات تركيا بعد الحرب الأولى وهزيمة الدولة العثمانية :

يقف كرزن موقف المتصلب في المفاوضات ويقول لصمت اينونو مندوب مصطفى كمال : إننا لا نستطيع أن ندعكم مستقلين لأنكم حينئذ تكونون نواة يتجمع المسلمون حولها مرة أخرى ، ولكن مصطفى كمال يقبل شروط كرزون الأربعة :

١ - قطع صلة تركيا بالإسلام . ٢ - إلغاء الخلافة .

٣ - يقوم باخذ أي حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

٤ - يختار دستوراً مدنياً بدلاً من الشريعة الإسلامية (مذكرات الحاج أمين الحسيني) .

وقد رفع مصطفى كمال أعلام وشعارات القومية الطورانية وشعارات العلمانية واستخدم الرصاص في إسكات أى صوت ينادى بالإسلام أو الرجوع إليه .

(الثاني) في الوقت الذي انفتحت فيه بريطانيا مع الشريف حسين ١٩١٦ ضد الخلافة العثمانية لإقامة دولة عربية ، كانت بريطانيا تقوم بأعمال عسكرية ضد السنوسيين وضد السلطان على دينار في السودان وكان كلاهما من أبرز دعاة الفسكرة الإسلامية المحاولين إبعاد المستعمرين عن بلادهم والمجاهدين في سبيل البلاد الإسلامية جمعا .

ومن ثم انقسم العالم الإسلامي إلى قسمين : عربي وإسلامي . أما القومية الطورانية فهي قومية لادينية حل لواءها (ضياء كوكب الب) وأحد أفادين ويوسف اشتورا وكانت تدعو لمجد (طوران) ، ثم أطلقت القومية الفارسية وأسماها وهي تنادى بالسير على خطى (قورش) .

والقومية العربية صنعها لورانس عميل المخابرات الإنجليزية وصاحب الانجاعات اليهودية . وأيد الاستعمار الفكرة العربية المستبعدة لمزج العروبة بالإسلام فالقومية العربية في الحقيقة أفرزها الاستعمار ووضع مفكروها أصولها من إقطاره وحل لوائها في نشأتها نصارى الشام والريمان وحين أثبتت وحقق أهدافها ونما نموها حل لوائها المسلمون . وهناك الصلات واضحة بين القومية والقوميين والعلمانية والعلمانية وبين الاستعمار والصهيبيين ، بل لقد رأى الاستعمار أنه ليس ثمة ما يمنع أن تعلن القومية والقوميون الحرب على أوروبا والاستعمار تحت أعلام الوطنية والتحرر والثورة على الاستعمار الأجنبي .

والخلاصة ان القوميين العرب هم الذين نشأت أفكارهم ونبتت وترعرعت في حجر الاستعمار والتبشير وليس في مقدورهم أن يخفوا حقيقة تنهم ، والتنظير للقومية بدا بمازورى وبطرس البستاني وانتهى إلى ميشيل ففلق وزكي اللارسوزى .

وفي ندوات عبد الناصر في بيروت وندوة التراث في المغرب ١٩٨٢ حشد القوميون كل جهودهم فصنعوا بهرجانا لمهاجمة الإسلام ودعوا إلى حسم

علاقة الدين بالدولة والأخذ بمبدأ العلمانية ، بل وبلغوا أشد من ذلك جراه
بن دعوا إلى تقييم الإسلام علمياً والبت في أمره ، هل يصلح لأن يتخذ أساس
بناء أو منهج صلاح لمواجهة التحديات والمشاكل ، أم ثبت هجره وتجاوز
العصر له ، وقد جاء في البيان الختامي في ندوة التراث بالمغرب تؤكد على
العصرية وتجاوز العصر للتراث (أى الإسلام كما عبروا عنه)

والواضح أن تيار القومية ، وأن تحول عن مخالفة الاستعمار ، فإن ولاته
مازال معقوداً للحضارة الغربية والعلمانية والمفهوم المادى ، فهو يرى في
الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة وفي طريقها طريق التحديث وحده .

ولقد كانت دعوة القوميين واليساريين والثوريين بعد نكسة ١٩٦٧ التي
أوقعتها بالعرب والمسلمين القوميين وحدهم ، تتحدث عن ضرورة تحديث الدولة
وبنائها على طريق العصرية بعيداً عن الدين من أجل النهوض من السقطة
والخض في الطريق ، ولكن أحاميس الشعوب كانت أعمق وفطرتها كانت اننى
فقد عرفت أنها ضللت وأنه لا يوجد طريق الآن غير طريق الإسلام .
أن قولهم أنه لا مجال اليوم لوحدة على أساس من الإسلام ، إحساس بالفرع
لوحف الإسلام في صحوة ومده الجديد ، وأن هذا الأسلوب الذى يصنعه
أمثال محمد حمادة فى استعمال القومية والعروبة فى خدمة العلمانية والشيوعية
ساقط ومنهزم ولن يحقق شيئاً أمام أضواء الإسلام الباهرة التى يخضع الناس
بالتحمل بها .

(٥)

يقول الدكتور فاروق عبد السلام أن المسلمون لم ينكبوا فى حياتهم السياسية
منذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا يقدر ، انكبوا فى ضياع الخلافة
ولم ينجح أعداء الإسلام فى النيل من المسلمين بقدر ما نجحوا فى تسديد الضربة
لهم فى مقتل ، فى رمز وحدتهم وقوتهم حتى يسهل القسطنطين عليهم والتمسك
منهم على مبدأ وفرق تسد ، والخلافة رأس الأمر كله وهى تعنى ببساطة . وحدة
المسلمين تحت رئاسة عامة من أجل حراسة الدين وسياسة الدنيا وتحت إعتافها

كان المسلمون أمة واحدة تمتد من المحيط إلى الخليج يربهمون عدواً واحداً ، وبعدما وفي غياها أصبحوا غناء كغناء السيل ودويلات مبعدة تدعى عليهم الأمم كما تدعى الأكله إلى قطعها فرادى كالغنم الشاردة في القليلة الشائبة ، واستمر عطاء الخلافة ثلاثة عشر قرناً من الزمان يحمل شعلتها ويرفع رايتها شوامخ الرجال من فرسان الإسلام في سباق التنابح الدائر بينهم وبين أعوانهم المتربصين لدين الله ورسوله . وفي أياها لم تسلم بلاد المسلمين من مثل هذه الشرور والانحرافات من جانب الحكام ، وليس كل الخلفاء على مستوى النجوم الزاهية من صحابة رسول الله في خلافتهم الرشيدة ، وإلغاء الخلافة إنما فرض علينا فرضاً ، وكان دور مصطفى كمال أتاتورك في ذلك لا يتعدى دور العميل المطيع والمنفذ لأوامر أسياده من الخلفاء وتشهد بذلك وثيقة بروتوكول معاهدة لوزان المعقودة بين الخلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ والتي تتضمن شروطاً أربعة اشتهرت باسم شروط كرزن الأربعة ونصها :

— قطع كل صلة بالإسلام .

— إلغاء الخلافة .

— إخراج أنصار الخلافة من البلاد .

— اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام

ولم يعد المسلمون بعد ضياع الخلافة دولة كبرى تتحدث باسمهم في السلم وتدافع عنهم في الحرب ، ففي السلم أصبح القرار النهائي والتحكم في المشاكل الدولية بين الدول الخمس الكبرى صاحبة العضوية الدائمة في مجلس الأمن والتي تملك حق الاعتراض . وفي الحرب دخلت البشرية عصر الصراع النووي وتم تفجير الذرة وتمسك أصحاب كل ملة من وضع أيديهم على أسرارها والحصول عليها إلا المسلمون .

وأصبح للحاق بالركب الدولي في المجال النووي يتطلب وافر عاملين هامين :

(١) عقلية علمية رائدة .

(٢) وإمكانات مادية باهظة .

وتوافر العقلية العلمية الحديثة في البلاد الإسلامية معدمة وفقيرة واقتصادها تحت الصفر كمصر وباكستان وتركيا وفي نفس الوقت تنفجر بناييع النفط وتهمر الثروة بغير حساب في بلاد إسلامية أخرى ، حيث لا يجدون مكانا يحفظون فيه أموالهم وعوائد ذهبهم الأسود إلا في بنوك الأجانب وبشرطهم الخارجة عن شرع الله ، وما يحفظ أقل بكثير مما ينفق بغير حساب تحت أقدام البغايا وفوق موائد السكارى .

وما كان لمثل هـ هذا أن يحدث لو كانت للمسلمين خلافة تجمعهم وتوحد سياستهم الخارجية والحرية والاقتصادية والمالية ، ولا يمنع أن تسمى الخلافة بالاتحاد الإسلامي إذ الولايات الإسلامية المتحدة أو اتحاد الجمهوريات الإسلامية فالعنى مقدم على الدعوى والأهداف والغايات أهم من التسميات والخلافة وظيفة ومضمون قبل أن تكون شكلا من أشكال نظام الحكم : العلمانية ، القومية ، الطبقية تحول دون ذلك .

لقد أصبح كل شيء يقام على أساس الدين محل اتهام ، قام الاتحاد السوفيتي على أساس الإلحاد وإنكار وجود الله ولا يقام اتحاد على أساس توحيد الله والإيمان به . أن ما اعترفنا به من قيام إسرائيل هو ما رفضه آخر حلفاء آل عثمان في أباء وشمم وكان إلغاء الخلافة وتدمير الوحدة الإسلامية هو الرد المقابل لهذا الرفض .

(٦)

لقد تصدى باحثون غربيون وشرقيون لبحث هذه المؤامرة الخطيرة : مؤامرة تمزيق الوحدة الإسلامية وإعلاء دعوات الاقليميات والقوميات ومن هؤلاء ليونارد بانيدر في كتابه (الثورة العقائدية في الشرق الأوسط) حيث جعل هذه الدعوات بمثابة عقائد جديدة وتبين له بعد الدراسة المستفيضة ما يلي :

أولا : أنه مهما صنع الاستعمار لقضاء على الوحدة الإسلامية وإقامة الوطنيات والقوميات والإقليميات فإن حركة التضال من أجل مقاومة الاستعمار كانت تستمد قوتها الأساسية من مفهوم الإسلام الاصيل في الجهاد ومقاومة الغاصب .

ثانياً : أن القوميات التي فرضتها القوى العسكرية في المنطقة لم تنجح بالرغم مما بذل في سبيلها من مال وانفق من دعاية وما جرى من كتابات لاقناع الأجيال الجديدة بها .

ثالثاً . أن العالم الإسلامي لم يقبل الديمقراطية بمفهومها الغربي المخالف لمفهوم الشورى ، ولم يقبل القومية بمفهومها الغربي المخالف لمفهوم العروبة . ولم تكن القومية أحسن أشكال الحكم بل كانت وسيلة لاختفاء الأيدي المنحنية بالدماء والانياب والأظافر المسيطرة باسم الاستبداد والدكتاتورية .

رابعاً : الجيل القديم من السياسيين كان يعارض النفوذ الغربي الاستعماري على الصعيدين السياسي والعسكري ولكنه كان يتسامح مع تأثير الغرب على الصعيد الفكري والثقافي العام .

خامساً : أن التعارض بين الدين والقومية في الغرب مستمد من مفهوم الدين في الغرب أما الإسلام فإنه لا يعارض القومية بل يهذبها ويضعها في صيغة أخوية مفتوحة .

سادساً : ما تزال العقيدة الإسلامية قادرة على أن تغير كثيراً عما يفرض عليها من الخارج وتحطم كثيراً مما يقيد ، وتحول دون القوى الاستعمارية وبين تحقيق كل مآربها .

سابعاً : تبين للغرب أن محاولته في تحويل المسلمين من الدين إلى القومية وهو ما تسعى التبدل العقائدي غير ممكن ، كما أن محاولة إقامة حواجز عالية بين الأقطار العربية والأقطار غير ممكن لأن روح الإسلام وثقافته العالية تجتمع قلوب المسلمين جميعاً وتجعلها تخفق للحدث يحدث هنا أو هناك .

ثامناً : أن الدول الكبرى هي التي رسمت التجزئات الإقليمية في الشرق الأوسط والكيانات المصطنعة لسد حاجاتها وتتحقق أهدافها ومتطلباتها . وكان التركيز الاستعماري أولاً على مصر وتركيا وإيران .

تاسعاً : حاول الاستعمار الاعتماد على جماعات من الإقليميين والقوميين وأثارت نزعات ونحل قديمة بين أهل الدعوة الإسلامية ، الذين كانوا في مجموعهم الأكبر وأغلبيتهم الساحة ، يجمعون خير ما في ذلك المذاهب ويؤمنون بمفهوم السنة الجامعة ، وبالبناء على الأساس ، لا يرفضون الغرب ولا القديم وإنما تحاكموها وفق مفهوم الاصاله ولليراث الإسلامى الصحيح فالمسلمون يقبلون من الغرب على قاعدة (البناء على الأساس) ويرفضون من الغرب كل ما يعارض مفاهيمهم الأساسية ويقبلون من الغرب تنظيمات وليس نظاماً ، ويرون أهم يستطيعون الانتفاع بمنجزات الغرب المادية دون أن يقبلوا تأثيراته الروحية والثقافية والقانونية لأن لكل أمه ثقافتها الخاصه .

عاشراً . فشل القوميون العلمانيون الذين يفرقون بين الدين والدولة ، وهم الذين كانوا معجبين بنظام الغرب وحضارته التي تميل اليوم إلى الغروب ، وقد فشلت محاوراتهم في إقامة نظام مناقس للنظام الإسلامى .

• • •

إن المفهوم العلماني الذي صنعه الاتحاديون في تركيا هو المفهوم القومى الذى صدر للبلاد العربية على أيدي ساطع الحصرى وزكى الارسوزى وميشيل عفلق وقد قامت الإللمية على الأرض وقامت القومية على العرق ، والقومية تعزل العرب عن المحيط الواسع (العالم الإسلامى كله) والعلمانية تعزل العرب عن الفكر الواسع (التراث الإسلامى) وقد تبين فساد نظرية الدم في البلاد العربية وفساد نظرية القومية المستندة على أساس المنصرية وحرم الإسلام التفاضل بالأجناس والانساب والطبقات وأنكر فوارق الجنس واللون واللغة .

الفصل الثاني

تأمر الغرب (بشقيه)

على الإسلام والأمة الإسلامية

إن محاولة تمزيق الوحدة الإسلامية هي إحدى العوامل التي اختارها الغزو الغربي للسيطرة على الأمة الإسلامية واستئدانة هذه السيطرة ، وحرمانها من القدرة على امتلاك إرادتها ، أو إقامة مجتمعها الإسلامي الأصيل أو إعادة بناء حضارتها وتلك خطة مرسومة ومرتبطة منذ وقت بعيد وقد مرت بمراحل عديدة كانت آخرها هذه المرحلة : مرحلة الاحتلال الغربي ، ثم انتهاء هذا الاحتلال العسكري السياسي إلى نوع من الاحتواء الكامل عن طريق السيطرة الاقتصادية والثقافية .

ولقد عملت القوى المسيطرة التي تنوعت بعد الحرب العالمية الثانية إلى قوى غربية وقوى صهيونية وقوى ماركسية إلى وضع غخططات مختلفة ، ترمي كل منها إلى تحقيق غاية خاصة لها بينما هي في مجموعها ترمي إلى غاية واحدة :

هي : صهر المجتمع الإسلامي الواسع في انون التبعية ، وذلك عن طريقين :
أولاً : عقليا وثقافيا وروحيا ، عن طريق الفلسفات والمذاهب والابدولوجيات المادية الاباحية الوثنية العلمانية التي تدعو إلى الانطلاق وخلع رداء القيم الاخلاقية والاندفاع وراء الذات والشهوات عن طريق القصة المسكشوفة والشعر الاباحي ، والمسرح والسينما وكل هذه العوامل مع التخفف من روح القصيدة والاخلاق في المناهج الدراسية والجامعية .

ثانياً : تدمير المجتمع الإسلامي عن طريق تغذيته بكل مطروحات الحضارة المدمرة من رقص وزنا وإباحة وفساد خلقي وترف وانحلال وأدوات استهلاك تقدم بسهولة عن طريق الربا .

ويهدف ذلك كله إلى السيطرة على اقتصاد الأمة الإسلامية والحيلولة دون قدرة هذه الأمة على امتلاك إرادتها أو تصنيع خاماتها ومنتجاتها بل لكي تبقى دائما مصدراً لخامات يصدرها الغرب وبضائع استهلاكية يستوردها من الغرب وعندما انبعثت الصحوة الإسلامية في السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري كانت خطة القوى الغازية خارقة في تطويق هذه الصحوة والحيلولة بينها وبين تحقيق غاياتها وحصرها في دائرة طبقية وقص حواشيها التي تطير بها .

ولقد جرت المخططات في كل اتجاه ، من أجل السيطرة والاحتواء كانت هناك محاولة تزييف الانتماء العربي الإسلامي وتغيير الهوية الثقافية وجرت محاولة احتواء العقل العربي والسيطرة على المعلومات . وعمقت هذه القوى الهوة بين المسلمين وبين قصة فلسطين .

كما عيشت لتذويب المسلمين في مجتمع الاستهلاك وتقديم النموذج الغربي بديلاً للنموذج الإسلامي الأصيل . ومن ثم أصبح الغرب يفرض نموذجه على المسلمين اليوم بقوة متزايدة وهو نموذج يفتقر إلى الأخلاقية وإلى الإنسانية وإلى الإيمان بالله .

فالإنسان الغربي لا يعمل حساباً للقيم الخلقية والروحية والحضارة الوافدة لا نعترف بالله تبارك وتعالى وتحدث عن قدرتها الخارقة في صلف وجهالة .

ومن ناحية أخرى فإن ثورة العالم الإسلامي كلها موجهة لخدمة الاقتصاد الغربي ، الذي يعمل على استنزاف الثروات المذخورة من بترول وكوبات ومنجنيز ، دون مراعاة لمقاييس أساسية وإعلاء من خلال الاسراف والترف والتدمير العالمي لمعطيات الأمم ، ومن خلال هذه التبعية المفروضة على المسلمين والغرب حيث يشجع المسلمون والغرب نمطا استهلاكيا متطرفا لا ينظر إلى الغد ولا يحسب حساب الأجيال القادمة .

وفي نفس الوقت يقف الغرب موقف التصميم الكامل دون إعطاء العرب والمسلمين علوم التكنولوجيا ويصر على أن تبقى منابع المعرفة فيما بأيديهم هم مع التحايل على المسلمين لينصهروا في بوتقة الحضارة الغربية ولقد تكشفت

في السنوات الأخيرة حقائق عجيبة في هذا الصدد أهمها وقوف الغرب في وجه كل جهد حقيقي لبناء قدرات العرب والمسلمين العلمية والتكنولوجية - حتى يجبرهم على الركوع أمام أصحاب التكنولوجيا واستخدام مناهجهم والتبعية لهم

١ - محاولة فرص انتهاء زائف

حاولت القوى الغربية تمزيق وحدة الوحدة الإسلامية ، وعزل المقومات الجامعة التي تشكل الشخصية الإسلامية إلى عناصر هي الدين والجنس والوطن واللغة ثم يجري ضرب هذه العناصر بعضها ببعض بينما أن الإسلام يجمع بينها ويشكل منها وحدة جامعة فالانتماء في مفهومه الإسلامي ، ليس انتماء قومياً ولا لغوياً ولا وطنياً وإنما يكون الانتماء للعقيدة الجامعة القائمة على هذه المقومات جميعاً . من خلالها ، وقد جعل الإسلام الانتماء الوطني قائماً فعلاً ولكنه جعله تابعاً للانتماء العقدي أي أن ارتباط المسلم بالوطن وحبه له ودفاعه عنه واستشهاده في سبيله يكون - كما يقول الدكتور زكريا سليمان بيومي - نتيجة لمدى ارتباط المجموعة البشرية المقيمة فيه . بمجموعة القيم الإسلامية ، فإذا لم يستطع المسلم الالتزام بهذه القيم في الوطن الذي يعيش فيه وأصبح من الفرض عليه أن يهاجر إلى أرض جديدة يستطع فيها أن يكون ملتزماً .

وهذا الأمر تؤكد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة :

والانتماء إنما يكون إلى مجموعة عقائدية ، إلى مجموعة من القيم والمبادئ التي تنظم سلوك الإنسان وتحدد له العلاقة مع أخيه لانشاء أرقى أنواع الانتماء ، وإن وحدانية الله والتقاء كافة القيم والسبل عنده يشجع هذا الانتماء مهما اختلفت السبل إليه .

هذا وإن الانتماء إلى مجموعة من القيم والمثل أوجدت دورة تقوم على نصرتها والدفاع عنها وهذا هو دور الانسان الثابت إلى نهاية وجوده في الكون وإن معيار حسابه في الآخرة سيكون بمدى التزامه وافتراقه من هذه القيم وجموده لنصرتها .

والإلتزام العقائدى إنما يعنى إلتزام الإنسان لمجموعة من القيم والمثل تنظم سلوكه وحياته ، وبالتالي لمجموعه من بنى جنسه تلتقى معه على الإلتزام بغض النظر عن أهلها أو جنسها أو لونها أو أى مقاييس أخرى .

والإلتزام العقائدى فى الإسلام يرفض الإلتزام الغربى بكل أشكاله ولكنه لا يرفض الإلتزام الوطنى فقد اعتبر الإسلام حب الوطن من الإيمان وارتقى بمن يموتون فى سبيل الدفاع عن أوطانهم إلى مرتبة الشهادة . .

• • •

وبعد فإن هناك محاولات متعددة ترمى إلى تغيير مفهوم الإلتزام ، وهى تطرح مفاهيم مختلفة من أهمها مفهوم الوطن ، وهناك مفهوم القومية ، والعروبة ، وتمتد فروع ذلك إلى دعوات تريد أن تبتعث تاريخاً قديماً قبل الإسلام ، كالأحياء الفينيقية فى لبنان والفرعونية فى مصر ، فى محاولة للدعوة إلى جعل هذا التاريخ القديم إلتزاماً متجدداً ، بينما تعجز هذه المطروحات القديمة البالية المتصلة بالآوثان والقبور ، عن أن تشكل لها معطيات حقيقية تجمع حولها بقلوب والمشاعر ، وأليس غير العقيدة الأساسية مصدراً للإلتزام ، بتراتها الضخم ، وميراثها الوافر ، وتاريخها العظيم وجماع قيمها ذات العطاء أكثر خلال أربع عشر قرناً ، ولما كانت العقائد والأديان هى مصدر الحضارات التى شكلت هذا البناء الاجتماعى الباذخ سواء فى الأديان السماوية أو البشرية ، فقد جاء الإسلام ليقدم للبشرية أعظم النماذج فى بناء الحضارات وإنشاء المجتمعات ، ذلك لأنه حرر العقل البشرى من عبادة الأصنام والآوثان ونقلها إلى عبادة الله الواحد الأحد مالك الملك ، كما أنها حررت الإنسان من عبودية الإنسان وهما السمتان اللذين قامت عليهما حضارة اليونان والروم والفرس والفراعنة وإذا جربنا وراء أهواء الإلتزام الوطنى كان إلتزامنا قاصراً محدوداً فى الأرض وحدها ، بينما يجب أن يكون الإلتزام حضياً عيقاً جامعاً ، متصلاً بكل مقومات الإنسان .

ولقد كان من أكبر محاذير النهضة ؛ عقباتها هو قدرة النفوذ الغربى على حجب مفهوم الانتباه الاصيل ، وأصناف مفهوم جزئى لفصل لاقصى الى النفوس العربيه المسئلة .

ولا شك فإن المسلمين تخلفوا عندما فقدوا الادراك لحقيقة هويتهم ولاتماهم وفقدوا الإيمان بذاتيتهم المميزة لهم بوصفهم ، خير أمة أخرجت للناس ، وتقاس حضارة الأمم وأصالتها بدرجة صمودها أمام المتغيرات الحضارية الأخرى وثباتها على أصالتها وذاتها .

ولا شك أن هذا الامتحان الذى تواجهه (الذاتية الإسلامية) فى احتكاكها ومى فى مرحلة الضعف بالحضارة الغربية (بشقيها) هو من أخطر التحديات وإن صمود المسلمين ضرورة فى هذا الامتحان الحضارى الذى لم تمتحن بمثله أمة أخرى .

ولقد حرص الإسلام منذ أجياله الأولى على تربية اتباعه على قاعدة حماية الذاتية الخاصة وثبات مفهوم الانتماء العقدى الاصيل ؛ حتى لا تنصهر شخصيتهم فى الاممية أو العالمية وهم الذين يحملون لواء رسالة الإسلام العالمية والدعرون إلى إذاعتها ونشرها .

ولقد كان المسلمون طوال تاريخهم أكثر الناس حفاظا مخافة أن يقعوا فى التبعية أو الاحتواء ؛ وكانوا قادرين دوما على التماس مفهومهم الذى يميزهم عن الآخرين ؛ وقد كانوا دائما يأخذون بالاساليب والتظيمات المصرية ، ولكنهم ما كانوا يقبلوا أن يتصهروا فى النظم أو الايدولوجيات ، وقد واجهوا حضارات الأمم منذ وقت بعيد واتخذوا منها موقفا حاسما ؛ إنهم لم يرفضوا حضارة الغير ولا علومهم ولا تجربتهم ، ولكنهم لم يقبلوها أيضا ، وكانوا منها على أسنوب من الرصانة والقدرة على الأخذ والرفض ، وما أخذوه منها أساغوه وأضافوه إلى شخصيتهم وصبروه فى بوتقتهم ولم يقبلوا أن يغيروا أى معل من معالم ذاتيتهم ، لقد حولوا كل ما أخذوا إلى مادة خام يشكولونها فى إطار مفهومهم تشكيلا خالصا . وإنهم فى إتصالهم بحضارات الأمم فرقوا

بأن نوعين منها : ما يتصل بالعقائد والتشريع ومن حيث الحل والحرمه
وما بينهما من درجات وما يتصل بالعلوم العقلية والطبيعية والانسان ومناهج
البحث والتدوين ، وقد جعلوا حدود الله قواعد راسخة تحت اسم الثوابت
ومن خلالها تحركوا في دائرة المتغيرات .

فقد صمدوا أمام ضوابط الربا والزنا والخمر والميسر وغيره ، فهذه من
الثوابت والحدود التي لا سبيل إلى الكلام فيها تحت اسم التطوير أو غيره
من العبارات الضالة .

كذلك فهم قد رفضوا (أولا) الانتساب إلى غير الله ، أي أنهم رفضوا
كلية الطبيعة والجبرية والحتمية (ثانياً) وضعوا أساس الانزام الرباني
في المجتمع والحركة .

(٢)

ومن ناحية أخرى فإنهم قد رفضوا مقولة أن الانتقال من مجتمع الزراعة
إلى مجتمع الصناعة من شأنه أن يغير الأخلاق ، فقد أقر المسلمون ثبات
الأخلاق لأنها جزء من العقيدة الربانية الإلهية ، كذلك رفضوا كل ما يقال
من أن التقدم التكنولوجي له تأثيره على عالم الحياة الاجتماعية ولأنه يفرض
تغيراً في السلوك والأخلاق والمعاملات الاجتماعية ، والمسلمون لا يقبلون
الخضوع لما يفرضه هذا التقدم التكنولوجي ، وإنما يرون أن تنتقل هذه العلوم
إلى بوتقة قيمنا الإسلامية ومجتمعنا على أنها مواد خام وأن يصوغ المسلمون
حضارتهم من جديد في إطار التوحيد والرحمة والعدل والإخاء البشري
ولا يقبلون أن يكونوا جزءاً من هذه الحضارة يخضعون لقيمها الخارجية
بعيداً عن الإيمان بالله ؛ ذلك لأن الغرب قد بنى هذه الحضارة خارج محيط
الضوابط الأخلاقية والقيم الروحية وبذلك أصبحت أداة من أدوات التدمير
معداة للمجتمعات في السلم أم في التهديد بالحرب الذرية النووية التي تواجه
العالم لأن يخطر دائماً متجدد .

وفي مفهوم الإسلام أن العلوم والتكنولوجيا يجب أن يقدم ثمارها

لتنحرك في إطار الثوابت الإسلامية وليس الإسلامية التي ترمى إلى حماية المجتمع من الانهيار والتي تجعل هذا التنازع العلمي والتكنولوجي أخلاقياً إنسانياً لا يحرم منه أحد ، ولا يكون تهديداً لأحد ، فهو وسيلة لأتراء الحياة ولتقديم أكبر قدر من العطاء للمادى . هون أن يفقد المسلم فيما أى قيمه من قيمه أو يخرج عن الحدود التي حددها الله تبارك وتعالى أو الضوابط التي هي بمثابة صمام الأمان لحماية شخصية من الغرق وحماية مجتمعة من الاضطراب .

٢ - أزمة الهوية

إن هناك محاولة لتغيير الهوية الثقافية والاجتماعية الإسلامية من أجل إخضاع المجتمعات الإسلامية لمفاهيم غربية ترمى إلى إحداثهم في دائرة الحضارة الغربية بكل قيمها وانحرافاتها وأزماتها ، وهذه واحدة من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في هذه المرحلة من تاريخهم ؛ ويكون لها أثر بعيد في ضرب طريق الصلوة وإخضاعه للتبعية الغربية بحيث لا يستطيع أن يقيم منهجاً إسلامياً خالصاً للحياة والمجتمع ، منحرواً من فساد واضطراب وأخطاء المنهج الغربي .

ومادام العرب الآن قد أصبحوا يملكون الطاقة والثروة ويعملون على بناء حضارتهم من جديد فإن القوى الغربية الماكرة المسيطره على مصادر ثروتهم ترمى إلى إخضاعهم ، سواء بالإغراء أو بالافتناع إلى تقيل الانصياع في الحضارة الغربية حتى يصبحون جزءاً منها وهذا هو أخطر ما يواجه العرب والمسلمين اليوم .

لقد عقدت في السنوات الأخيرة اجتماعات واسعة في الغرب عن طريق مؤسسات مختلفة تحت اسم العلم ترمى إلى إيجاد ما يسمونه حواراً ثقافياً متبادلاً بين العرب والاوربيين يرمى إلى ماذا ؟

• يرمى إلى تضيق الفجوة بين العرب وبين العالم المتقدم ، والوسيلة إلى ذلك كما يدعون إليه :

تغيير المفاهيم الحقيقية التي ترسبت في العقل العربي ، والهدف هو ، أن يصبح العرب مشاركين الحضارة بدلاً من أن يظلوا قائمين بدور المتلقين .

ومن ثم يكون ، للعرب دور في عملية التغيير الحضارى ، وهم يرون أن الأزمة في البلاد العربية تكمن في عدم القدرة على التغيير نتيجة غلبة الاتجاه التقليدى أو سيطرة الزرائع على الاتجاه التجديدى وهذه العبارات المنمقة المكتوبة بعناية والتي تجرى دعاء واتباعاً من هنا وهناك لاشراكهم في هذه المؤتمرات ، ترمى إلى الخداع ، ترمى إلى إخراج المسلمين من ذاتيتهم الخاصة وصهرهم في بوتقة الحضارة الغربية ومن ثم يفقدون هذه المرة وجودهم نفسه ، وهى إحدى المحاولات التي تشترك فيها قوى كبرى ، ترغب إلى مدم ذاتية العرب والإسلام القائمة على قيم أساسية في مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية لا يمكن التنازل عنها .

وهذه المؤامرة هى حلقة جديدة من حلقات ، صهر ، المسلمين والعرب في الحضارة الغربية بداعى (التقدم) ومعنى هذا أن التقدم الذى سيحصل عليه المسلمون ، والشرف الذى سيصلون إليه ، هو أن يكونوا تابعين لهذه الحضارة ، لا بد أن يدفعوا إذاً ثمنها غالياً هو ذاتيتهم الخاصة ، التي يجب أن يتجاوزوا دنيا وأن ينصهروا في الحضارة العالمية والفكر الغربى . فإذا لم يفعلوا ذلك وصهروا بأنفسهم حجر عثرة في سبيل التقدم ، وأنهم لا يريدون أن يكونوا مشاركين في الحضارة يؤدون دور المبدع في مجالات الحياة المختلفة .

ولاريب أن هذه الخطة ، هى حلقة جديدة في مؤامرة قديمة ، تحت اسم التطور والتقدم وإدخال التكنولوجيا ونحن نعرف أن الغرب لن يسمح بإعطاء العالم الإسلامى التكنولوجيا ولا العلوم العسكرية والحربية أبداً لأنه يضع في تقديره أن يظل المسلمون على هذا النحو الذى هم عليه الآن مصدرراً للتخامات وسوقاً لمنتجات الغرب .

ولكنها محاولة جديدة أو متجددة ، لخداع العرب والمسلمين عن غايتهم الحقيقية وعن منطلقهم الحقيقى في بناء حضارة إسلامية أصيلة قائمة على

منهج الإسلام ، وهى جزء من المخطط الذى يرمى إل وأد الصحوة الإسلامية واجهاضها وتفريقها من منطلقاتها الحقيقية .

وأن هذه الأسماء المستخدمة لهذه الدعوى هى أسماء مجمة ، لافية لها فى البلاد الإسلامية ولا وزن لها فى مجال الفكر الإسلامى مهما أعطاه الغرب بوقا أو لمعانا خادعا، إن منطلق هذه العبارات التى يرددها دعاة الحوار العربى الأوربى لاندل على شىء أكثر من أنها تجهل حقيقة مفهوم الإسلام من العلم ، والذاتية الخاصة التى يرسمها الإسلام للعلم وللحضارة وللنهضة ، وهى خطة تختلف اختلافا عميقا وواسعا عن خطة الحضارة الغربية المنهارة التى تلتقط الآن آخر انفاسها والتى قامص على أساس تجاهل الصلة بانه تبارك وتعالى وعلى أساس الاستعلاء العنصرى وعلى أساس الاسراف فى استهلاك الطاقات التى أعطاه الله تبارك وتعالى للناس تحت اسم الزرف والفساد والتحلل والجنس والخر والمطور .

وهذا مفهوم لا يرضاه المسلمون والعرب ولا يقبلون أن ينضموا إليه أو يكونوا جزءا منه ، ومن قبله منهم فإنما يمثل نفسه ولا يمثل الإسلام .

والمسلمون لا يستعجلون قيام المجتمعات الصناعية أو الصناعات الثقيلة ، لانهم يعلمون أن الغرب لن يعطيهم ذلك وأن أعطاه لليابان ولأقل دول العالم حضارة ومدنية . فذلك قدر المسلمين وذلك موقف الغرب الذى لا يريد أن تقوم حضارة إسلامية . والذى يعمل بكل ما بملك من مطروحات صهيونية وماركسية وعلمانية ووثنية على تأخير نهضة المسلمين وعلى أن لا تقوم الأمة الإسلامية التى تملك الآن مقدراتها من الثروة والطاقة والتفوق البشرى .

أما الحديث عن الهوية العربية فهو حديث يجرى فى نطاق العلمانية والاقليمية . والهوية العربية فى حقيقتها ومضمونها هى هوية إسلامية لأنها تستمد مفهومها الثقافى والروحى والاجتماعى من القرآن الكريم .

وإذا كان هناك حوار حول لقاء عربى أوربى فإنما يجب أن يقوم هذا الحوار على أساس الاعتراف الكامل لهذه الأمة بمقوماتها الحقيقية . وبقدرة على إقامة مجتمعا الربانى وحضارتها الإسلامية ، أما أن يعمد اللقاء الأوربى

العربي إلى احتواء المجتمع الإسلامي العربي في إطار التبعية الغربية والحضارة الغربية ومفاهيم الحضارة الاستهلاكية وتحرير المرأة - حتى تكون أداة للجنس والعلمانية وفصل الدين عن المجتمع فذلك مرفوض تماما ، وأن اعتماد أعمال وكتابات طه حسين وتوفيق الحكيم أساسا لهذه الهوية الثقافية فإن ذلك كله لا يفي شيئا ، وأن يكون هناك إنكار للموروثات الإسلامية بل ستكون هي الأساس الحقيقي لأي نهضة وليس بين موروثات الإسلام أى خلاف مع العقل والعلم أو الفطرة ، وإنما هذا الخلاف هنالك بين اللاهوت والعلمانية في الغرب ، وأن تقل هذه المبادرات في إطار الحديث عن هوية عربية هو خداع وسخوية بالمستمعين الذين يعرفون أن معنى كلمة : (الموروثات أصبحت مقدسة) هو هجوم مباشر على القيم الأساسية لهذه الأمة وأن هذه الأمة لا تملك موروثات فليست كدولة كما تملك بعض الأمم ، وإنما تملك القرآن هداية السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن قداسه لن تغلق الطريق أمام التقدم وأمام النهضة وأمام بناء الحضارة بل هي التي تفتحها بشروط المسلمين أنفسهم للتقدم والنهضة وبناء الحضارة وليس بمفهوم الماركسيين أو الماسونيين أو العلمانيين أو الوثنيين الذين يضعون هذه الكلمات على السنة وأقلام التافهين والتافهات .

إن مثل هذه المحاولات لاحتواء المسلمين لا يمكن أن تنجح ، ولا بد لدراستها من دعوة التافهين ، ودعوة التابعين ، الذين لا يعرفون أبعاد القضايا والتحديات ومن الذي يستطيع أن يصف الهوية العربية (الإسلامية) (الانتباه) بأنها تعاني من الركود ، وأن هذا الركود مرده إلى طبيعة اللغة العربية الفصحى لأنها لغة التراث ، وما هكذا تساق الأمور ، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم لا يمكن أن تقاس باللغة اللاتينية المقدسة التي أدخلت إلى المتحف ، ولن تخضع اللغة العربية لمناهج الغرب اللغوية ، لأنها تختلف اختلافا واضحا عنها ، إن دهوة العرب والمسلمين إلى العامية - لا يقوم لأنها دهوة قديمة بأن كذبها ، ولكن نقول أنه بأنها خيانة الدعوة إليها لأوطانهم ، ولن يستطيع دعاة الحوار العربي الأوربي ، أن يتحدثوا عن منهج عقلاني يقصدون به المنهج العلماني أى اللاديني ، فهذا منهج لا يصلح للمسلمين والعرب وقد جرحت المحاولات

خلال أكثر من قرن من الزمان على فرضه على العرب والمسلمين فلم يفلح ، وإن يصلح مع المسلمين والعرب غير منهمج : الذى هو مصدر المنهج العلمى التجريبي الذى قامت عليه الحضارة المعاصرة ، ولن تخضع موروثاتنا للمنهج الغربى لأن موروثاتنا المتصلة بمقيدتنا هى فوق كل نقد ، ولن يكون للمنهج الغربى أى تبعية على الفكر الإسلامى الاصيل المستمد من منابع القرآن والسنة والذى سبطل المصدر الاول والاخير لكل نهضة ، صحيحة ، لا يقوم على الزيف والخداع أو الخيانة . ونحن نرفض الحضارة الغربية فى جواشها الاباحية الفاسدة ونطالب إلى استئناف بناء حضارة التوحيد .

٣ - احتواء العقل العربى

وهذه محاولة أخرى من محاولات تأمر دول الغرب على الإسلام ، هى محاولة جمع المعلومات عن البلاد الإسلامية وتخزينها خارج هذه البلاد بحيث تصبح سلاحاً فى أيدي أعداء المسلمين يستطيعون به توجيه المجتمعات والسيطرة عليها . وأن اشتراك الخبراء الأجانب فى أبحاث تتعلق بالاقتصاد أو الاجتماع فى البلاد العربية من شأنه أن يجعل كل بيانات البلاد ومدخراتها وموروثها مكشوفة .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن سياسة جمع المعلومات هى إحدى الوسائل العملية التى تلجأ إليها الدول الكبرى للتغلغل والسيطرة : يقول دكتور حامد ربيع : لقد أصبحت المعرفة الدقيقة والواضحة بمقومات الجسد الذى يراد تطويقه عنصراً أساسياً من عناصر التعامل مع الواقع السياسى .

ومن رأيه أن ما يتفق من ملايين حول بحوث مشتركة مع جهات أجنبية له محاذير هى إطلاع الغير عن خفايا الوجود القومى سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، ليس فقط من حيث الخصائص السلوكية العالمية بل وتطور تلك الخصائص السلوكية واحتمالاتها المستقبلية ، وأن هذا بمثابة غزو فكري تخضع له البلاد العربية والإسلامية وأنه يحول بين أى قطر من الأقطار

الإسلامية أن تصبح قوة ضاربة في المنطقة ، وأنه يمكن عن طريقه عزل أية قطر عن المنطقة ، وهذا العزل يؤدي إلى تحطيم إرادة التكامل مع الأجزاء الأخرى فهو إذن يحول دون التقاء الأقطار العربية الإسلامية في وحدة متكاملة اقتصادية أو سياسية ، وأن من شأن ذلك أن يخدم أهدافا للقوى الاستعمارية المتطلعة إلى السيطرة .

٤ - عزل قضية فلسطين عن العالم الإسلامي

إن العالم العربي يعالج قضايا التحدى الموجهة إلى العالم الإسلامي على أنه وحدة جامعة فتضرب ضرباته هنا أو هناك ثم يفرض على المسلمين أن يعالجوا القضايا معالجة إقليمية ومن أخطر هذه المحاولات محاولة في أبعاد قضية فلسطين عن مكانها الإسلامي العام بجعلها قضية عربية وقضية جوار ، وقضية لاجئين في البلاد العربية . بينما تمتلئ مشاعر المسلمين بالاحساس بأن قضية فلسطين هي قضية المسجد الأقصى وأرض الاسراء والجزء الغالى من أرض الإسلام وعتبة الجزيرة العربية ، ولقد أبدى العالم الإسلامي دائما مشاعره للاشتراك في الجهاد من أجل استرداد فلسطين واسترداد بيت المقدس ولكن العرب الذين تطوقهم سياسات تضعهم في نطاق إقليمي تحول دون ذلك فيرفضون العون ويصرون على العزلة .

والمعروف أن الغرب عمد منذ اليوم الأول لسيطرته على الأرض الإسلامية والعربية على تجزئة هذه البلاد إلى وطنيات وقوميات بهدف تفتيت المنطقة والتهاهما جزأ جزأ والسيطرة عليها والحيولة دون عودتها إلى وحدتها الأولى .

ثم عمد إلى الوقوف في وجه محاولات الوحدة والتوحيد والتضامن ، وذلك هو أكبر خطر في وجه مقاومة النفوذ الغربي عامة والنفوذ الصهيوني بالذات ، وهو ما أفاده العدو من تجارب معارك الحروب الصليبية وحروب الفرنججية في الجناح الغربي ، فإذا أضفنا إلى ذلك مؤامراته المتوالية في استنزاف الثروات ، وتشجيع فكرة تحديد النسل بإشاعة ما يسميه باطلا الانفجار

الساكني وحرص بعض الحكام العرب على إبعاد العنصر الإسلامي ومحو
الضيعة الدينية عن هذه القضية ، في نفس الوقت الذي اعتبر فيه اليهود
أن قضيتهم دينية أساسا وأنها مستمدة من التوراة ؛ كل هذا يستدعي إعادة
النظر في هذا الموقف وتصحيحه ، ذلك أن تحطيم العامل المشترك الذي
يربط الشعب العربي مع الشعوب الإسلامية الإفريقية والآسيوية
وأجزاء من أوروبا ينتشر فيها الإسلام وسيطر على ملايين المسلمين هو
من المسائل الحاسمة ، وهو من أعمال القوى القومية والاقليمية التي تعمل على
أبعاد الإسلام عن أخطر قضية إسلامية والحكام القوميون والناصريون
والماركسيون كل أولئك يصدرون عن مفهوم علماني تحطم في نكسة ١٩٦٧
وكشف عن زيفه وفساده ، وعدم قدرته على العطاء ، وما يزال القوى
الموالية للغرب تتعاون مع قوى الصهيونية وقوى الشيوعية على الحلولة
دون قيام عوامل الوحدة من خلال أخطر قضية في الأمة الإسلامية اليوم :
وهي (استعادة القدس وفلسطين) ولا ريب أن هذه الفلسفة الاقليمية
العلمانية إنما قامت أساسا لترسي قواعد التقسيم والتزيق والفصل بين
أجزاء الوطن الإسلامي الواحد الذي يجمعه عوامل الثقافة والعقيدة ووحدة
الفكر والعواطف والمشاعر التي رسمها القرآن الكريم منصف أربعة
عشر قرنا :

وقد قام اليهود بدورهم الطبيعي في اذكاء الخلاف بين العرب أنفسهم ،
وبين العرب والمسلمين ، وبين الدول العربية والدول الإسلامية ، وكانت
حكومة الجيش تساند مكاريوس ضد مسلمي قبرص الأتراك ومع الامبراطور
هيل سلاسي ضد مسلمي الصومال وارتيريا ومع الهند ضد باكستان ، ومع
جوليوس نيريري ضد زنجبار .

وكانت مصر - إذ ذاك - تهاجم دعوة التضامن الاسلامي وتصورها بأنها
حلف استعماري واستسلامي .

وقد أشار إلى هذا المعنى الأستاذ أبو بكر القادري حين قال :

إن الدعوة إلى أبعاد الإسلام عن معركة تحرير فلسطين والقدس الشريف والقضاء على أية روح إسلامية ويقظة إسلامية وبعث إسلامي ضحيح ، لقد آن للمسلمين أن يعرفوا ما يراد بهم ، فالامر ليس أمر قضية فلسطين لحسب ، إنها قضية الصحوة الإسلامية ، قضية الوجود الإسلامي ، قضية الوقوف ضد كل تحرك إسلامي لاستطيع إسرائيل أن تحقق دواتها التي تتحكم بها من النيل إلى الفرات .

* * *

الباب الخامس

تدمير المجتمع الإسلامي

الفصل الاول : فساد المجتمع .

الفصل الثاني : المخامرة على المرأة المسلمة .

الفصل الثالث : احتواء الاجيال الجديدة .

الفصل الأول

فساد المجتمع

إن القوى الأجنبية عملت في سبيل حرمان الأمة الإسلامية من إمتلاك إرادتها ، وذلك عن طريقين :

(أولاً) عن طريق تزييف الفكر والثقافة .

(ثانياً) عن تدمير المجتمع وضربه بمختلف الموجات المسمومة عن طريق التعليم وعن طريق الفنون (المسرح والسينما) وعن طريق الصحف وعمدت إلى إفساد أمرين :

١ - العلاقة بين الرجل والمرأة . ٢ - العلاقة بين الآباء والأبناء وطرحت في المجتمع عشرات الأسواء التي عملت على تحطيم الشباب كالمخدرات وألوان الفساد والانحلال المتعددة .

وعملت هذه القوى على احتواء الأطفال عن طريق قصص منحرف ، وتفريغ لهذه العقول من الإيمان والوطنية وصياغتها على الترف والانحلال .

إن تدمير المجتمع الإسلامي كان هدفاً أساسياً للتفوذ الاجنبي منذ سيطرت القوى الاستعمارية على بلاد المسلمين وعلى مصر وقد تنامي هذا العمل حتى وصل إلى مراحل خطيرة ، وكان الهدف هو حجب الإيمان بالله ونعمته ومسئولية الإنسان والتزامه الأخلاقي ، ودفعه في طريق تشبهات ولذلك فإن أخطر ما نعاي منه هو الازمة الأخلاقية ، وجاءت حكومات الاحزاب والاستبداد فعمقت هذه المفاهيم ودعمت التفاق والفساد والعلمع في مالا يحل الله .

وجاءت الافكار اليسارية المسمومة فحلقت جواً عاصفاً من الطمع والخنابح والتدليس والاختيال والتدافع نحو امتلاك مالا يحق لهم ، وكان من وراء ذلك

خطة النهج العالمى الذى قامت به الدول الكبرى فى سبيل استنزاف خيرات هذه الأمم .

واليوم تمر المجتمعات الإسلامية : بحالة من القلق الاجتماعى والفكرى نغمر كل جوانب المجتمع ويبلغ هذا القلق ذروته عند الشباب وطلاب العلم ، ومن مساوىء العصر الحيلولة دون انتفاع الأجيال الجديدة بتجارب الأجيال السابقة والاهتانة بها والنظر إلى الآماء نظرة انتفاص ، مع أن بناء المجتمعات على الزمن لا بد أن يقوم على تلاقى الأجيال وانتفاع الجديد بخبرة من سبقه .

وهناك البيت الإسلامى وفساده واضطراب علاقات الرجل والمرأة ، واضطراب القدوة فى الأب والقدوة فى الأم ، وأثر التعليم العلمانى - المفرغ من قيم العقيدة والأخلاقية وإخطار وسائط الإعلام : السينما والمسرح والإذاعة والتلفزيون والصحافة ، وهناك المنظمات السياسية والاجتماعية المناهضة للإسلام ، والحركات التبشيرية .

وأخطر ما فى ذلك كله صدور الأجيال الجديدة عن مناهج نفسية واجتماعية وتربوية ليست إسلامية المصدر ، وليست إنسانية للمستوى ، حتى يمكن أن تكون ذات قيمة مجردة ، ولكنها مناهج أما مرتبطة بالمجتمعات الرأسمالية أو المجتمعات الشيوعية ، فهى إما من هذا النتاج أو ذلك ، فإذا بنا حين نواجه موقفاً أو أزمة نضطرب فى تصرفنا لأننا لا نلتمس الحلول الأصلية التى يقدمها لنا الإسلام ونخضع تارة للتيار الرأسمالى الغربى أو التيار الماركسى وبذلك نخسر كثيراً كما خسرنا فى مواقف حاسمة ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وما بعدها ، إذ كيف نستطيع أن نعالج سموم حياتنا المحتواة من النفوذ الوافد والتى تضطرب فى سمومه ، كيف نعالجها بأساليب العدو نفسه ؛ ونحن نعلم أن الغرب كله يشقبه يعلن أن مناهج الايدولوجيات القائمة الآن قد فسدت ولأن البشرية تتطلب إلى منهج جديد .

ومن أخطر وجهات مجتمعتنا الإسلامية دعوة الناس إلى علاج مشاكهم بالرقص والسينما والغناء . وفى دعوات الاغاني المنحلة دعوة إلى عبادة الحياة

وأن يترك الانسان شبابه لطبيعته ليأخذ نصيبه من الحياة ، أو أغاني
اللاأدرية التي تنكر كل شيء ، أو تلك المسرحيات التي توجه الشباب إلى أن
الكون طبيعي لا خالق له أو تلك التي تحمل أسوأ صور الحوار بين الابن
وأبيه أو بين الزوجة وزوجها مما يهدم كل قيم الإسلام في إقامة العلاقة بينها .

(٣)

أن هناك ثلاث مظاهر خطيرة في المجتمع الإسلامي .

أولاً : الهرول في الفن .

ثانياً : الترف في المجتمع .

ثالثاً : الإسراف في الاقتصاد .

إن المجتمع المصري يمر بمرحلة خطيرة يفقده جميع مقومات السلامة
والضلالة والقدرة على مقاومة الأحداث فقد أصيب بالتراخي والتحلل
نتيجة هذه الأجهزة العصرية المبتوثة في السوق التي تدفع إلى تهديم الشخصية
الانسانية والقضاء على قدراتها .

فهناك الاسراف في الانفاق حتى لا يبقى قاتض أو احتياطي .

وهناك الانفاق ليس في الضروريات بل في الكاليات . هذه الملابس
الغالية الرفيعة ، وهذا الطعام الكثير الذي يؤكل بإسراف ، وهذا الهرول
في الفن والمهبوط ، وهذا الاسراف في السهر وفي النوم ، وهذا التراخي
في النظرة إلى الحياة كأنها ليست دافع قوة وجبوية وخشونة وإصرار
وصمود ، وإنما عكس ذلك تماماً تواخ وانحلال .

ولقد نذهب بعيداً بل نسجل ما ذكرته الصحف : الأخبار ١٥/٧/١٩٧٨
الاموال الضائعة فوق المائدة الخضراء ، يقول إبراهيم سعده .

إن ملايين الجنينات تدخل خزانة الدولة سنوياً عن طريق أرباح أندية

القمار في بعض فنادقها الكبرى . دخان كثيف بلا صالة القمار في فندق ...
نساء كثيرات يحمن حول شاب صغير السن يجلس أمام مائدة خضراء
ويقامر بألاف الجنينيات في الدور الواحد ، الحساتر لا تهمة الذي يهيمه هو نظره
الإعجاب الزائف التي تنال فوقه من العيون الجميلة التي ترقبه وتشجعه وتسرف
في وعودها الصامتة ، وقام الزبون محاطا بالحسنات والجميلات ليقضى فترة
الشروق في مكان آخر ، ثم تبين أن الشيكات بدون رصيد ، كيف يمكن
أن يحدث هذا في بلد مسلم ، والآنكى من ذلك أن يقول المحرر أن دولاً عديدة
حصلت على الآف الملايين من الجنينيات عن القمار واستخدمته في تنمية
بلادها صناعياً واقتصادياً ، أنها تنمية من المال الحرام الذي لا ينفق
هذه واحدة من مفاصد المجتمع ! القمار .

وهناك موضوع آخر (الأخبار ١٩٧٨/٦/٧١)

نحت عنوان (الدولة تخسر وتجار الوسكى يكسبون) والقضية هي أنه رغم
ارتفاع رسوم الجمارك والضرائب الكبيرة على الخور فإن طوفان الوسكى يغمر
الفنادق والملاهي الليلية والمحلات ، وتحدث عن ملوك تهريب الوسكى
الذين ربحوا ملايين الجنينيات .

لاند عشرت الجمارك على ١٢٤٠ صندوق وسكى في ملهى د . . . الخاص
بالفنانة ، وأكتشفت الجمارك أن هذا الوسكى لم يسدد عنه
الرسوم الجركية ويقدر بمبلغ ٤٠٠ ألف جنيه والوسكى موجود وبكثرة
شديدة - هكذا يقول التحقيق الصحفي - في كل ملاهى شارع اليوم .

وعندما ارتفع استهلاك الوسكى الذي وصل في فندق واحد عام ١٩٧٧
مايساوى ٨٣ ألف جنيه ، وهناك الأنواع الأخرى من البيذ والبيرة والعصير ؛
ومن وراء ذلك أرباح الفنادق من هذا الحرام .

وهناك المخدرات : والتحقيق الذي قدمته الأهرام في ١٩٨٢/٤/٢ يكشف
عن حقائق خطيرة حيث يقول العنوانين : مصر تخسر سنوياً مليار جنيه - من
تدوير مهذب مهذب وتكاليف مكافحة المخدرات ، إن هناك مبلغ ٧٠٠ مليون جنيه

يتم شهريا إلى الخارج بالعملة الصعبة كل عام لشراء مخدرات بالإضافة إلى ٢٠٠ مليون جنيه يدفعها المصريون ثمنًا للمخدرات التي يتعاطونها ويحولونها إلى سنة أفيون بمضغونها تحت الدرس أو إلى دخان يتلوى بنار الجوزة بعد أن يكون قد أكل المخ وهد الجسم ، وفي تقرير لمجلة الأهل إلى ١٩٨٣/٥/٢٥ يكشف عن مجموعة من الحقائق الخطيرة : يقول إن عصر الانفتاح انتهى بزيادة عدد كباريات شارع الهرم بنسبة ٣٧٥ ٪ وارتفاع عدد الشقق المفروشة لأغراض الدعارة عشرة أمثالها وزيادة جرائم خطف القاصرات بنسبة ٤٠٠ في المائة وظهرت أنماط جديدة من الجرائم كتهريب الفتيات للخارج وتحول المرأة إلى سلعة تقاس قيمها على أساس جمالها ودلالها لا على أساس إمكانياتها ومواقفها وقد ساعدت الظروف التي نشأت في عصر الانفتاح إلى زيادة حالات الطلاق وأهم الأسباب غياب الزوج في الخارج أو غياب الزوجة ، وقد طالعنا الصحف بالحوادث والقضايا بالطلاق نتيجة شكوى الزوجة من غياب زوجها في دولة أخرى وإنها تخشى على نفسها الفتنة .

كانت ظاهرة سفر المصريين إلى الخارج كإحدى الظواهر المصاحبة للانفتاح ، وقد أدت إلى تدهور العلاقات بين الرجل والمرأة داخل الأسرة ، بل وأصبح من الصعب قيام الأسرة أصلا ، وخاصة مسألة الاسكان التي أصبحت حائلا دون مسألة الزواج . حيث لا يستطيع المجتمع أن يوفر السكن لكل أسرة .

ومن النتائج الخطيرة لهجرة المصريين إلى الخارج : تأنيث العائلة المصرية ، إلى أن حوالى نصف المصريين المتزوجين النازحين إلى البلدان العربية يركزون أولادهم وأطفالهم في الوطن الأم وهذا ما يؤدي إلى أن الزوجة غالباً ما تتولى وحدها إدارة الأسرة المصرية بصورة كاملة بما في ذلك تربية الأطفال في أخطر سنوات النشأة ، إن جيلا كاملا من ناشئة عصر تنمو الآن في ظل عائلات وحيدة الوالد ، فالوالد الآخر لا يعد كونه زائرا يعود إلى العائلة ، بين فترة وأخرى ، والمخطر في سفر المرأة وحدها في مجموعات غالبا ما تكون من فئات مهنية وشبه مهنية وعائلات من ذوي

اليافات البيضاء ومدبورات للبيوت ومربيات وخادومات ، والسيدات المهاجرات إما أنهن غير متزوجات أو متزوجات دون صحة أزواجهن .

هذه الظاهرة مظهر من مظاهر زعزعة استقرار العاملة المصرية بسبب البحث عن المال .

كذلك فقد تشكلت لدى هذه الفئة من النساء قيم جديدة نتيجة للهجرة والحصول على الأموال ، ظهرت بصفة خاصة في نمط الاستهلاك ابتداء من السيارة إلى الأجهزة الكهربائية إلى الملابس والمأكولات .

وأشارت الصحيفة إلى أن الإنفتاح على العلاقات بين الرجل والمرأة ، ففالت أن هناك ظاهرة انتشار البغاء والاتجار به سواء في داخل البلاد أو خارجها وتزايد أمر هذه الظاهرة في سنوات الإنفتاح ، وقد أشارت الأهرام ١٣/١٢/١٩٧١ إلى ازدياد نشاط تجارة البغاء في الخارج فكتبت تحت عنوان (لسكى لا تقع في المصيدة فتاة واحدة ، ونشرت أيضاً :
(٨٢ فتاة مصرية دفعة واحدة وقعت في شرك الخداع) .

ونشرت أيضاً : شبكة رقيق ، ٣ فيلات تديرها عصابة للرقيق الأبيض ، تهريب ١٧ امرأة في مطار ، أكثر من ٣ آلاف جنحة آداب بين دعاء وتهريض ، كالمصق وإدارة منازل الدعارة ، ٨٩١ قضية آداب بين ممارسة البغاء كهاده واستغلاله والاتجار فيه ، بين عامي ١٩٧٠ / ١٩٧١ ثم يقفز الرقم لحأة إلى ٩٧٨

لدى المرأة والفتاة المصرية تعيش تناقضاً صارخاً بين نموذج المرأة ، نصف العارية المعلن عنها في الإعلانات والتي تتمطر بالمطور الفرنسية وترتدى الأزياء المستوردة وتدخن السجارة الأجنبية وتركب السيارة الفارعة ، هذا النموذج يطل من الإعلانات خاصة من شاشة التلفزيون على نساءنا وفتياتنا ، ليل نهار ، فتتمثل المرأة وتحاول تقليده ، ولو باعت نفسها .

ولم يقتصر الأمر على هذه القصة الجديدة في نوعها على المجتمع المصري

بل المخطورة تكمن في ظهور فتيات جديدة كالتالبات والفتيات وزوجات
بعض الفئات المحافظة في المجتمع وإضمارها إلى قائمة المتهمات في قضية دهارة
هزت الرأي العام نجد أن فيها ثلاث طالبات وزوجة ضابط وأستاذ بالطب
وزوجة منتج سينماي .

ونجد هناك أيضاً بشكل التصدير المقنع للدعارة وذلك عن طريق الزواج
القانوني (غير الشرعي) الذي يأخذ شكل الشراء على النحو الذي كان معمولاً به
في عصور الرقيق والجواري . خاصة للبنات الصغيرات في السن .

هذه العوامل كلها تكشف صورة الاستهتار الاجتماعي الذي يمر بها المجتمع ،
نتيجة الانحراف عن المفهوم الإسلامي الأصل القائم على التقوى والرحمة
والقناعة ، والتاس مصادر الحلال في المحل وأخطر من ذلك كله اعتماد الخور
والمخدرات والقلل والسياحة كصادر رئيسية للاقتصاد بينما هي من الأموال
القذرة التي لا تصلح لبناء أى مشروع حقيقى .

ويأتى البغاء السرى ليرسم سحابة سوداء في المجتمع المصرى .

فهناك ظاهرة بيع الأجساد . وترى فريدة النقاش في بحث لها تحت عنوان
(لساء بلا ريش) وهي ماركسية التفكير : أن المصدر الدافع لاتجاه بعض الفتيات
إلى البغاء هو قلة الحيلة وقلة الخبرة والجوع وانتهاء بظروف عمل الخادعات
الصغيرات في بيوت الأغنياء أو موت عائل الأسرة وتشردها ، ونرى أن
الموقف تطور في السنوات الأخيرة بأن أصبحت هناك أعداد من النساء
المتعلقات تعلمن حالياً واللاتى جئن من أسر مستورة وميسورة ، يقول :
يقول : وجئت في بين النساء مجموعة طالبات من الجامعة ، ومهندسة ديكور
وسيدتين بدرجة مدير عام في وزارتين هامتين وزوجة مستشار وخبيرة جيولوجيا . .
أى أن معنى هذا أن التفسير المادى للجريمة الزنا ليس كما يصوره نجيب
محفوظ ويوسف إدريس من أن نتيجة السقوط هي عدم وجود لقمة العيش
وهو تفسير باطل ومضلل ، والحقيقة أنه لا يوجد هناك إيمان بالله يحول بين
النفس وبين الاندفاع نحو الشهوات وأن الحرية المؤمنة لا تأكل بتديها .

أن الفساد اليوم يتمثل في صورة لإفراء الحضارة الغربية التي تتطلع إليها بعض الفتيات والرغبة في الوصول إلى المتاع والثراء والاتفاق الجنوبي في وسط خلا تماما من التربية الإسلامية أو من معرفة حق الله ، أو من بناء رادع يحول دون السقوط ، مما يدفع الفتيات إلى المتاجرة بأجسادهن بغية الوصول إلى المال ومنه إلى السيارات الفاخرة والغرف الوثيمة .

وإذا كان السجن هو الرادع الوحيد اليوم فإنه رادع واه ، فإن هاته الفتيات سوف ينتظرن الأيام الباقية حيث يعدن مرة أخرى إلى نفس الحياة القذرة ، ولو كان المجتمع إسلاميا لفتح لمن صفحة جديدة من معرفة الله والتوبة والانجاء إلى العمل الصالح .

إن هذا المفهوم المسيطر على هذه المقلبات من العمل في تجارة البغاء للوصول إلى الثروة الطائلة ، وإلى الفسنتين والمعطور هو تصور فاسدا نتيجة اضطراب الحياة الاجتماعية واستملاء مفاهيم الثراء الفاحش الذي يتحقق للرجال عن طريق الرشوة والخطف ويريد أن يحققه بعض النساء عن طريق البغاء .

إن بعض مصادر ذلك هو الشعار الذي جرى بين الطبقات وانطلق من البضائع الأجنبية الفاخرة ، وهذه الفنون المسمومة التي تطلق للغرائز الدنيا العنان .

• إن ظاهرة المرأة المتعلمة التي تنفيس في تيار تجارب البغاء ، ظاهرة جديدة بالتعرف عن مصادرها وآثارها الخطيرة على المجتمع .

* * *

وهناك ظاهرة أخرى من ظواهر انحلال المجتمع هي ظاهرة الرقص المذهشة الآن بشكل واضح في كل مشاهد التلفزيون ، كإنما هي دعوة صريحة إلى الرقص موجهة إلى كل فتاة وطالبة وطفلة .

وقد تعالت الأصوات بالمطالبة بمنع الرقص من لوحات التلفزيون ومن المسارح والفنادق . وكيف تكشف الراقصة عن جسمها على هذا

البحر المهن ، حين تقف أمام الرجال مستعرضه أنوثتها وهى شبه عارية
تفتنى وتتلى كالأفنى بل هى أشد فتكا من الأفنى وتأتى بركات جريته ،
ومع ذلك فإن هناك دعاية مضللة تنتشر فى كل مكان . عن الفن وقداصة الفن .
وكيف يحتمل شبابنا فى سن المراهقة هذا المنظر وكيف تحس الفتاة أن ذلك
وما وراه أمراً مشروعا .

والمعجب أن التخریبين الظالمين يدعون بأن الرقص فى الأديان القديمة ،
أى فى أديان الوثنية التى عارضت دين الله الحق ، وهى صناعة التلوديين
على مدى العصور .

ويقول الفريق سعد الدين الشریف : ليس الرقص عبثا فى مجتمع يؤمن بالله
وبرسالات السماء ، ويقول . هل نضحى بأخلاق الأمة خوفا من ضياع
بعض دولارات السباح التى تعتمد على الرقص والملاحة . وهل نحن
نضحى أخلاق أمتنا ازاء السباح بالبحر أو بالوسائل المؤدية إلى الاباحية ؛
ما أظن أن ذلك يرضى عنه الغيورون .

الفضل الثاني

المؤامرة على المرأة المسلمة

منذ بدأت سلاسل الاستعمار الاجنبي وأغلال النفوذ الاجنبي تسيطر على المجتمع الإسلامي وتطوقه وقد كان في تقدير كرومر وغيره من دهاقة الاستعمار أن تكون مسألة المرأة من الأسلحة النافذة في هدم الأسرة وتدمير المجتمع الإسلامي وكانت من بين أربع دعوات عمل كرومر على إيفاؤها في مصر خلال مصر لحكمة في مصر (١٨٨٤ - ١٩٠٦) هي :

(١) للمساوينة التي تهدم القيم الاخلاقية والاجتماعية وإثارة روح الإباحة .

(٢) تحرير المرأة .

(٣) إفساد التعليم وتفريغه من القيم الإسلامية .

(٤) ضرب اللغة العربية وإعلاء اللغة الاجنبية والقاصيات والكتابات بالحروف اللاتينية .

وقد استطاع خلال فترة حكمه - التي امتدت ربع قرن كامل - أن يضع القواعد التي تحقق هذه الاهداف ، وكانت قضية تحرير المرأة من أبرز ما عمل له النفوذ الاجنبي بإزاحة الحجاب وإشاعة روح السفور ، وخلق روح الاستهانة بالقيم الاخلاقية . ذلك أن الاسلام في الحقيقة هو الذي فتح للمرأة باب حريتها بعد عصور من الظلام والظلمات ، ولكن ما كانت تطمح فيه القوى الغازية هو هدم الأسرة وإفساد الاجيال ، إيماناً بأن هذا هو منطلق إفساد المجتمع كله .

وقد نشرت وثائق كثيرة من علاقة قاسم أمين بصالون نازلي هانم فاضل التي كانت تعمل لحساب الاستعمار البريطاني وكيف استدرج إلى كتابة هذا البحث

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة أبحاث كثيرة تكشف هذه الغايات البعيدة الخطيرة وقد أشارت السيدة صافي ناز كاظم في كتابها (في مسألة السفور والحجاب) إن هناك علاقة بين الماسونية والصهيونية في الاستراتيجية مع الاختلاف في التكتيك للقضاء على الإسلام وترى أن الذي ساعد على تحقيق هذه الأهداف أن قضية تحرر المرأة (بمعنى رد حقوقها الشرعية التي كفلها لها الإسلام) لم تأخذ اهتماما من الطليعيين من رجال الدين الثوار في مطلع القرن العشرين ، ونقول إن غياب هذه المبادرة الإسلامية دفعت قضية تحرير المرأة إلى أيد لا تنطلق من أرضية إسلامية أو تصور إعلامي (من جانبي الثقافة الغربية) ، ومما نماذج المرأة الأوروبية والأمريكية ، كذلك أمكن الفصل بين قضية تحرير المسلم وقضية تحرير الوطن المسلم ، ونقول الكاتبة بعد مناقشة كتب قاسم أمين إن دعوة قاسم أمين خدمت أهداف الماسونية الرامية إلى إضعاف سيطرة الاحلام الأيدولوجية باعتباره ديناً ودولة .

كما نخرج من المناقشة بأن دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة هي في حقيقتها دعوة لمحاكاة أوروبا . وتتهم الكاتبة قاسم أمين بسوء النية وغم إرادته التي أوردتها في كتابه وتحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، هذه الآراء التي تتفق تماماً مع الشريعة الإسلامية ، كما تعترف هي نفسها بأنه ، يناقش هذه الأمور ديننا يوقار وتركيز وسعة إطلاع فقي (وهناك قول بأن الأجزاء الإسلامية لم يكتبها قاسم أمين بل كتبها الشيخ محمد عبده) وخلاصة القول إن الاستعمار يستهدف ضرب الإسلام وضرب أية محو إسلامية ، ومن أجل ذلك ركز على اللغة العربية (لغة القرآن) وعلى المرأة المسلمة ؛ ولقد كان تمسك المرأة الجزائرية بمحافظتها سلاحاً حاداً ضد فرسة الجرائز وضياح شخصيتها الإسلامية . وبالحقيقة فقد كان عمل قاسم أمين دعوة إلى محاكاة أوروبا والمخروج من الاصاله الاسلاميه .

ولقد كانت التجربة الخاصة بالمرأة حين ينتظر إليها الآن بعد أكثر من ثمانين عاماً تكشف عن سقوطها وفسادها وأنها كانت علي حساب الإقبال

الجديدة وأنها تتعارض مع تركيب للمرأة الفسيولوجي ، والعقلي والروحي ، وإن هناك دعوة واسعة عريضة اليوم إلى عودة المرأة إلى المنزل . هذه الدعوة سبكت في مصر وحدها ولكنها في الغرب ، لقد تبين للمرأة في الغرب أن التجربة كانت خاسرة وأن أعظم إنتاج المرأة في الحقيقة وهو الطفل فقد ضاع تماماً ولقد عادت الكلمات الجادة إلى القول بأن للطفل هو أروع عمل قومي وهو حرية مواطن صالح بل إن الدعوة امتدت إلى إلزام المرأة بأن تعطى ثديها لطفلها ولا تطمعه الألبان الجافة . إن هناك تصعباً شديداً في أوروبا والغرب كله اليوم نحو رعاية الطفل ، وإلى ولادة الطفل نفسه بعد أن انخفضت نسب المواليد في الغرب كله .

والحقيقة أن وراء هذه المؤامرة بالنسبة للمرأة سواء في الغرب أو في العالم الإسلامي قوى اقتصادية تلوديه تريد هدم المجتمعات وتدميرها . وقد تابعنا نحن في مصر والعالم الإسلامي هذه العملية تحت ضربات الطبول باسم التقدم ، وقوة أخفى عنا هذا المفهوم . وتولى قادة فكرنا وزعمائنا دفعنا معصوي الآعين بتلك هذه التضحية الشديدة الخطورة تحت اسم الحرية ثم تبين أنها عملية خطيرة أريد بها إيصال الأمة الإسلامية إلى عصور الاستسلام والانحلال والانصراف في الحضارة الغربية بحيث أصبح المجتمع الإسلامي على وشك لإلقاء نفسه في سبوتة العليانية والامية ، التي يفقد معها أعظم مآلديه وهو ذاتيته الإسلامية .

ولقد وجد في كل عصر ومرحلة دعاة يكشفون مدى هذا الخطر ويذكرون المسلمون بحقائق الأمور وبضرورة الالتزام بالاصالة والرشد الفكري .

ولكن قوى التعريب والقرو الثقافي لا تتوقف عن تب سموها عن طريق من يتسمون باسمائنا ويتكلمون لغتنا ، أمثال طه حسين ولويس عوض وغيرهم من اليساريين والشيوعيين الذين يهدفون إلى هدم قيم الإسلام ، بل إن هناك فريق من النساء السوفوريات يعملن على إثارة هذه الشبهات في مقدمتهن حسن كتاب ونوال السعداوي وقاطمة سعيد تليذات أمينة السعيد .

ولما كان التفوذ الاجنبي وأوليائه في الداخل يعملون على أن لا يتحقق

قيام المجتمع الإسلامى الصحيح ، فإنهم دائماً يوفدون الثار وفى أيديهم جميع الوسائل وأهمها الاعلام للحداد الأجيال الجديدة .

ولما كان من أكبر منجزات الصحوة الإسلامية هو عودة المرأة إلى المحاب وإلى مقام الإسلام فى رعاية الأسرة وحماية الطفل ، فإن هناك محاولات ترمى إلى الإساءة إلى هذه النهضة ووضع العقبات أمام خطواتها الصحيحة .

(٢)

لقد حاولت دعوة التعريب أن تفسد الرقيا لدى المرأة المسلمة حين طرحت عشرات من المفاهيم المسمومة فى قضايا للإسلام فيها موقف واضح ، إسقاط التعريب أن يثيرها من خلال المسرحيات والأفلام ونحن اليوم نرى أمثال حسن شاه ونوال السعداوى وغيرهما يتدفقون وراء هذه المحاولات الباطلة الذى ما يزال العلم وواقع حياة المجتمع والفطرة تكشف يوما بعد يوم فساد هذه الدعاوى وبطلانها وأخطر هذه القضايا .

(١) المساواة بين الرجل والمرأة . (٢) مهمة المرأة الحقيقية .

(٣) مسئولية الأسرة (٤) حمل المرأة . (٥) سمية المرأة فى هواطها وجسدها - فقد أندفعت المرأة وراء هذه الأهواء فكنت ضحايا للأهواء ؛ ولم يتبين حقيقة الموقف إلا بعد أن تحطمت الأسر ؛ وحلت المرأة أوزار الخطأ ولو أن المرأة استأنست بمفهوم الإسلام الذى أهدها الله تعالى وهو الطهر بها والرحيم بها - لما هوت فى مهاوى الشقاء والانهار والتطم . وقد جاء كثير من الباحثين - حتى الغربيين منهم - فى السنوات الأخيرة فاستطاعوا من طريق العلم أن يؤكدوا هذه الحقيقة التى لا سبيل إلى تجاوزها أو إنكارها (وفى مقدمتهم الدكتور الكسى كاريل صاحب كتاب : الإنسان ذلك الجبول) .

وقد أكدت هذه الأبحاث أن تركيب المرأة مختلف عن تركيب الرجل من جميع النواحي التشريعية والعقلية والنفسية ، وإن المرأة قد خلقت وخلق كيائها على نحو يمكنها من أداء رسالتها التى خلقها الله لها ، فإذا تجاوزتها اضطرب كيائها النفسى . كما أكدت الأبحاث أن المساواة بين الرجل والمرأة لا سند لها من علم أو فكر سليم فى أى ناحية من النواحي .

لأن هناك فروقا بين الرجل والمرأة من النواحي الأربع البيولوجية ،
والفسيولوجية ، السيكولوجية ، العقلية — وأن العالم إذا أراد أن يحل مشكلاته
فلا بد أن يعزذ بالمرأة إلى وظيفتها الأولى وهى تربية الأجيال — يقول الدكتور
الليكس كاريل الحائز على جائزة نوبل عن الفرق بين الرجل والمرأة من الناحية
البيولوجية : أن الأمور التى تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد فى الأشكال الخاصة
بأعضائها الجنسية والرحم والحمل وأن هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة
من اختلاف نوع الأنسجة فى جسم كليهما ، كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا
عن علاقة الحكامرية التى تفرز فى الرحم داخل جسمها فكل خلية من جسمها
تتحمل طابعا انثويا — وهكذا تتكون المضادة المختلفة بل وأكثر من هذا ،
فهو من حال جهازها العصبى وتوجد فروق أيضا كثيرة بين الرجل والمرأة فى
الوزن وفى النظام وفى القوة البدنية وفى غير ذلك ، أما الفروق الفسيولوجية
(الوظيفية) فإن أعضاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات ، فهنا فروق من
الكبد وفروق فى الدم — يقول فروسيه فى دائرة معارفه : أنه نتيجة لضعف دم
المرأة ونمو مجموعها العصبى فإننا نرى مراجعها العصبى أكثر تهيجا من زواج
الرجل فتركيبها أقل مقاومة لأن نأديتها لوظائف الحمل والأمومة والرضا تسبب
لها أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر .

يقول الدكتور دوفائنى فى دائرة المعارف الكبيرة : إن المجموع العضلى
عند المرأة أقل منه كما لا هند الرجل واضعف منه بمقدار الثلث والقلب عند
المرأة أصغر وأخف منه بمقدار ٢٠ جراما فى المتوسط ، فالرجل أكثر ذكاء وإدراكا
من المرأة أكثر انفعالا وتهيجا . كما يقول بكولم دبلين فى دائرة المعارف الكبيرة :
إن الجواس الحس عند المرأة أضعف منها عند الرجل .

٢ — أما الفروق للسيكولوجية فهناك فارق بين الرجل والمرأة فى العاطفة ،
والمرأة أكثر حماسية وتأثرا بالظواهر الطبيعية ، والمرأة لا تستطيع حفظ
الأسرار والمرأة تجذب انقباهما حادثة ما أكثر من فكرة .

والانفعالات الرجل أعمق أثرا من انفعالات النساء ولكنها أقل بعكس

النساء اللائي تظهر عليهن الانفعالات الحادة العفائية من غير تكظم أو إخفاء ، وقد لوحظ أن جرائم الشباب هي التشاجر والنسوة والتشرد ، أما البنات فإن جرائمهن من الأمور الحسية ، والكذب ومحاولة الانتشار .

٣ - أما الفروق العقلية فقد ثبت من الدراسات أن هناك فروقا في النواحي العقلية بين الرجل والمرأة ، وفي كتاب الذكاء وقياسه ، للدكتور جابر عبد الحميد لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون في نواحي القدرة الميكانيكية كذلك يتفوقون على الإناث وفي الاختبارات التي تتطلب الاستدلال ويتفوق البنات في اختبار الدقة وفي استخدام الأصابع من الإدراك الكافي للتفاصيل .

٤ - وهناك فترات خاصة تمر بها المرأة ولا يمر بها الرجل وتظهر فيها أمراض كثيرة ، تكون خلالها مضطربة قلقلة ، لا تتمكن من أن تسير سيراً طبيعياً وهي حالة الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاث . يقول دي فلد في كتابه الزواج المثالي : أما الأعراض البدنية الشائعة في المرأة قبل الحيض وخلالها فهي الشعور بالنصب والضيق الغامض ويظهر الصداع غالباً ويرداد تدفق اللعاب ويتمدد السكبد ويتضخم ويحدث نقص في السكبد الصفراوي ويضطرب الهضم كما تضطرب شهوة الأكل إلى آخره ،

هذا الذي يقوله العلماء قال به القرآن قبل أربع عشرين قرناً وأبان الإسلام في محكم كتابه وفي أحاديث رسوله ، أن هناك فروقا صريحة بين المرأة والرجل ، وأن هذه الفروق تنبئها فروق في مهمة المرأة الحقيقية ، وهي مدعاة لنوع من العلاقة بين الرجل والمرأة تكون فيه للقوام للرجل ؛ ولكن المطروحات المسمومة كلها عن طريق القصة والمسرح والتلفزيون ؛ تحاول أن تضع للمرأة موضعاً مختلفاً ، ومن ثم تفسح الطريق لحوار بنى تستل في المرأة على الرجل ، ويشاتم الابن أبيه ، دون أن نراجع أنفسنا في أن هذا ليس مفهوم ديننا ، وأن هذه الكلمات المايطة ومسيطة المطوار الميّن مدسوس طينا لخدم مجتمعا ، ولو أن المرأة عرفت حدود علاقتها بالرجل ، وعرفت الابن حدود علاقه بأبيه ، وأدى الزوج دوره بأمانة وأدى الأب دوره باخلاص لما وجدت عندنا هذه الأزمة الاجتماعية الخطيرة .

ويجئ لنا أن نقول لحسن شاه وفاطمة سعيد ونوال السعداوى أن هذه الأفكار التي تدور في رؤسكم وكتابانكم ليست أفكار أصيلة في مجتمعنا ولا في عقيدتنا ولن هذه الصور التي تقدمها كآليات في مجال القصة لا تمثل أصالة مجتمعنا وإنما هي مترجمة من قصص أجنبية ثم غيرت فيها الأسماء والأماكن ، وأن المسلمين والعرب قيم ومفاهيم وأخلاقيات واضحة في التعامل والحوار . وأن هذه الكتابات كلها لا قيمة لها وهي لن تبقى لأنها لا تمثل حقيقة جوهر هذه الأمة ولا ضميرها ، مهما أنبج لها في الوقت الحاضر من بروز أو لمعان وأن هذه الصيحة المنطلقة عن معاناة المرأة وما يسمونه الاذهاب الفكرى الذى يمارسه الرجل على المرأة المنحررة ، كل هذا كلام لا قيمة له ، فإن مهمة المرأة الحقيقية ليست هي تلك ، وإنما مهمتها واضحة مفهومة وأن للمرأة الناشئة التي تعبد مثلها الأهل في مدام بورقارى لا يمكن أن تعبد حياة زوجية طيبة ، لأنها تنطلق إلى أوهام من العذوة والجنس والتمرد لا يقبلها المجتمع المصرى العربى الإسلامى .

(٣)

نحن نعرف جيدا أن مسمى حركة تحرير المرأة هو عمل من أعمال الماسونية وأنه بدا في أوروبا تحت لواء إذلال المرأة وتحطيم بكراتها ودفعها إلى سواق النخاسة بأيدي القوى العانية التي كانت تخطط لها برونوكولات صهيون وأن الاستعمار والنفوذ الأجنبي حاول أن ينقل هذه الصورة إلى مجتمعنا ، وأنه ليس هناك ذلك الهم الذي يرى أن المرأة انتزعت حريتها من أيدي الرجال فليس الأمر كذلك وإنما هو الرجل الذى فتح لها هذا الباب لغاية في نفسه ، لمصلحة كنهها مع الأسف اتخذت به وترك أطفالها للنخاعات حتى أصبحت البيوت مظلة كئيبة ، وتمردت الأجيال التي تربت في أحضان النخاعات ، ونشأت في جو من الحقد والتحدى والعنف ، لأنها لم تعبد حنان الرحمة ولم تعبد الصدق الذى يحضنها ويربى فيها عنصر الإيمان أو الأمل ، وفي العمل أيضا كانت خدعة أخرى من الرجل للمرأة هي خدعه الجمالة ، وأخيرا أحسست المرأة أنها ضحية ، وأن الرجل أراد منها أن تكون سلعة وأداة ، ولم يحقق المرأة نجاحا في أي عمل تولته ولم تختار المرأة هذا الطريق

ولسكن الرجل هو الذى أجبرها وأخرجها عنوة وللرأة تؤمن باليؤم
بأنها كانت على خطأ ، وأن استمرارها فى العمل خارج البيت هو مزيد
من الخطأ .

إن أكبر أخطاء المرأة فى المجتمع الإسلامى هى :

(١) الحماكة العمياء بغير تفرقة بين الأحوال عندنا وعند الأوربيين .

(٢) الصور المتحركة التى تعرض لنا كل يوم مفائق الحياة الغربية على
نحو يراد به الإغواء وفيما يراد به التعليم والتهديب .

(٣) انتقال الآلوف من أبنائنا إلى أوربا يعيشون هناك من غير رقابة
ولا تقييد بالخلق الإسلامى .

(٤) القراءة الرخيصة التى يصح أن يقال فيها ما يقال من أن الردى فيها
يطرد الجيد من الأسواق .

(٥)

لقد تكشف فى السنوات الأخيرة تحولات خطيرة فى قضية المرأة فقد
أخذت المرأة تفكر فى العودة إلى البيت وهنا نجد أمثال مصطفى أمين
وجماعة التغريبيين والشعوبيين يسارعون إلى معارضة هذا الاتجاه وعمل كل ما
وسعهم إلى اداعة الاستهتار والتدمير ولذلك نجد مصطفى أمين يحضن جماعة من
المهاجمات فى تكوين حزب جديد للدعوة إلى منع عودة المرأة إلى البيت
والسخرية بالراغبات فى الحجاب وتشجيع المتطرفات والمتدفعات نحو الفساد
والانحلال .

ولارب أن عودة المرأة إلى مفهوم الإسلام فى السنوات الأخيرة
وما تبعه من تحول خطير فى لباس المرأة وفى عاداتها قد أحدث ظاهرة
جديدة وصفها دعاة التغريب بأنها تحول خطير وظاهرة خطيرة تهدد
المرأة . وهى فى نظرم عودة إلى الحريم وعدم لمهاد ضخم قام به دعاة

السفور والانحلال خلال أكثر من خمسين عاما فكيف لا يوصف بأنه يهدد على المرأة ولو انصفوا لقالوا انه عودة إلى الفطرة ، وإلى طبيعة الامور ، وأنه اتجاه في الطريق الصحيح ، وإذا كانت المرأة في الغرب قد أخذت تتجه إلى البيت بدافع من عوامل اجتماعية واقتصادية ولا يعاب عليها ذلك فلماذا يعاب على المصرية والعربية والمسلمة ، إذا هي عادت إلى الاصل بدافع من الإيمان بدينها ومن التزام أمرها .

والاحصائيات تقول أن ٥٢ ٪ من نساءنا العاملات يرغبن في العودة إلى المنزل لرعاية أطفالهن ، بينما نجد من الخطايا الكبرى لإصرار الرجل على أن تعمل امرأته ، وإلى أن لا يتزوج إلا امرأه تعمل غير مقدر للمساءة الكثيرة التي تلحق به من جراء وهم كبير هو أن يكون لزوجته مورد ، يمد يده إليه ، مع أنه من العار أن يحدث ذلك ، وأن من الشرف أن يعيش الرجل بمرتبه ومهره وانه يبارك فيه عيادام من حلال مع تجنب أسباب الترف السكاذبة والفسادة التي يجري اتفاق المال فيها وهي ليست من الحاجات الضرورية أو اللازمة .

إن المرأة العاملة الآن بعد أن رأت كيف تتمتع في المواصلات وفي العمل وأن ما تحصل عليه يضيع بين ملابس ومصاريف انتقال وتفاهات ليست أنثى في العيش ، فهي التي تتحدث الآن على أن العمل لم يعد مغريا للمرأة وأن بقائها في المنزل ولو بموارد أقل هو أشرف وأكرم .

وقد وضع أمام المرأة المصرية اليوم - كما يقول تقرير المركز القومي للبحوث الاجتماعية - أن التقصير في رعاية الأبناء هي المشكلة رقم (واحد) في حياة ٨٣ ٪ من النساء العاملات .

وقال البحث أن نوعية الفتاة المؤيدة للعودة إلى البيت كلهن من ذوات المستويات التعليمية العليا والاجود المتوسطة وقد تبين أن أجور المرأة تضيع في سد احتياجات كلية للحفاظ على مظهرها واستخدام وسائل للنقل أكثر تكلفة أو الاستعانة بالشغالات .

وقد تبين أن القيم المضللة التي طالما دعا إليها مصطفى أمين وإمينة السعيد

كما يسمى حصولها على استقلالها الاقتصادي أو تحقيق توازيمها النفس والاجتماعي وتنمية شخصيتها ، كل ذلك لم يجد أى صدى لدى أفراد المجتمع من النساء أو الرجال .

وقد تبين للمرأة أن الحاجة الضرورية التي تمس حياة الأسرة بشكل مباشر هي تربية الأطفال وأن العمل أصبح يؤدي إلى الارهاق نتيجة الجمع بين العمل داخل البيت وخارجه والاختلاط ومشاكل المواصلات والتفكير في رعاية الزوج والتفكير في الأسرة .

وقد أشارت إحدى العاملات اللاتي تركن العمل بأن هناك تعارض بين عمل المرأة ودورها كأم ، وذلك بسبب النظرة المتعارفة إلى دورها الأدبي ، باعتبارها دوراً متخلفاً لا يليق بالمرأة المثقفة والمتعلمة أن تتفرغ له مؤقتاً وحتى وأن تحول الطفل إلى الضحية رقم (واحد) لهذا التعارض الغريب فإن سمعت المرأة هذا التعارض لصالح العمل اتهمت بالأنانية وبأنها تعيش حياتها العملية وطموحاتها على حساب أطفالها ، وأن سمعت لصالح تربية الطفل اتهمت بالرجعية والارتداد إلى عصر الحريم . ونحن نرى أن الأصالة والكرامة والإيمان بالله يدفعها إلى التضحية بالمظاهر التافهة وقبول رسالتها الحقيقية في بناء الطفل والأسرة .

الفصل الثالث

احتواء الأجيال الجديدة

كانت خطة احتواء الأجيال الجديدة وصهرها في بوتقة التفرغ من أهم الأهداف التي حرص عليها النفوذ الأجنبي في مراحلها المختلفة : مرحلة الاحتلال ، مرحلة الاستقلال التام ، مرحلة ما بعد ذلك ، ذلك أن الشباب هو عماد القوة المضاربة في الوطن الإسلامي الكبير ولذلك كانت المؤامرة على احتواء جيليت وجوده وكيانه مرتبطة بالتعلم والثقافة والصحافة ووسائل التسلية .

ولقد كانت الغاية الأساسية هي إبعادنا عن عقيدته وأخلاقها وتكره لوطنه ولغته وتاريخه .

واللهي المراجعة اليسيرة لإحدى مواد الماسونية : وهي أن السيطرة على الشبيبة هي أول غاياتها وأهدافها ، وما أوردته بروتوكولات صهيون من قولهم :

دعوا الكحول والفيووخ جانباً وتفرغوا للشباب بل تفرغوا للأطفال فإن الانطباعات الأولى لا تنسى ، وعليه يجب أن تبنى تلك الانطباعات على أساس أفكارنا (أي أفكار الماسونية) ولا بد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين .

ولقد قامت الصحافة بدور خطير في هذا المجال ، كما قامت الثقافة بترجمة القصص الجنسية المكشوف والمؤلفات الاباحية والنحرفة ، وجاء التعلم مفرضاً من القيم والالتزامات ، ولذلك فإننا نرى وبحق أن محاولة احتواء الأجيال الجديدة هي من أكبر العقبات في طريق النهضة ، والانتقال من اليقظة الإسلامية إلى الإصالة والرشد للفسكري ، ولئن علينا واجباً لا يحيد عنه هو قطع الطريق أمام هذه الأفكار الضالة . وعلى الشباب المسلم ألا يكون أمة غافلاً يستمع لكل ناعق ، ويصدق كل دهن ، ولا ويب أن الإيمان والعودة إلى الله

والتمسك بالقيم الروحية والاعتدال بعيداً عن الشطط والانحراف والتعصب والتطرف مع الإيمان بأن والإانة في فهم الأمور وتقليبها هي أهم الاسس لبناء الانسان المسلم والطريق الوحيد لحل كل القضايا والمشاكل والمعصلات ولا بد من هودة الام إلى حماية كيان الأسرة وتقديم حنانها لابنائها ؛ ولا بد من اقتناع الشباب المنساق وراء الانحراف العقلى أو الجهنسى ؛ حيث يجد مغريات التمزيب بأن الإسلام يملك البديل الذى يضعه في مكانه الصحيح وأن البديل الإسلامى — والمبدأ الإسلامى كما يقول الاستاذ أبو بكر القادري هو الاحق والابقى والأفضل عند مقارنته بالبدائل والمبادئ الوضعية الأخرى .

وعلى كل حامل في الحقل الإسلامى أن يكون صدره رحباً واسعاً وأفقه عالياً وتصوراته للإسلام حقيقية لأن مهمة الدعوة إلى الإسلام تتطلب إلى جانب المعرفة والاطلاع نوعاً من الصبر والتسامح حتى يكسب من يناقش ويحاور وخصوم الإسلام يرغبون في أن تخطئ. وتتحرف حتى تفسد المهمة ، فمليناً أن تتمسك بالإانة والحكمة حتى تسد الطريق أمام خصوم الإسلام الذين لا يريدون له أن يتقدم .

وإني أنصح بما ينصح به الدعاة الأبرار ، إن على الشباب ألا يستعجل الأمور قبل تمامها ولا الثأر قبل نضجها ، وإن عامل الزمن ضرورى لانضاج هذه البقطة بما يوفر لها من كتابات علمية تصهر عاطفة الشباب وتربهم على حسن التأني للأمور وعلى السير مع روح الإسلام نفسه وليس من المواطنين العارضة ولا مع استعجال الأمور قبل أوانها .

(٢)

على جيل شباب الله أن يعلم أنه لا يستطيع أن يبدأ من فراغ ولا بد أن يبنى على الاسس التى قدمها له جيل الآباء ، وأن يعلم أن اللوهمية وحدها لا تكفى وأن الرغبة لا تفي ، وأن الأمر يحتاج إلى معاناة ودراسة وعلم ونفاذ ؛ وإنه لا بد من الاسلوب العلمى لتصبح أشواق النفس صوراً مقبولة ورسينة

وأن الأدب لا يمكن أن يكون إلا في مستوى الأصالة والبيان العربي وإن على الأجيال الجديدة أن تصحح مسيرة من قبلها وذلك بتوسيع الطريق الضيق ، والعمل على مستوى الفسكرة الجامعة بعد أن دانت هذه الأجيال في مجال قاصر هو مجال الأفليمية والجزئية والإلشطارية التي فرضها النفوذ الأجنبي .

ولا بد من تأمين العلاقة بين الآباء والأبناء بالحنان والرعاية من جانب الآباء وبالشفقة والولاء من جانب الأبناء ، ولا بد أن تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس المفهوم الإسلامي الأصيل : على أساس (القوامة) التي جعلها الله تبارك وتعالى للرجل وعلى أساس الإيمان بأن مهمة المرأة الأولى والكبرى هي رعاية الأسرة وحماية الطفولة :

إن حماية هذا الثبت الجديد هو أكبر المطالب ، ولما كان الأب يعمل والام تعمل أصبح الابن قائما تتلقفه الأندية التي يشرف عليها قوم غير ذي خلق والى تتعظم فيها كل القيم ، أو دور السينما والمسارح ، التي تقدم مسرحيات هازلة سائرة من كل مقومات أمتنا وعقيدتنا فقد ارتبطت تجارة الحب والجنس مع صناعة السينما ونموها بهدف إفساد عواطف الشباب في هذا الجيل وتقديم المفاهيم المنحرفة في مجال العلاقات بين الرجل والمرأة والأب والأبناء . وليس أدل على ذلك مما يقوله خبراء متخصصون عن أن الفن لم يعد وسيلة ترشيد وإنما وسيلة اضحاك حيث يقدم موضوعات تافهة وسطحية ، تحرق كل مقومات الأمة ، وتعطى الشباب الفض صورة تجعله يكره أمته ولا يرى لها مجداً يتحدث عنه ، فما هنالك من تاريخ تعرضه السينما للتاريخ الزانيات والرافعات والفوازي والنشالات أمثال رياوسكينة ووداد الفازية .

وقد حققت موسسة السينما ١٩٧٢ ستة ملايين جنيه خسارة ، ذلك لأن عدداً كبيراً من الأفلام التي تم إنتاجها بواسطة المؤسسة تكلفت مبالغ ضخمة لتحقيق أغراض سياسية دعائية مثل عزام السكرتك ، معسكر البنات ، الخروج من الجنة ... الخ .

وقد أغار علماء النفس إلى خطورة ما يعرض في على الشاشة الصغيرة من تزييف

الحقيقة ، وتخدир العقول ، ونشر وسائل الجنس والجريمة حتى أن أحد الخبراء العالمين قال : أن التلفزيون قوة لا أخلاقية تساعد على إضعاف القيم الدينية ، وإن المعهد الدولي للصحة العقلية بناء على دراسة ٧٣٢ حالة استغرقت خمس سنوات أعلن أن مختلف التصرفات العدوانية من الأجيال الصغيرة واشتداد نزاعهم مع الآباء والأمهات ، فقد تملوا الكثير من الجنس من خلال التلفزيون أكثر من أي مصدر آخر ، كما أن التلفزيون ينبه الأطفال وينشر العادات السيئة بالتركيز على لجوء الأطفال إلى المسلسلات ، ومعظم الشباب الصغير يقضون من عشرة إلى ١٥ ساعة أمام التلفزيون . ولهذا يفوق عدد الساعات التي يقضونها في مدارسهم .

ومن هنا فإن هذه الأجيال تتميز بانخفاض الكفاءة العلمية ، فهي أجيال غير قادر على القراءة والكتابة أو إتقان العمليات الحسابية ، وأن من أخطر أخطار التلفزيون أن عملية المشاهدة تخلق بالتدرج موقفاً سلبياً أو عاجزاً عن الأداء الإيجابي الجيد في أغلب الأشياء ، وهناك خطورة ظاهرة وسلبية للمشاهد ، وهي تهدد بأجيال أقل كفاءة من الناحية العملية .

وأشارت الأبحاث إلى أن المسلسلات والأفلام التلفزيونية تثير الجانب الذي يمتحن بالاستجابات العاطفية أكبر من الجانب المتخصص بالتحليل والتفكير وإتمام الأعمال ، وأن تتابع الصور التلفزيونية له تأثير مخدر على العقل . وقال باحث نفسى : إن السيئنا تنسرب إلى ماتحت الجلد في اللاوعى حتى يمكن أن يقال أن السيئنا هي أفيون الشعوب ! وهى عملية مخدرة فإن هؤلاء الذين ضاعت آمالهم ، يحاولون أن ينسوا الملل الذى يثقل حياتهم فيفرون إلى السيئنا لرؤية مغامرات فلان وفلان ، وهو علاج وقى لا قيمة له . بدلا من أن يلجأون إلى الأسلوب العمل الذى يوصى به الإسلام وهو معالجة المشكلة واستئناف طريق جديد للعمل .

(٣)

إن كل محاولات وسائل الثقافة والصحافة والقسية ترمى إلى أن تشد الشباب نحو التيه ، فهي تحرمه من معرفة البطولات القومية وفضل إيمته على الحضارة الإنسانية ، أو بناء شخصيته بأداء اللغة الفصحى ، أو معرفة العلوم الإسلامية التي هي بلا شك أكثر نفعاً من دراسات الفلسفات المادية والوثنية والإباحية التي تطرح على شبابنا في الجامعات وفي الصحف ، كذلك فإن هناك محاولات لتفريغه من الثقافة ، ودفعه في طريق أهواء النفس والرغبات الجفسية والانحلال .

وهناك مغريات خطيرة ، منها جنون الكرة ، هذه الظاهرة التي فرضت نفسها على المجتمعات ، بديلاً للصراع الحزبي السياسي ، وهي عملية تقتل الفراغ الذي يمكن أن يستغل في أعمال إيجابية نافعة لبناء الأمة .

وهناك فوضى الفيديو كاسيت التي تفسد الشباب بأن تقدم له أفلاماً جنسية صارخة هي بعيدة الأثر في النفسية الشابة سواء بالنسبة للأنباء أو الفتيات فهناك خطورة شديدة في عرض شرائط الفيديو في بعض المقاهي والاماكن ؛ والبيوت .

هذا بالإضافة إلى القمار والمخدرات والمال الحرام .

ولقد ترددت في السنوات الأخيرة مسألة حقن الماكسون فورث المخدرة والحبوب التي أصبح الحصول عليها أسهل من الحصول على أقراص الأسبرين : ومعنى هذا أننا نورد شبابنا - الذي هو عدة مستقبلنا مورد الشطط ونحطم هذه القوة التي تمثل الآن أكبر من ستين في المائة وأن هدم هذا الجيل يعني أن يشوه مستقبل هذه الأمة تشويهاً خطيراً ويكون منطلقاً لغزو من القوى الطامعة وهو هدفها من هذا العمل في الحقيقة .

(٤)

ولذلك فإننا يجب أن ندعم الوجود المؤمن بين الشباب الذي ظهر على الأرض الطيبة ، ونحميه من دعاة السوء الذين يريدون اقتلاعه ، نريد أن تخرجه من دائرة البحث حول هوامش الفقه ، والمسائل الفرعية المختلف عليها ، ليقترن المجال الأوسع والحقيقي ، وهو مجال تحرير العقيدة من الشبهات المثاره في كل مجال من مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والترفيه ، فإن هذا التوقع في دائرة المسائل الفقهية المتعلقة بالزنى والاحية وغيرها — بالرغم من أهميتها — من شأنه أن يصل إلى غاية يفهم منها أن الإسلام دين عبادة ، نعم تحرر مطالبون بتحرير مفاهيمنا في العبادة ولكن نحن أيضاً في حاجة إلى أن نعيش مفهوم الإسلام كاملاً ، عقيدة وعبادة وأخلاقاً وأن نضفي صفة الأخلاقية (التي هي الالتزام الأخلاقي) على جميع المعاملات والعلاقات في حياتنا ومجتمعنا ، بالنسبة لكل إنسان وإنسان آخر في العمل أو السوق وبالنسبة للرجل والمرأة وللزوج والزوجة وللأب والابن فإن مهمة هذا الجيل الطبيعي الذي يرغب في أن يعمل رسالة بناء المجتمع الإسلامي تتطلب التطبيق العملي لهذه القيم الأساسية في المحيط الضيق : محيط كل أسرة أولاً على نحو محكم ثم منه إلى التعامل مع المجتمع العام .

هذا العمل من شأنه أن يقدم اقتناعاً حقيقياً بأن بناء هذا المجتمع الإسلامي يجب أن يقوم به أهل المؤمنون به ، وأن عليهم أن يتمكنوا بالعزيمة والاصرار على رفض كل ما يحول دون قيامه ، عليهم أن يرفضوا كل عناصر الفساد الموجودة في المسرح والقصة والتلفزيون والشارع ، وأن يحرصوا على أنفسهم وأولادهم من أن ينصهروا في بوتقة هذه المفسدات التي تحاول أن تقصيهم على مفهومهم الصحيح لعبادة الله وإقامة العلاقات الإسلامية الصحيحة بينهم وبين غيرهم على أساس التقوى والإيمان .

إن العمل الأول هو بناء « القدرة على الانصراف عن كل وسائل الإغراء والانحراف » ، والذائد والمطامع والمغريات ، دون أن يصرفهم هذا عن دورهم في الحياة الشريفة القائمة على الحلال والاستمتاع بحقوقهم المشروع فيها ، (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

وأن يكونوا على حذر كاف وبصير بعبء بما يمكن أن يحدثه ذلك الاستسلام الضعيف العاجز لسكل ما يدور في المسلسلات من أحاديث غواية أو من رقص ، أو من غناء أو من سلاسة فاجرة وأن يكون نفس الشيء في التعامل اليومي مع الناس ، الذي قوامه القدرة على الانصراف عن المحرام ، والوقوف عند حدود الحلال في الكسب والمطعم والتعامل .

ولا بد أساساً من المحافظة على نقاء الفطرة حتى تكون قادرة على الاتجاه نحو الخير ، أما هذا الشر الذي نجده بين طوايا المجتمع ، فنحن لسنا مطالبون بالخوض فيه ، ونحن قادرون في نفس الوقت على تجنبه .

فنحن لا نرفض المجتمع بل نتعامل معه ونصل به بالقدر الذي تتحقق به مطالبنا وعلينا أن نذود عن أنفسنا وعن بيوتنا وعن أبنائنا وجوه الضلال جميعاً ، ونحول دون انقمارها ووصولها إلى بيوتنا ، وأن نكون قادرين على معرفة تلك الفلسفات السوداء التي تبرر هذا الفساد وهذا الأثم فنردها ونحضرها ونكشف زيفها لا بنائنا يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

وأن تؤمن إيماناً يقينا بأن هذه الحياة ليست إلا ساحة معركة بين الخير والشر والحلال والحرام ، وأن الخير منها والحلال يحتاج إلى صمود وصبر واستمساك ، يقوم على أساس الاستعانة بالله تبارك وتعالى والخوف من حسابه ومن عقابه ، وأن تكون النفس منصرفة أساساً عن المطمع في المادة التي هي مصدر الاغراء في الوقوع في حبال الفساد .

هذه الطاقة الخلقية القوية القادرة على مواجهة الشر والحرام والنبل وهما تبنى مع الزمن . ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم . الصبر بالتصبر ، والاحتفال بالعمل .

وعلياً أن نكون على حذر بما يلقى التغيير من نظريات ومذاهب فإن فيها قليل من الخير ولكن فيها كثير من الشر ، علينا أن نعرضها على ضوء الكتاب والسنة ؛ وأن نأفهم من الخير يوجد لدينا مثله واضعاً في تراث فكرنا وأن ما فيها من الشر فنحن في غنى عنه .

إننا نصدر أساسا من إيمان عميق وثقة أكيدة بأن السلامة في منهج الله تبارك وتعالى ؛ وأن الإنسان لا يستطيع أن يقيم منجها لنفسه خالبا من أهوائه ومطامعه ؛ ولا بد للإنسان من منهج رباني لتنظيم حياته ، هذا المنهج هو الذي يهديه إلى الحق في كل لحظة .

إننا مطالبون بأن نطبق في أهلنا حكم الله وشريعته ؛ فلا نقبل غير العلاقة التي أحلها الله ؛ وأن نطبق في تعاملنا مع الناس قانون الحلال والمحرام فلا يقبل غشاً ولا رشوة ولا ربا ، وأن نقيم بين الآباء والأبناء تلك العلاقة الكريمة ؛ علاقة الوفاء والعرفان من الولد وعلاقة الرحمة والتوجيه من الوالد كذلك فلا تهرم هذه المظاهر البراقة من متاع الدنيا القليل الباقى ؛ ويمكن الإنسان المسلم أن يعمل في الحلال وأن تكون موارده قليلة ومباركة فهو ينفقها على أهله ويؤدي منها الزكاة .

(٥)

إن أقوى سلاحين في يد الشباب لمواجهة التحديات :

(١) الاعتصام بالإيمان بالله ويحقق ذلك في نفسه وبيته وأهله .

(٢) التمسك بالطاقة الخلقية أمام موجات الفساد والانحراف .

(٣) التعامل مع المجتمع على أساس الحكمة والموضطة الحسنة ، بعيدا عن

كل أسباب العنف والتعصب أو الانحراف أو فرض الرأي .

وأن المسلم يستطيع أن يقوم في بيته وعمله على أساس أخلاقيات الإسلام بحيث لا يخضع للفساد الموجود في الشارع وفي وسائل الإعلام ، سيما مع التحرر من المطامع الصارخة في الوصول إلى المحرام سواء في المال أو في الجنس ، وأن يستحل إذاه قبول المال المحرام والكسب المحرام .

وأن يصطلع الشباب المسلم آداب الطعام واللباس وآداب المجالس والرفاق وفق توجيهات الرسول ﷺ .

وذلك كله يرمى إلى « تغيير العرف » العام المنحرف الذي صنعتته قوى التغريب والعودة إلى أعراف الإسلام الأصيلة .

(٦)

أن هناك صيحات عالية الآن تتحدث عن الخطر الذى يواجه الطفل المسلم الذى يعانى من إشغال الأسرة عنه نتيجة خروج المرأة للعمل وانغماس الآباء فى دوامة الحياة اليومية ، وحيث لا يجد دور الحضانة الإسلامية التى تتعبد بالرعاية كما لا يجد المدرسة الإسلامية التى تقوى صلته بدينه وأخطار ما يفقده الطفل المسلم هو (القدوة) التى يقتدى بها فلا يجد أمامه إلا معلمين هازلين ، وآباء مشغولين. وأمّهات لاهيات ، والمثل الأعلى الذى تقدم له الصحف ووسائل التسلية هو الممثلين والراقصين ولاهبى الكرة بانحرفاتهم وكتاباتهم المائعة ، وحركاتهم الزائفة .

إن حاجة الطفل الحقيقية هى فى الحنان والبسمة والنظرة الحانية التى تقدمها الأم حينما يمد حين الرعاية والسؤال والمتابعة التى يقدمها الأب ، وكيف والأب معقول فى عمل لا يطمع من ورائه إلا تحصيل المال من أى طريق ويكتفى بأن يقدمه لزوجه وينسى مسؤوليته عن التوجيه اليومى المستمر .

وإذا فقد الطفل قدوته فى الوالدين ، فأين يجدها ، أن المعلم فى المدرسة لا يستطيع أن يقدم هذه القدوة لأسباب كثيرة ؛ كذلك فإن الشارع لا يقدم هذه القدوة مع الأسف .

الباب السادس

القانون الوضعي والاقتصاد الربوي

- الفصل الأول : نازيخ القانون الوضعي .
- الفصل الثاني : ما يؤخذ على القانون الوضعي .
- الفصل الثالث : عقبات في طريق التطبيق .
- الفصل الرابع : مؤامرة تطوير الإسلام .
- الفصل الخامس : الاقتصاد الربوي .

امتدت خطوات تدمير المجتمع الإسلامى فى هذه ميادين ففى لم يتوقف عند تدمير المجتمع والمرأة والأسرة والطفل، ولكنها مضت إلى إفساد التعليم والثقافة والفن ووسائل الترفيه والتسلية المساجد (المسرح والسينما والأغاني).

وامتدت خطوات تدمير المجتمع إلى ميدانين آخرين غاية فى الخطورة هما القانون والاقتصاد. أما فى مجال القانون فقد حجبت الشريعة الإسلامية منذ بدأ النفوذ الغربى سيطرته على مصر والبلاد الإسلامية وحل محله القانون الوضعى، كذلك فقد فرضت المصارف الربوية ووجه الاقتصاد فى البلاد الإسلامية وجهة مخالفه تخضع للربا والفائدة وسيطرة الغرب عليه سيطرة كاملة ومن ثم أصبح القانون الوضعى والاقتصاد الربوى من أكبر العقبات فى طريق النهضة الإسلامية.

أن أخطر ما فى هذه المعوقات أنها فرضت على الأمة الإسلامية وما كانت من اختيار الأمة أو رغبتها فقد كانت الأمة تسير فى نهجها الرئى بشريتها الربانية ونظامها الاقتصادى الرحيم حتى خلعتما عنهما القوة التى سيطرت على الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامى.

واليوم وبعد أن انقضى أكثر من قرن من الزمان منذ الاحتلال البريطانى لمصر فالتناحى نستعرض الموقف نجد أن هناك خطوات جديدة بطيئة نحو الأصالة والرشد الفكرى ولكن الموقف مازال فى حاجة إلى جهد ضخم فى ظل الصعوبة الإسلامية خلال مطالع القرن الخامس عشر الهجرى.

الإسلام دين ودولة

إن كون الإسلام دين ودولة ونظام حكم ومنهج حياة لبناء مجتمع قضية أساسية فى فهم الإسلام والإيمان به. غير أن النفوذ الأجنبى حاول التشكيك فى هذه الحقيقة وإثارة الشبهات حولها منذ اليوم الأول لتدخل الاستعمار الغربى فى البلاد الإسلامية بهدف فرض القانون الوضعى وهدم القانونى القضائية الإسلامية، وإقامة القضاء الوضعى، وذلك بهدف تفريغ الإسلام من قوته الأساسية وهى (الحكم) الجبلولة دون بناء المجتمع على أساس المنهج الربانى فى السياسة

والاقتصاد والتربية وغيرها . وكان الهدف الاساسى هو هدم الخلافة الاسلامية وتمزيق الوحدة الاسلامية ، ومن هنا ظهرت كتابات التفريريين التى حاولت أن تشكك فى هذه الحقيقة وفى مقدمتها كتاب الاسلام وأصول الحكم للشبغ على عبد الرازق وما كتبه أمثال خالد محمد خالد (وقد رجع عنه) وعبد الحميد متولى ومحمد عمارة ومحمد خلف الله .

وفى سنوات المد الشيوعى أولى الماركسيون اهتماما كبيرا بهذه القصة فأعادوا نشر كتاب على عبد الرازق وكتبوا له مقدمات واسعة وظهر أخيرا كتاب الاسلام والسلطة الدينية لمحمد عمارة ونرى الآن كتابات خلف الله ، وحسن حنفى ، وأحمد بهاء تشكك فى هذه القيم الأساسية وكذلك ما كتبه توفيق الحكيم عن تطوير الاسلام .

وقد أولى هؤلاء العلمانيين بعض العبارات لتفسيرها على الهوى الذى يطامعون فى أن يحققه ومن ذلك عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم (أنتم باعلم بأمر دنياكم) وهى لا تعنى مطلقا أن يصبح الاسلام دين صلاة وعبادة وأن يأخذ المسلمون ايدولوجيات الغرب فى شئون الحياة السياسية والاجتهادية والاقتصاد وإنما تعنى معنى التخصص الذى يركل أمره إلى العارفين فى كل فن من فنون الحياة ، كذلك فإنهم يستعملون عبارة مبهمة هى : اختلاف الاحكام باختلاف الأزمان وهذا فى أمر الفروع والتميزات ولكنه لا ينطبق على الثوابت وهى الحلال والحرام . ولا يمكن أن نفسح الطريق لافترار الربا أو الخمر أو الزنا ويغيب عن هؤلاء أن مفهوم الاسلام ربانى المصدر واسع الاطر ، وأن له ثوابته ومتغيراته ، وإن هذه الثوابت من الحدود والضوابط والأخلاق لا تتغير بتغير الأزمان والبيئات ، وأن موضع الاجتهاد هو جانب المتغيرات مما لم يرد فيه نص ، وأن الاسلام فى ذلك يختلف عن المناهج الدينية الغربية أو الايدولوجيات البشرية التى تحتاج إلى تعديل وتحوير وإضافة وحذف لعدم قدرتها عن مواجهة متغيرات العصور ، ليس الاسلام كذلك .

الفصل الأول

تاريخ القانون الوضعي

ثلاث حوادث أساسية دهمت البلاد أدت إلى تغريب شامل للقوانين المصرية :

(١) الإصلاح القضائي في عهد الخديو توفيق ١٨٨٢

وبه استبدل بالشريعة الإسلامية قوانين وضعية تحكم الأوضاع الكبرى هي : القانون المدني ، وقانون التجارة ، والقانون البحري ، وقانون المرافعات المدنية والتجارية وقانون العقوبات وقانون الاجراءات الجنائية .

وانشئت تبعا لذلك محاكم على النظم الاجنبى ولم يبق للشريعة الإسلامية إلا دائرة ضيقة : هي دائرة الأحوال الشخصية والوقف .

(٢) قيام ثورة ١٩١٩ وصدور دستور ١٩٢٣ :

وهي ثورة قامت على الأصول الإلحادية التي اعتنقتها الثورة الفرنسية ١٧٨٩ وسميت باسم الديمقراطية الحرة أو (الليبرالية) وقنن دستور ١٩٢٣ هذه المبادئ التي تنص خلافا لما يقرره الإسلام - على الحريات المطلقة وبخاصة حرية العقيدة الدينية ، فصارت الدعوة إلى التبشير مباحة ، وصار ارتداد المسلم مباحا ، واحتجبت الأصول الدستورية الإسلامية من الأذهان فمن قائل أن الانتخاب هو البيعة الشرعية ، ومن قائل أن قيام البرلمان بالتشريع هو من قبيل الشورى ومن قائل أن الإسلام يرتكز على الأساس الديمقراطي .

(٣) قيام حركة يوليو ١٩٥٢ واتحادها المبدأ الاشتراكي الذي أسفر - كما أعلن السادات - عن فشل كامل أو فشل مائة في المائة حسب تعبيره ، فقد أفضى بنا إلى الإفلاس في الداخل والخارج وإلى ظهور مراكز القوى الطاغية التي ذافت منها البلاد الأمريين حتى صفت في ١٥ مايو .

هذا المبدأ الاشتراكي أشد خطراً من النظام الديمقراطي الحر فهو ينكر وجود الله ويرغم أن الاقتصاد هو الذى يصنع التاريخ .

ومن هنا كان القضاء المبرم على المكانة الضعيفة التى تركها النظام الوضعى الجديد للشرعية الإسلامية وذلك كصدور قانون الأحوال الشخصية ١٩٢٥ وقانون الوصية وغيرها وإلغاء المحاكم الشرعية ١٩٥٥ وتعديل نظام الأزهر ١٩٥٦ (مصطفى كمال وصفى) .

(٢)

ظاهرة اللاتينية : فى العالم الإسلامى بدأت بحركة مصطفى كمال أتاتورك التى استهدفت إلغاء الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقانون الوضعى من ناحية وإسقاط الخلافة الإسلامية التى كانت علامة تجمع بين المسلمين وكانت ظاهرة اللاتينية التى قامت فى تركيا من صنع النفوذ الأجنبى وكانت موضع حفاوة من الثوريين فى مصر والبلاد العربية ، ولكن سرعان ما استطاعت حركة البقطة الإسلامية أن ترفع عقيرتها بالدعوة إلى العودة إلى الشريعة الإسلامية والأمل فى إعادة الخلافة الإسلامية وبعد سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ من أكبر الطغمت التى وجهت إلى قلوب المسلمين ، وجاء ذلك على أثر رفض السلطان عبد الحميد بيع فلسطين لليهود وتهديد الزعيم اليهودى (فراصو) رئيس المحفل الماسونى فى سالونيك للخليفة وقوله :

سترى كم يكلفك هذا الرفض .

وقد جاء إسقاط الخلافة بعد إعلان وعد بلفور ١٩١٧ بوضع سنين :

وقد بدأ الانزلاق هذه التجربة بعد مصر فقد أخذ الانزلاق بقانون سويسرا المدنى وقانون الجزاء الايطالى ، هذه القوانين كانت بعيدة عن عقليّة المسلمين وذوقهم ومنازعهم ومشاربهم ، قال مصطفى كمال : نحن أمة عصرية يجب أن نكون عصريين مطابقين لأحوال الزمان لا للبادى والتقاليد .

والواقع أنه ليس فى هذه القوانين ما يتفق مع الزمان والمكان وفوق بين

تركيا من ناحية وبين سويسرا وإيطاليا ، وكان أخطر ما في ذلك قبول هذه القوانين دون تعديل أو تنسيق مع أحوال البلاد فضلا عن أن القوانين الأوربية متأثرة بالتعاليم المسيحية والتشريع الروماني فهي تحتوي على مبادئ دينية ، أما الفقه الإسلامي فليس مشتقا من الفقه الروماني ، وهو من تدرج مذاهبه اكل تطور وهناك قاعدة الضرورات تبيح المحظورات .

ولقد حقق التغريب في تركيا (دولة الخلافة الإسلامية) هدفين كاملين :

١ - إلغاء تطبيق الاسلام كلية وعموما معاملة من القانون والدولة والتعليم والثقافة .

٢ - إلغاء اللغة العربية كلية من الكتابة التركية والكتابة بالحروف اللاتينية .

(٣)

كانت فكرة علي عبد الرازق في كتابه (الاسلام وأصول الحكم) مخالفة لخالفه صريحة لمفهوم الاسلام الصريح الواضح ، فقد أنكر أن الشارع الاسلامي قد تدخل في أمر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية أو وضع قواعد وستأ متعلقة بالتجارة والزراعة أو الصناعة :

يقول الدكتور محمد البرازي : إن هذا الانكار لانحلال لنا مرتكزا على دليل بل يترأى لنا أنه مخالف للحقائق الراهنة ، ويكفي أن نحيل النظر في القرآن وكتب الاحاديث النبوية حتى نجد الآيات العديدة والفصول الطويلة التي تنجس في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية . قال علي عبد الرازق : إن كل ما جاء به الاسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فإنما هو شرع ديني خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينية لا غير ، ولو أننا أخذنا بنظرية علي عبد الرازق لذهبت بنا إلى حد الغرض الذي يرمى إليه صاحبها ، ذلك الغرض الذي هو عبارة عن التفريق بين الامور الروحية والدينية وترك المسلمين احراراً ينظمون مجتمعهم كما يشاءون وحسب ما تقتضيه حاجات الزمن وشئونهم

السياسية والاقتصادية والاجتماعية دون أن يكونوا مضطرين للرجوع إلى النصوص الموجودة في القرآن والحديث ، ولعمري الحق لو اعتبرنا أن جميع ما نص عليه المصنفين من الأمور الحقوقية والاجتماعية هو ديني روعي خالص له وحده ، كنا حينئذ مرغبين على أن لا نتعرض لها بأقل تعديل أو تكييف بمقتضى حاجات الزمن هذا وما يرضى عنه صاحب (الإسلام وأصول الحكم) لأن الأحكام الدينية المحصنة أو المعتقدات يبحث أن تبقى سالمة كاملة لا يمسها أدنى تعديل فلا مندوحة لنا أمام الأحكام الصريحة الواردة في المصنفين الذين ننحازهم العالم الإسلامي شريعة تزاوول كسائر الشرائع في الجملة البشرية ، كذلك فإن الإسلام لم يقتصر على الأكثرات للقضية الاجتماعية فقط بل أنه تطرق إلى بحوث العلاقات الاقتصادية .

والحقيقة أن دعوة الشيخ على عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) تعد كما يقول الأستاذ محمد المجذوب خرقاً خطيئاً في جدار الإسلام فتح الباب على مصراعيه للجملة من قادة الشعوب الإسلامية فاتخذوه منطلقاً لتخريب مجدهم وحجبتهم أن القائل بهذه التخريصات وأحد من خريجي الأزهر وأحد رجال القضاء في بلد الأزهر ، فرأيه في قضايا الحكم هو دون ريب رأى الإسلام . ومن هذا اتخذت القننة الجديدة طريقها الجزى إلى تقويض دعائم النظام الإسلامي في نطاق السياسة التي أصبحت منذ ذلك اليوم العوبة الطواغيت يقتنون عن طريقها في بيان المسلمين .

وقد أنتجت دعوة الشيخ على عبد الرازق مدرسة من الشعوبين الذين ينطلقون من هذا المفهوم الخاطيء ويحاولون أن يريفون مفهوم الإسلام الأصيل : بوصفه ديناً ودولة وقرناً ونظام حكم ، وهذه المدرسة التي أنشأت منها فهمى هويدى وأحمد بهاء وحسان عبد القدوس وتوفيق الحكيم وعبد العظيم رمضان ومحمد عماره وخلف الله

(٤)

خضعت مصر والبلاد الإسلامية لقانون نابليون أكثر من مائة عام وحجبت الشريعة الإسلامية وراء القانون الوهمي الذي فرض عليها ومرت خلاله ذلك

مراحل جرت فيها محاولات لتعديل القوانين ، ولكن صيغة القانونين على البقطة الإسلامية ، منذ الثلاثيات من القرن الميلادي كانت صادقة وعميقة وقد استطاعت أن تجد عدداً من المؤمنين بها من رجال القانون انفسهم ، فضلا عن إعتراقات رجال القانون الغربيين في مؤتمرات متعددة عقدت في سنوات ١٩٣٥ - ١٩٥٢ نشيد بالشرعية الإسلامية وتعتبرها مصدراً للقانون العالمي وأنها مستقلة عن القانون الروماني وأفضل منه .

ولكن القوى الاستعمارية ومن يؤكدها من رجال التعريب كانت عاملاً على ضرب هذا التيار والتيل منه فقد كانت إبرز أهداف التعريب العربي هو ضرب الشريعة الإسلامية والحيلولة دون تطبيقها وكذلك آذرت ذلك القوى الماركسية وذات الولاء الصهيوني ، وقد خطت الدعوة إلى تصحيح الموقف خطوات أهمها إنشاء جماعة تجلية الشريعة الإسلامية برئاسة المستشار عبد الحليم الجندى الذى قامت بأعداد القانون المدنى ، وقد عدلت مصر دستوراً سنة ١٩٧٠ بإضافه مادة (الشريعة الإسلامية مصدر أساس للقوانين) ثم صححت حتى أصبحت (الشريعة الإسلامية هي المصدر الاساسى للقوانين) .

وقد أعدت فعلاً أغلب هذه القوانين وهي لسيل مراجعتها من علماء الأزهرووضعها في الصياغة النهائية :

- ١ - قانون المعاملات المدنية - ١١٤٦ مادة
 - ٢ - قانون الاثبات - ١٨٢ مادة
 - ٣ - قانون القاضى - ٥١٢ مادة
 - ٤ - قانون العقوبات - ٦٣٥ مادة
 - ٥ - قانون التجاره البحرية - ٤٤٢ مادة
 - ٦ - قانون التجارة - ٧٧٦ مادة
 - ٧ - التشريعات المالية والاقتصادية (قانون الزكاه وخطر التعامل بالفائده ، وضريه التكامل الاجامعى .
 - ٨ - التشريعات الاجتماعيه والتأمينات
- (١٧٢ - طريق النهضة)

وأبرز ملامح هذه المشروعات أنها مأخوذة من الشريعة الإسلامية دون التقيد بمذهب فقهي معين ، مع التخصص على بيان الأصل الشرعي لكل نص من النصوص حتى يكون الرجوع إلى مراجع الفقه الإسلامي ، أما بالنسبة للعلاقات الاجتماعية والمعاملات المالية التي استحدثت ولم يتطرق إليها علماء الشريعة فقد بذل الجهد في استنباط الأحكام التي تتفق وطروفي المجتمع ، روح العصر بشرط مطابقتها لروح الشريعة الإسلامية وأصولها ومن أمثله ذلك معاملات البنوك والتأمينات وطرق استثمار المال (صوفي أبوطالب : يوليو - ١٩٨٣) .

وقال أسطفان باسيل : أنه عمل بالقضاء أكثر من عشرين عاما ويعلم أن الشريعة الإسلامية يجب أن يطالب بها المسيحي قبل المسلم لأنها ضمت كل ما فيه صالح البشر جميعا ، وهي بسماحتها لا تتدخل في شؤون الديانات الأخرى لأنها من عند الله سبحانه وتعالى .

كذلك فقد نبأت مجموعات رائدة من المستشارين والقضاة الذين سقوا ما يدعوم إليه أيمانهم في صددوا الأحكام وفق قوانين الشريعة الإسلامية ولم يتنظروا حتى تفقن القوانين الجديدة كذلك فقد كتب كثيرون مهم في موالات الشريعة وفي كشف فساد القانون الوصفي أمثال الاساندة حسن منصور ، فحى وإلى جمال المرصفاوى ، محمود نجيب حسنى ، أحمد فنى مرور ، مامون سلام ، يوسف قاسم ، حسنين عبيد ، محمد رشدى حمادى .

فالظاهرة الواضحة أن عشرات من القضاة ورجال القانون بوصفهم من رجل الاختصاص أصبحوا يتحدثون عن شريعة الله وضرورة عودة تطبيقها على المجتمع حتى تسير حياة المسلمين سيرتها الطبيعية : بقول المستشار حسن منصور : أن ما تتميز به الشريعة الإسلامية في مجال العقوبة هو بالنسبة للسام والمحكوم ، وأن القاضى الذى يصدر الحكم بالعقوبة يجد في عملة هذا أرضاء لنفسه وراحة لضميره لأنها دائما تستحضر عظمة الشارخ العيون وهو الله سبحانه وتعالى ، فهي مراقبة للحق وأمثال أمر الخالق وهو بذلك يخرج من دائرة المخطورات الثلاث : الكافرون ، الظالمون ، الفاسقون (الواردة في سورة المائدة) هذا بالنسبة للقاضى ، أما بالنسبة للمحكوم عليه فإن أداء العقوبة يؤدي إلى طهارته من

لخشاء الأمم الذي هوى إلى دركة . وبالنسبة للمجتمع فإنه سينعم بالأمن والاستقرار والطمأنينة .

هناك أعمال ضخمة من علماء القانون المسلمين المؤيدين للشريعة الإسلامية . في مقدمتها ما كتبه الدكتور محمد صادق فهمي (القاضي بالمحاكم المختلطة) الذي أخرج رسالة في الإثبات باللغة الفرنسية ١٩٣٣ ، وقد أولى الجزء الأهم لما قرره علماء الشريعة الإسلامية وعلى رأسهم شمس الدين بن قيم الجوزية في كتابه (أعلام الموقعين) .

كذلك فهناك الكتاب الضخم النافع الذي حرره الشهيد عن القادر عودة ، التشريع الجنائي في الإسلام، الذي ترجم إلى أكثر اللغات العالمية وتقرر تدريسه في الجامعات وهو أعظم مرجع كشف عظمة الشريعة الإسلامية في وجه القانون الوضعي في تفصيل دقيق في ثمانمائة صفحة يبهير الباحث بادلته وقوة منطقته .

كذلك فقد كتب المستشار علي منصور بحثه المطول .

• نظام التجريم والعقاب في الإسلام مقارناً بالقوانين الوضعية ،

المجلد الأول : عن (الحدود - القصاص - الديه) والمجلد الثاني (القصاص والدية في النفس وفيما دونها) .

ومنذ وقت طويل - وفي أبان الاحتلال البريطاني الذي كان يوسد للقانون الوضعي في مصر كانت هناك أعمال قانونية يتقدم بها مصريون إلى دوائر الجامعات الغربية تكشف عظمة الشريعة الإسلامية ، من ذلك أعمال عمر لطفى وعمود فتحى وبينما كانت النظرية الفرنسية هن (استعمال الحق) في أوج قوتها بفضل مؤلفات الأستاذ جو سران إذا بالاستاذ محمود فتحى يتتبع نشاط الشريعة الإسلامية خلال ستة قرون تقريباً بتلك النظرية التي تنقذ في مرحلتها الأخيرة إلى إقرار أربعة ميادين وأسحة الحدود لأساءه استعمال الحق أكثرها ذات طبيعة اقتصادية فيما لم توفق النظرية الغربية إلا في تحديد ميدان واحد من تلك الميادين .

الفصل الثاني

ما يؤخذ على القانون الوضعي

تحدث خبراء الشريعة الإسلامية والقضاة والمستشارون الذين عملوا في القضاء من الآثار التي ترتبت على تطبيق القانون الوضعي في بلادنا ويمكن استيعاب هذه الآثار في نقاط عدده :

أولاً : أخطر مفاصل القانون الوضعي هو هدم الاخلاق والقضاء على الاعراض فإن جميع الجرائم الخلقية سواء ما نص عليه قانون العقوبات أو في قوانين خاصة ، مثل جرائم الزنا وهناك المرض وتعاطى الخمر أو الاتجار فيها تفتح الباب واسعاً أمام فساد المجتمع ، فجريمة الزنا هي في الشريعة الإسلامية كل اتصال محرّم بين رجل وامراه سواء كان أحدهما متزوجاً أو كلاهما ، أما في القانون فهو خيانة العلاقة الزوجية ومن ثم فهو لا يقع الا من الزوج ، وقد اختلفت القوانين الوضعيه بشأن تلك الجرائم مذاهب ثلاثة :

(١) مذهب يعتبر الخيانة الزوجية فعلاً غير مؤثم كالقانون الانجليزي والقانون الروسي .

(٢) مذهب لإعتبارها جريمة يعاقب عليها دون تفريق بين الزوج والزوجه كالقانون الألماني .

ومن هذه القوانين الأخيرة القانون المصري نقلاً عن القانون الفرنسي ، وقد اختلفت جريمة كل من الزوج والزوجة لإختلافاً بيننا ، سواء في الاركان المكونة للجريمة ، أو في العقوبة فهي بالنسبة للزوج لاتزيد عن الحبس ستة أشهر بينما تصل بالنسبة للزوجه إلى سنتين .

ثانياً : ليس عيب القانون الوضعي محصوراً في جرائم الاخلاق على الزنا وحده

وأما هناك جرائم أخرى تكتفى منها بذكر جريمتين : (الأولى) هناك العرض إذا وقع برضا الطرفين فلا جريمة إلا إذا وقع الفعل على قاصر ولم تتجاوز سن الثانية عشرة ومعنى هذا أن الإنسان متى بلغ الثانية عشرة فهو حر في عرضه مع أنه يعتبر قاصراً في تصرفاته المالية الحاصلة قبل بلوغه سن الرشد وهو في الحادية والعشرون : أى أن القانون كان حريصاً على المال أكثر من حرصه على العرض .

أما الجريمة الثانية فهي جريمة الاعتياد على ممارسة الدعارة وهي جريمة لا تكمل إلا بالاعتياد على ممارستها وأن يكون ذلك مقابل أجر ورغم أن الدعارة جريمة تخضع لعنصرى العرض والطلب فإن القانون لا يعاقب : العاهر أو المومس إلا إذا تكرر منها الفعل . وكان ذلك لقاء أجر أى أنه لا عقاب على من ضبطت تمارس الفاحشة لأول مره ولو بأجر ، وكذلك لا جريمة ولا عقاب على من عرفت الفاحشة بل لا أجر لجرد المنفعة ، ولو تكرر ذلك عدة مرات وأخيراً فإنه لا عقاب على الرجل الزانى مع مومس مهما كانت حالته : أغرب أم تزوجاً أو غير محصن ، بل أن القانون يعتبره شاهداً في قضية الدعارة .

وقد أصبح واجباً بعد صدور الدستور في مادته التى تعتبر أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسى للقانون في مصر أن يمتنع عن تطبيق نص من القوانين القائمة على مخالفة الشريعة كنصوص القوانين الربوية ويروع الفرد والمراهنات والعب القمار والميسر والمعاملات المخالفة للشريعة .

ثالثاً : القانون الوضعى يستجيب دائماً للتغيرات الاجتماعية ولو كانت أمراضاً وانحرافات تصيب المجتمع ، ومن الاستجابة لانحرافات المجتمع : الشذوذ الجنسى ، واللبو ، وشرب الخمر ، وفي ذلك خطر كبير على المجتمع إذ يحطم أى سياج أو أطار من القيم والمعنويات التى تحفظ المجتمع من التدهور ، والداعون إلى هذا التدهور بفلسفونه باسم الحرية والارادة العامة للشعب وأنه مصدر السلطات ويدور في بعض المجالس الخاصة في مصر أن الإتيان حر في أن يمتنع بعرضه ولذته كيف يشاء .

ولقول ذو مرجية (أكبر فقه) الدستورى فى هذا العصر)
أن القانون الوضعى كان دائماً خادم للحكمة مستخدماً لأغراضها مخالفاً
بذلك الأوضاع الطبيعية .

أما النظام الإسلامى فإنه يحيط بالمجتمع بسياج وأطار يمنعه من التدهور
والانحطاط ويحفظ عليه قيمه ومبادئه فيظل المخطور محظوراً والحلال حلالاً ،
وفى ظل النظام الإسلامى لا تبدل لأصول الحياة الاجتماعية وذلك مع المرونة
الكافية فى فروعها وبذلك يظل المجتمع صلب العود مستقيم الظهر قوى البنيان .

ومعنى هذا أن القوانين الوضعية تنصف بخصيصة استسلامية تعايش بها الفساد
وتتبعه ، مهما بلغ من النزول والأسفاف بينما تنصف الشريعة بخصيصة حافظة
تحمى المجتمع من التدهور والنزول (مصطفى كمال وصفي) :

رابعاً : أنه كان نتيجة لعقوبة القوانين التى سنّها الخديو توفيق ١٨٨٣ أن تغير
شكل المجتمع الإسلامى تغيراً عظيماً ، وأصبحت الطبقة المثقفة من خدام الطبقة
الراقية الحاكمة وأصبح إدراك النظم الغربية عنوان الفهم والادراك السليم الذى
يجب أن يتحلل به المجتمعان فى مجتمع المحجور الذى ساد ذلك العصر ، وعلى العكس
من ذلك فإن الثقافة الدينية أصابها التدهور والانحطاط بسبب سياسة المستشارين
الانجليز فقصرت الوظائف الدينية على خدام المساجد والمؤذنين ، وعدم مستشار
التعليم إلى شحن المعاهد الدينية بعلوم تنوء بها ظهور الجبال ، ولا تجد إذنى فرصة
إلا فى وظائف المساجد والاعواقف وبذلك أنصرفت الطبقة القادرة عن التعليم
الدينى وأتجهت إلى التعليم العام ، وصار أهل الدين عنوان التخلف والتأخر
وهذا للسخرية .

خامساً : كان ظهور القانون الوضعى فى الغرب نتيجة أن المسيحية التى عبرت
من الشرق كانت رساله اخلاقية وروحة محضة ، ولأنها كانت جزءاً من رسالة
موسى فقد كانت شريعته فى التوراه ، فلما إستقلت المسيحية دون أن تكون لها نظام
وتشريع أخذت من الشريعة الإسلامية ما رآته ملائماً لها ووضع منه قانون
تأبيلون المشهور ، واغلبه من مذهب مالك ثم جاء المسلمون ففرض عليهم

أن يحجبوا شريعتهم وأن يقبلوا القانون الفرنسى والسويسرى حكماً لمجتمعهم
وعندهم أعظم ثروة فقهية فى العالم كله .

ومن هنا كان القانون الوضعى قانوناً بشرياً يعلى من أهواء الإنسان ويبرد
مطامعه وشهواته وفارق كبير بين القانون الوضعى وبين القانون الربانى السماوى «
وعرفت المسيحية الاخلاق والوصايا والاخلاق الفردية وحدها التى تخولت من
بعد إلى التبير إليه ، أما الإسلام فقد عرف الربط بين الفردية والجماعية وجعل
إلى جانب الاخلاق العقيدة والمعاملات على نمط فريد لأنه من صنع الحكيم الخبير «
وماتزال الحضارة الغربية والمجتمع الغربى المسيحى ينقل من الشريعة الإسلامية
حسيناً : حقوق الإنسان ، حقوق المرأة ، حقوق الجار ، مسائل الزواج
الطلاق والارث .

سادساً : لقد أتى الإسلام بمبادئ عامة أو أسس عامة يتعين أن يقيم عليها
الحكم - لقد أوى الإسلام وتيقن من ضعف الطبيعة البشرية قواجمها بطرقه عليه
وجعلت المبادئ الإسلامية العامة الحاكمة ، غير سلطوى والزمتها بالأخذ برأى
أصحاب الحل والعقد ، ورفض أن يأقى الحاكم رغم أنف المحكومين بل برغبة
الشعب ، والإسلام بوصفه نظام حياة كما هو عقيدته وعبادته يفرض نظام
الحكم كاساس جوهرى لاغنى عنه ، ومن أجل ذلك وضع الإسلام نظاماً له لكل
أمر الدين والدنيا ونظم العلاقات معاً : علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان
بالإنسان والمجتمع مع ، وإقام تشريعات تختلف مع اختلاف الزمان والمكان وتشريعات
لا تختبأ ، وأعطى الإسلام تفاصيل دقيقة بحيث لا تحتاج إلى لزوم فسالة
والمال والمرأة ، أعطى الإسلام فيها تفاصيل دقيقة جداً باعتبار أن المال والمرأة
كما هما مشكلتين على مر التاريخ يسببان الكثير من الاضطرابات . وفى الميراث أعطى
الإسلام تفاصيل دقيقة للغاية وفى نظام الحكم أتى الإسلام بالمبادئ العامة
(دكتور خيرى عيسى) .

سابعاً : تختلف الشريعة عن القانون الوضعى فى أمور كثيرة : أهمها الصدق
والبوضوح أن القانون الوضعى قد وضع عقاباً على عدم الصدق ولكن الله تبارك وتعالى

جعل ضابط الصدق معه هو (لا يوجد صادق مع الله وكاذب مع الناس) لأن المحمل يعلم أن الله مطلع عليه (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) فأهم أساس في الحكم والسياسة في الإسلام هو الصدق من الرعية ، بمعنى وضع الأمور على ما هي عليه أمامهم في العصر الحديث ، في الإسلام أهل الحل والعقد ، أهل الفكر والفتوى وأهل الذكر الذين يسعفونك بالحل وقت الزوم .

ولذلك كان الصحابة يركزون دائماً على مسئولية الراعى من رعيته ويعطون الرعايه مفهومًا عامًا (للأسرة راع وللقرية راع ورئيس الدولة راع) فالإسلام يشيع فكره الرعايه ، السياسة بمعنى تولى الأمور مع الالتزام بقيم معينة ومبادئ ترعى ويسأل عنها حيث يضع الإسلام طرقاً سلمية هادئة لتصحح مسار أى راع ينحرف عن الطريق السوى ، كما ألغى الإسلام الامتياز : الامتياز الذى أعطاه الحكم هو السلطان .

وأهم أساس للرعية بعد الصدق هو الحق ، فالحق هو جعل الصدق يسود أمور الحياة يحث يصل لكل إنسان ما يستحقه على قدر ما فرض له ما انفق عليه ، أن مفهوم « الحق » في الإسلام يختلف عن المفهوم « البرجماني » وترتبط بالنتيجة والنفع ، الإسلام عنده هو الإنسان أولاً يقيس العمل بالنتيجة وينظر للإنسان قبل كل شيء والنية تدخل في مقياس الحقيقة . وفكره « الحق » في الإسلام ترجمت في نظمنا السياسية بفكرة « العدل » أن العدل يعنى التساوى ، وفي الإسلام فهو عدل نوعى كيفى ، وليس عدلاً كمياً ، فقد يكون التساوى في بعض الأمور تجاوزاً للعدل ، العدل في الإسلام هو إعطاء كل شيء حقه ، الناس سواسية ، إذا صلح القوم صلح المجتمع وبالحللة فإن أساس الحكم في الإسلام : الصدق ، الحق ، العدل « دكتور عبد الفتاح بركة » ،

ثامناً : أن القانون الوضعى يعقد المشاكل ولا يضع لها حلولاً حاسمة ، أن القوانين الوضعية فجرت للمجتمع من المشاكل ما هو بغنى عنها ، وذلك يرجع إلى طبيعة القانون الوضعى وما يرتب من أثار على تطبيقه وتحليله ، يقول دكتور محمد رشدى حمادى (رئيس محكمة أمن الدولة العليا) لقد كنت طوال عملى أحاول جاهداً أن أصل إلى البقين في أى قضية إنناؤها ولكنى رغم ذلك لا حظت

أن القوانين الوضعية لا تنتهى مشكلة إلا لتبدأ مشاكل أخرى بما يزيد الأمر تعقداً وتضطرب الحياة معها أكثر وأكثر ، ويرجع هذا إلى أن القوانين الوضعية وجدت أساساً نتيجة وجود إختلال فى المجتمع الإسلامى وجعلته هى بدورها يعيش مشكلات متلاحقة لأنكاد تنتهى مشكلة حتى تولد أخرى أكثر تعقيداً .
ورغبة فى حل هذه المشاكل وتحقيقاً لراحة المجتمع وأمنه واستقراره لأبد من البدء فى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية - أن القوانين الوضعية زادت من نسبة الثأر فاهل القتل يتركون القتال الحقيقي ويتهمون غيره ليعنى القتال الحقيقى خارج أسوار السجن فسهل عليهم الثأر منه وهكذا يتبادل الطرفان الانتقام وتزداد الأمور تعقيداً لتشمل أفراداً وأسراً بل وقبائل أخرى بأكملها والسبب قصور القوانين الوضعية فى معالجتها لقضية الثأر بل إنها أوجدت بعداً آخر زادت الأمور تعقيداً فقانون الأحداث أصبح وكرأ للجريمة حيث يعتمد أهل القتل إلى حدث يرتكب جريمة القتل للثأر ثم يوضع بعد ذلك فى مؤسسة لرعاية الأحداث حيث يتولد خلال ذلك دوافع أخرى للممارسة هواية الأخذ بالثأر . أن علاج قضية الثأر تكمن وبلا منازع فى قول الله تعالى :

« ولكم فى القصاص حياة » .

وهو علاج يصلح لكل المجتمعات سواء أكانت بدائية أم متحضرة ويكفى أن أفراد المجتمع سينعمون بالأمن والاستقرار بمجرد تطبيق أحكام القصاص .

ناسأ : الإسلام يدرأ الحدود بالشبهات والحدود تظهر للمجتمع من الفاحشه والشريعة الإسلامية ذات طبيعة وقائية ، تحول دون وقوع الجريمة ، بينما القانون الوضعى عقوبة على ما يقع وأحكام البشر صادرة عن علم محدود وعن بصر محدود وعن سمع محدود ، وأحكام العباد يعترىها فى الأعم الأغلب النقص والقصور والباطل والضلال ولم تفلح العقوبة الوضعية فى إقتلاع الجريمة ، ففى تنفاهم يوماً بعد يوم وتشكل خطراً يهدد أمن المجتمع « وقد ثبت فشل العقوبة الوضعية لجريمة السرقة » .

وبالجملة فلاوجه للمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى .

الفصل الثالث

عقبات في طريق تطبيق الشريعة

عندما جاء الدستور المصرى ونص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسى للتشريعة كان لك أيداناً بيده مرحلة جديدة في إرساء القيم الإسلامية بالمجتمع المصرى لا مجرد تعديل في نصوص القانون أو في صياغتها بما يتفق مع الشريعة الإسلامية السمحة ، ذلك أن التشريع لابد أن يرتكز على نظام اجتماعى يسمح به ويؤدى إليه باعتبار أن القانون هو مولود اجتماعى يستمد أصوله من المجتمع الذى نبع فيه ، هكذا يصور الدكتور أحمد فتحي سرور هذه المرحلة الجديدة . ذلك أن تطبيق الشريعة الإسلامية من شأنه أن يؤثر في المجتمع ويعمق فيه القيم الإسلامية السمحة حتى يكون التشريع الإسلامى نبثاً طبيعياً صادراً من مجتمع إسلامى صحيح لا نبثاً غريباً في مجتمع من الإسلام . أن النص في الدستور على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع هي علامة البدء في تحويل المجتمع من مجتمع تسوده القيم الغربية الوافدة إلى مجتمع تسوده القيم الإسلامية لأن هذه القيم هي التربة الصالحة لغرس التشريع الإسلامى فيه ، أن مصدر بثارتها وحضارتها التي هزت الدنيا كله لا يمكن أن تكون حالة في تشريعها على بلد أجنبى لذلك يجب ترسيخ القيم الإسلامية من الآن حتى يكون لدينا المجتمع الإسلامى الذى يقبل تطبيق هذه القوانين .

لقد صدر التعديل للدستور سنة ١٩٨٠ لىكى يؤكد الذاتية الثقافية المصرية النابعة من الحضارة الإسلامية .

ولكننا نجد الآن أن هناك عقبات يحاول البعض أن يضعها في طريق تطبيق الشريعة . من هذا ، تلك المجموعة من العلمانيين الذين يحاولون تشويه تفسير الشريعة والاحكام والاعتماد على نصوص منتزعة من أصولها لتشبيط الوجهة وتأخير

النهضة . وهؤلاء هم العلمانيون إن شاء الله . عبد الرازق ، والذين لا يؤمنون
بأن الإسلام دين ودولة والذين يؤمنون بمسيح الإسلام ويدعون إلى أنه دين
روحي ولا هو ، وذلك لفتح أبواب الديمقراطية في مجال القوانين السياسية والاجتماعية
والاقتصادية .

وهناك دعوى التدرج في التطبيق ، وقد أجمع الباحثون والعلماء على أنه لم
يقع تدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية إلا الحذر ، وثبت في الأخير حرمتها بالنصر ،
وأن دعوى التدرج تخالف كمال الشريعة :

« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .
وقد مضى على الشريعة — كما يقول الدكتور جمال المرصفاوي — أربعة عشر
قرناً فكيف يقال بالتدرج مع أن دساتير العالم تحدد مبادئاً لتنفيذها فور اكتمالها
وإعلانها ويسرى حكمها على الكافة دون تدرج فلم يحتج بهذا فقط في الشريعة
الإسلامية .

ويقول الدكتور محمد رشدي حمادي : أن أصحاب الدعوة إلى التريث قوم
يحكمون أهوائهم في الوقت الذي تنادي فيه أحكام الشريعة وتعاليم الإسلام
بضرورة التجرد من الأهواء .

وهناك دعوى تهمة المجتمع الإسلامي بالكمال . وهي دعوى واهية - كما يقول
الدكتور المرصفاوي - لأن أي مجتمع لا بد من وجود الجرائم فيه وقد بدأت
الجريمة منذ قديم الأزل حين قتل قابيل أخاه هابيل وفي عهد الرسل نفسه تقع
الجرائم ونفاذ الحدود ، وكانت سبباً في ندرة الجرائم ثم أننا نقسال بأى شيء
توجدون ذلك المجتمع الإسلامي مع أن ذلك لا يكون إلا بتطبيق تعاليم الإسلام
وهناك دعوى رابعة : وهي أن المجتمع فقير ، وهي دعوى مرفوضة ،
لأن التشريع جعل ضوابط محددة في توقيع العقوبة ، فمثلاً السارق لا تقطع يده
إلا بشروط توافر المطعم والمشرب والملبس وأن يكون المال محرزاً وغير ذلك
من الشروط الدقيقة التي إذا تخلف منها شرط سقط الحد بالشبهة ووجب له
عقوبة تعزير .

وهناك دعوى خامسة هي وجوب إعداد جيل من القضاة مدربين على الحكم
بالتشريعة الإسلامية وهي - كما يقول الدكتور المرصفاوى - دعوة مردودة
لأن القضاة المصريين خاضوا تجربة سنة ١٩٤٧ المتعلقة بتطبيق الشريعة الإسلامية
حين الغيت المجالس الحسبية وأجبل لإختصاصها إلى المحاكم الشرعية ونجحوا في
هذه التجربة ، كذلك في سنة ١٩٥٥ حينما الغيت المحاكم الشرعية والمجالس المليية
وأجبل الاختصاص إلى المحاكم العادية فقد قام القضاة في المحاكم العادية بتطبيق نصوص
الشريعة الإسلامية ونصوص الطوائف المليية دون أى عناء والمسالمة تحتاج فقط
إلى صياغة للنصوص الشرعية بوضوح وكذا المذكرات التفسيرية
التي يجب أن تكون سهلة واضحة .

الفصل الرابع

مؤامرة تطوير الإسلام

منذ عقد مؤتمر برنستون صيف ١٩٥٣ الذي شهد عدد كبير من الأسماء الالامة في اندونيسيا والهند والباكستان وإيران والعراق وسوريا ومصر ولبنان لم ينقطع الكلام عن ما أطلق عليه مؤامرة تطوير الإسلام : فقد أعد هذا المؤتمر مجموعة من المستشرقين محترفي التبشير ومن المخططين الذين رسموا خطة طويلة المدى لتغيير معالم الإسلام بالتشكيك في أسس العقيدة الإسلامية كالإيمان بالوحي والإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن الذي إنزل عليه .

الدعوة المسمومة إلى تطوير القيم والعقيدة والأخلاق قام بها مخططون وعقدت لها مؤتمرات وجند لها كتاب لامعون ! !

وكان أحدث ما يتصل بتطور خطوات هذا العمل مؤتمر التخليف الحضاري الذي عقد في الكويت ١٩٧٤ ومنها مؤتمرات أخرى استهدفت تزييف التاريخ الإسلامي أو تنصير المسلمين أو غيرها من المخططات المرتبطة كلها بالهدف الأساسي الذي تأمرت عليه القوى المتجمعة للسيطرة على عالم الإسلام والتي خططت منذ وقت بعيد من أجل « تفرغ » المسلمين ومجتمعهم من الإسلام الحقيقي وفرض إسلام خاضع للفكر الغربي العالمي . وقد عمدت هذه القوى إلى احتضان البهائية والقاديانية لضرب الإسلام من الداخل وتحقيق أهدافها المسمومة .

أقدمت منذ وقت بعيد قضية (تفرغ الإسلام من مفاهيمه الصحيحة) تحت اسم (التطور والماصرة والتحديث) ومحاصرتها لتضييق دائرة نفوذه وفرضها على شؤون العبادات والغايات للمعاملات التي يقوم عليها تنظيم المجتمع فلما تحقق في العقود الأخيرة تصميم البلاد الإسلامية على إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية بعد أن توقفت أكثر من مائة عام وحل محلها القانون الوضعي تفتق

الذهن التبشيري الاستشراقى عن فكرة (تطوير الإسلام) وتوسعت الكتابات المؤيدة لتلك الخطط حول تطوير الدين وتطوير الشريعة وتطوير اللغة وتطوير التاريخ وهى كلها محاولات لضرب القواعد الأساسية الثابتة التى إقامها الفكر الإسلامى من خلال مفهومه الأصلى الواضح :

الثوابت والمتغيرات .

وهى القاعدة التى ازاحتها الحضارة الغربية المعاصرة من طريقها حين نقلت ثمرات الفكر الإسلامى فى عصر النهضة وقبلت (المنهج العلمى التجريبى الإسلامى) ثم فرغته من قاعدته الأساسية القائمة على توابط العقل والقلب والروح والمادة وماقرره الإسلام من قيم ثابتة لا تتغير مهما تغيرت العصور والبيئات : وهى قيم الحق والعدل والخير والرحمة الاخاء البشرى وكيف وضع الإسلام قاعدة حركة المتغيرات داخل دائرة الثوابت .

وكان (ديكارت) ومن جاء بعده هم الذين فصلوا بين المعنويات والماديات وازاحوا مفهوم (اخلاقية العلم والحضارة والمجتمع) على النحو الذى يعرفه جميع الباحثين والذى أشار إليه الاخ المسلم الأستاذ (رجاء جارودى) فى مختلف أبحاثه وقال أنه هو مصدر الحيرة والازمة الشديدة فى الفكر الغربى الحديث وقد ظل يبحث عن حل لهذا أكثر من ثلاثين عاما حتى إلهتدى إليه بمفهوم الاسلام الجامع .

وقد تفتق ذهن المتأمرين خصوم الإسلام عن هذه الفكرة : (فكرة تطوير الإسلام) وتوسعوا فى دراستها فنهض من تكلم عن إعادة النظر فى الدين وتطويره (والدين فى الغرب بمعنى اللاهوت أو العبادات) ومنهم من طالب بوضع تجرية الدين وتجربة النبوة والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث وإخصاها لقواعد علم النفس الحديثة التى تقوم على (الحدس) والى تخضع نفسها للتغيير والتبديل والتى تحاول أن تجعل من الدين مسألة ذوقية وهمية ليس لها وجود حقيقى فى خارج نفس صاحبها الذى يتذوقها كما أشار إلى ذلك الأستاذ (ماركس برور) فى بحثه المعروف بل لقد تناول هذا الباحث وتحدث عن أسلوب الله تبارك وتعالى فى العمل .

وهناك الجهود المبذولة لتطوير الشريعة الإسلامية بحيث تصبح أداة لتبrier القيم الغربية وقبول الواقع الذي المنحرف والفساد والمسموم الذي تمر به الحضارة العالمية اليوم وملك الازمات والتمزق النفسى ويرغب أصحاب هذه الجهود فى احتواء المسلمين دخل دائرة الفكر الغربى المغلفة ودائرة الحضارة الغربية والاستسلام لها والانصار فيها بحيث يزول عنهم ذاتيتهم الخاصة وطابعهم المفرد الذى صبغهم به الإسلام ودعاهم إلى المحافظة عليه والدفاع عنه ووضع موضع قداسة العقيدة نفسها حتى ليضحى المسلم بنفسه إذا كان ذلك بديلا لزوال ذاتيته . وهم بذلك الاصرار الذى يرددونه جميعا أننا يريدون أن يزيلوا ثوابت الشريعة الإسلامية وأحكامها ،إرادعة على للفاسقين والسارقين والمجرمين ويتأولوا الاوضاع القائمة دون أن يواثمروا هذه المجتمعات مع شريعة الله .

ولقد دعت هذه المؤتمرات صراحة ودون موارد إلى ماسمته " تطوير القيم ، وكان من أهم توصيات مؤتمر أزمة التطور الحضارى عام ١٩٧٤ مانص عليه على الوجه الآتى :

• أهمية تطوير القيم وإنماط السلوك الإيجابية والمؤثرة فى صنع التقدم والاهتمام بالثقافات الشعبية .

ويهدف (تطوير القيم) إلى إزالة محتاتف الاحكام الخاصة بالأخلاق والفضيلة وحماية المرض والبكارة وحماية مهمة المرأة الأساسية فى بناء الأسرة ورعاية البيت وتربية الطفل وإدخال القيم الغربية فى الأخلاق وهى القيم التى تسخر من المرض والى تدفع وراء صديق أتهائلة وتبادل الزوجات واختلاط الأعراض ، ولا ريب أن قضية المرأة المسلمة من كبريات القضايا التى أولاها الاهتمام جماعة المستشرقين والمبشرين بهدف هدم البيت الإسلامى من الداخل وتفريغه من الإيمان والعبادات وخلق أجيال منحرفة منهارة ممزقة حتى يسهل السيطرة على هذه المجتمعات واحتواؤها فى العقود القادمة وبعد ذلك سخرت بالحجاب

والنقاب وتعدد الزوجات ، هذا مع حرصهم على تطبيق أوضاع من الأحوال الشخصية المدمرة مخالفه لكتاب الله أو معتمده على نصوص غير جامعة .

وإذا كان كرومر منذ عام ١٨٩٢ قد وضع هذه الخطة للتغريب حين قال :
(الإسلام بطبيعته العالمية عدو للحضارة الأوروبية والمسلم غير المتخلق باخلاق
الأوربيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الأيام لذلك سيكون المستقبل للمترين
تربية أوروبية ، سرحل عن مصر على أن تحكم بايد مصرية وهقول بريطانية) .

ومن ثم بدأت تلك الخطة التي ترمي إلى العمل لأعداد أجيال تابعة ، غير أن
اليقظة الإسلامية ما لبثت أن - طلمت هذه الخطة وفتحت الطريق أمام الأصالة
الإسلامية ، وكانت المزمعة والنكبة والنكسة سنوات (١٩٤٨ - ١٩٦٧) كلها
دلائل واضحة أمام المسلمين والعرب على أن الطريق الذي سلكوه في التبعية
لا يؤدي ، وأنه لابد من التماس المنهج الرباني الأصيل والتماس أسلوب العيش
الإسلامي الأصيل ، فلكل أمة منهجها وأسلوبها ، ولكن القوى الخارجية المسيطرة
ما تزال تعمل على أن يتحول العرب والمسلمون عن إخلاقيهم وقيمهم إلى إخلاق
وقيم وافدة لا تتفق مع ميراثهم ولا عقيدتهم ولا تاريخهم الذي عاشوه أربعة
عشر قرناً . .

ولكل ليس معنى هذا أن الفكر الإسلامي فكر مغلق ، أو متعصب
أو جامد . أنه فكر رباني المصدر قام على أسس واضحة جامعة متكاملة ،
وله مرونة الوافرة ، وقدرته على الاخذ والعطاء ، والتعامل مع متغيرات
المجتمعات والعصور ، شريطة المحافظة على قيمه الأساسية التي لا يقبل صدعها
أو تشويهها ، وهو بحكم مفهومه الأصيل في الثوابت والمتغيرات قادر على
الافادة من التنظيمات والأساليب والوسائل الحديثة جميعا شريطة أن ينقلها إلى
دائره على أنها (مواد خام) يشكلها في كيانه ويعصرها في وجوده دون
أن يقبل تنظيمات أو أيديولوجيات ، وأساسه الأول هو المحافظة على التوحيد
والإيمان وأخلاقية الحياة والحضارة ، وعلى هذا النحو يستطيع المسلمون صنع

التقدم ويقبلون من الحضارة خيرها ويرجئياتها ويشككون ذلك وفق مفاهيم الإسلام : القائمة على العدل والرحمة والأخاء البشري . .

أما تطوير القيم بمناه الذي عرفه من كتابات دور كايم وفرويد وماركس والقرول بأن التطور مطلق والأخلاق نسبية ليست ثابتة وأن القيم تتغير بتغير الزمان فهذا ما لا يقره الإسلام . . بل الدعوة ذوو الاسماء الأربعة . أن الإسلام كما يقول المستشرق باوي : يحكم السلوك في القول والمعاملات وأن الأخلاق قيم ثابتة ، عن الدين ولا تتغير مع الزمن فهي لا تخضع للتفسير والتطوير أما الدين فيغير في العادات والتقاليد لأنها من صنع المجتمع كذلك فإن الدين الذي يغير والتغيير هو الصناعة والمهار ، أما القيم الإسلامية (من اجتماعية - أخلاقية) فإنها لا تتغير بتغير الزمان أو المكان ومن أمثال ذلك الكذب والفجس والسيرة والندس والانحراف فكل هذه رذائل منذ أول يوم في هذه الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

أن النفس الإنسانية لا تتغير ، ولكن الذي يتغير هي وسائل الحياة والمعاملات ، أن القول بأن القيم الدينية والأخلاقية تتطور أو تتغير مع الزمن من شأنه أن يجعل الدين مرتبطاً بالعصر ويكون قابلاً للتدنة ، ولقد جاء الإسلام ليحطم كل ذلك ويحرر الناس من هذه التبعة . .

أن المناداة بتطوير القيم وربطها بعادات الناس وميولهم من شأنه أن يجعل الإسلام ماركسيا ، أو أن يكون لدعاة الجنس واللذة إسلام يجعل ممارسة هذا اللون تسيباً لقدرة الله تبارك وتعالى واعتقافاً بجمل الخالق كما يزعم بعض دعاة هذه المذاهب اليوم ، ومن شأن هذه الدعوة أن تحطم عقيدة الإسلام ، هذا ما تصح به كرومر . في كتابه : بريطانيا العظمى في مصر ، حين قال :

« فإذا أمكن للمبادئ الإسلامية أن تتطور مع الزمن المتطور عند ذلك سوف يتحرر ملايين البشر من هذه العقائد » .

وهذه الدعوى ما تزال عملاً لقلوب وعقول دعاة الاستشراق والشعوية (م - ١٨ طريق النهضة)

والغريب يحفظونها أو يدون قليلا منها ولكنهم يؤمنون بأن هذه مهمة لهم لابد أن يعملوا لها ، وعلينا نحن أن نعرف الأهداف ونكشف المخططات .

وإذا كانت مؤامرة التطوير لا تتوقف عند ميدان واحد من ميادين الثقافة والفكر والمجتمع — وتحظى قضية المرأة منها بالخط الوافر — فإن تلك الدعوة إلى بحث التاريخ القديم هدف أصيل كما أشارت مقررات مؤتمر الكويت فإن هناك عناية مبذولة إلى إحياء الفولكلور وبحث التاريخ القديم السابق للإسلام وهناك جهود مشتركة بين الأثريين في سبيل اذاعة أخبار يومية متجددة - حول الأصنام والقبور وأموال ضخمة تنفق على علماء الآثار ليعيدوا الناس مرة أخرى إلى الفرعونية والفينيقية والبابلية والآشورية مع أن أشد علماء التاريخ تعصبا أعلنوا بما لا يقبل الشك أن الإسلام قد أوجد (أنقطعا حضاريا) وتاريخيا بين عصره وماسبقه من المصور ولأن إعادة الحياة إلى هذا التاريخ مستحيلة لأنه لا يملك لغة ولا ثقافة ولا تراثا ماعدا الأهماء والأحقاد التي تملأ بعض الصدور ، والهدف معروف وهو محاولة إعادة الأمم الإسلامية إلى أصولها الأولى السابقة للإسلام بما يقضي على روح الوحدة الإسلامية ويمكن لهذه الأمم أن تخضع لنفوذ الحضارة الغربية والفكر الأعمى ، وإن تقصر فيه ويحول تميزها وتذهب ذاتيتها ويرتبط بهذا لإعلاء التراث الوثني القديم في الوقت الذي تجري فيه السخرية بالتاريخ الإسلامي الباذخ وما الحديث عن جلعاميش وادونيس وتموز وغيره من أساطير في الشعر الحديث إلا واحدة من هذه المحاولات للماكرة .

أن هذه العبارات التي تجري على السنة بعض الكتاب اليوم إنما هي منقولة من كتابات البهائيين والقاديانيين وهي محاولة لتجديد فكرهم لضرب الإسلام من الداخل ولن يستطيع هؤلاء الدعاة أن يجدوا متقبلا لما يقولون به أو ينشرونه مادام يعارض أساسا حقيقيا من أسس الإسلام : في أصول العقيدة أو في عبادة الحضارة الوثنية المادية الإباحية أو الدعوة إلى الجنس ، ومن العجيب أن يحمل لواء القضايا الفكرية جماعة من القصاصين عاشوا حياتهم كلها في مجال محدود ولم تيسر لهم دراسة الفكر الإسلامي بحيث تكون لهم مقدرة حقيقية على أن يقولوا فيه كلمة جادة أو صادقة يسمع لها ويقتنع بها الناس وهم محجوبون عن الناس

لأنهم لم يقدموا طوال حياتهم إلا مواد التسلية وترجية الفراغ وما عدهم أحد
موجهين أم قائمين بكلمة خالصة يريدون بها وجه الله فقياس القمم الشوامخ
مقياس باطل لأن الأبطال الحقيقيين لا تعنى بهم الصحافة عنايتها بسيد دوريش
وإبراهيم ناجي وعبد الحليم حافظ أن ظاهرة سيطرة القصاصيين على الحياة الفكرية
الحديثة مع أنهم لا يملكون أدوات الفهم والاستيعاب للفكر الإسلامي أو العالمي
أمر جد خطير .

أحكام قضائية على أساس الشريعة الإسلامية

أصدر الأستاذ محمد محمد تمام رئيس محكمة السويس الجزئية حكماً في القضية رقم ٨ سنة ١٩٨٠ جنح أثبت فيه أن القوانين الوضعية المعمول بها في مصر والمخالفة للشريعة الإسلامية باطلة بطلاناً يحدّر بها إلى درجة الانعدام من الناحيتين الشرعية والقانونية . جاء في الحكم ما يلي :

وحيث أنه يلزم القول بدائه أن القوانين الوضعية المعمول بها في مصر والمخالفة للشريعة الإسلامية باطلة بطلاناً يحدّر بها إلى درجة الانعدام من الناحيتين الشرعية والقانونية .

أولاً : من الناحية الشرعية فإن تلك القوانين المخالفة لأحكام الشريعة باطلة بطلاناً مطلقاً وهي والعدم صنوان ويجب على جميع المسلمين في جميع مواقعهم سواء أكانوا من رجال السلطة القضائية ، أم من رجال السلطتين التشريعية والتنفيذية أم من أفراد الناس العاديين أن يمتنعوا عن تطبيق وتنفيذ أو إحترام كل حكم وضعي يخالف أحكام الشريعة الإسلامية والأدلة على ذلك مستعدة من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ثم من الاجماع وهي المصادر الأولى للشريعة الإسلامية .

لقد أمر الله سبحانه بالحكم طبقاً لما أنزل وجعل من لم يحكم طبقاً لذلك كافراً أو فاسداً أو ظالماً (وإن أحكم بينهم بما أنزل الله) المائدة (أنا أنزل لما إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما إراك الله) النساء ، بل أنه لا خيار للمسلم أمام ما اختاره الله ورسوله ولا رضاء له إلا بما رضى الله ورسوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) .

وقد قطعت نصوص القرآن الكريم بوجوب اتباع الشريعة الإسلامية أو مبادئها العامة وأرواحها التشريعية صراحة أو ضمنا فلا يجوز للمسلمين أن يتحدوا غير شريعة الله قانونا وكل إتباع لغير قانون الله إتباع للهوى (فإن لم يستجبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى الله) ، (ثم جعلناك له على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) .

بل أن واجب التحاكم إلى الشريعة الإسلامية وعدم التحاكم إلى القوانين الوضعية - بل في مخالفتها وعدم الرضا بها والكفر بأحكامها - واجب في سلمين كافة ، فيجب على أحاد الناس أن يطلبوا من القضاة ومن أولى الأمر تحكيم الشريعة الإسلامية فيما يطرحونه من منازعات وإن يرفضوا تحكيم القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية .

والقول بأن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر وعلى ذلك فيجب علينا طاعة : القوانين التي يضعونها وإن الحكم وحدهم هم المستولون عن تلك القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية أمام الله سبحانه وتعالى : فهذا القول لا يستند إلى سند شرعي أو عقلي أو منطقي فالآية الكريمة قد أوجبت طاعة الله وطاعة الرسول أساسا .

أما طاعة أولى الأمر فإنها لا يكون إلا إذا كانت أوامرهم موافقة لأوامر الله وأوامر الرسول (أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) .

ومن هنا فإن طاعة أولى الأمر لا يكون إلا إذا كانت أوامرهم موافقة . لأوامر الرسول ، وقد قال رسول الله (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) .

وقد انعقد إجماع الأمة الإسلامية على أنه لا طاعة لأولى الأمر إلا في حدود ما أتول الله وعلى أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد سار على ذلك الخلفاء

الرشدون في خطبهم وفي ساوكمهم ، إذن فالشريعة الإسلامية هي قانون الدولة الإسلامية لأعلى والأساسي (دستورها) فما وافقها من قوانين وضعه صحيح وأجب الإعمال وما خالفها باطل وأجب العصيان ، فالشريعة الإسلامية قد أنزلها الله سبحانه ليحكم بها في كل مكان وزمان ولا يمكن أن تُلغى أو تنسخ لأن القاعدة الأساسية في الشريعة الإسلامية (وفي القوانين الوضعية) أن النصوص لا تنسخ إلا بنصوص من مثل قوتها أو أقوى منها ، أي من نفس الشارع أو بمن له سلطان يشريعى أعلى من إصدار النصوص المراد نسخها وما بين أيدينا من كتاب وسنة لا يمكن أن ينسخ بعد أن أنقطع الوحي واختار رسول الله الرقيق إلا على ، وليس لأولى الأمر في ظل الشريعة الإسلامية حق التشريع إلا سن التشريعات التنفيذية التي تستهدف ضمان تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية وذلك على أساس مبادئ الشريعة الإسلامية وروحها التشريعية وفي حدود ما سكنت عنه الشريعة ولم تود بشأنه نصوص خاصة - ويقول القاضي العظيم الأستاذ عبدالقادر عوده أنه (من المتفق عليه أن من يستحدث من المسلمين أحكاماً غير ما أنزل الله ويترك بالحكم بها كل أو بعض ما أنزل الله من غير تأويل يعتقد صحته فإنه يصدق عليهم ما قال الله تعالى كل بحسب حاله . فمن أعرض عن الحكم بحمد السرقة أو القذف أو الزنا لأنه يفضل غيره من أوضاع البشر فهو كافر قطعاً ، ومن لم يحكم به لعلة أخرى غير الجود والنعكاز فهو ظالم أن كان في حكمه مضيقاً لحق أو ناركاً لعدل أو مساواة والافهو فاسق) .

(الاسلام وأوضاعنا القانونية للأستاذ عبدالقادر عوده)

وفي صدد التدليل على بطلان القوانين الوضعية فإنه يلزم بداهة بحث ما إذا كان هناك سند شرعى يقوم عليه تطبيق القوانين الوضعية أصلاً في مصر (وفي غيرها من البلاد الإسلامية) وذلك منذ أن بدأ تطبيق القوانين الوضعية وذلك يقتضى بحث الكيفية التي دخلت بها تلك القوانين إلى مصر فقد بدأ دخول تلك القوانين في عهد محمد علي الذي استجلب إلى مصر بعض القوانين التجارية والحربية (المحدودة) وفي عهد الحديو إسماعيل ثم إنشاء المحاكم القنصلية على أثر توسيع الامتيازات الأجنبية في مصر بسبب إزمه الديون .

وكانت لهذه المحاكم سلطة الحكم فيما يرتكبه رعايا الدول الأجنبية المستعقة بتلك الامتيازات من جرائم على المواطنين المصريين ، وكذلك سلطة الفصل في القضية .

وعندما وجدت المحاكم المختلطة كان أغلب قضائياتها من الاجانب وطبقت في هذه المحاكم القوانين الفرنسية منذ سنة ١٨٧٢ وبدلا من خضوع الاجانب لقوانين مصر (الشريعة الإسلامية) خضع المصريون للمحاكم المختلطة التي استتال خطرها إلى السلطة التشريعية إذ كان من حق الدولة المستعقة بالامتيازات الأجنبية ألايسرى عليها ما تشاء مصر من التشريعات إلا بعد موافقة جمعية عامة لقضاء المحاكم المختلطة وبعد عام وأحدهم احتلال الانجليز لمصر وبعد سبع سنوات من استيراد القوانين الفرنسية وتطبيقها في المحاكم المختلطة هم الانجليز تطبيق القوانين الفرنسية في انحاء مصر وقصروا تطبيق الشريعة الإسلامية في المحاكم الشرعية بعد أن حددوا اختصاصها (بالأحوال الشخصية) أما ما عداها فقد أصبحت تختص بها محاكم سميت بالمحاكم الأهلية التي أصبحت تطبق القوانين الفرنسية التي كانت تطبقها المحاكم المختلطة وأصبح المصريون جميعاً خاضعين لهذه المحاكم وأصبح في مصر انفصال غريب وخطير بين ما يسمى بالقضاء الشرعي وما يسمى بالقضاء الأهلي ، كل منهما يطبق شريعة مختلفة تماماً عن الآخر ونسئ الناس نوع الشريعة التي تطبقها تلك المحاكم وأنها متنافية للشريعة الإسلامية والدين الإسلامي وسار الأمر على ذلك ونشأت في مصر أجيال من المثقفين ، ثقافة قانونية أجنبية (فرنسية) قائمة بتلك الثقافة وجاهلة تماماً أو شبه جاهلة بأحكام الشريعة الإسلامية ونحوها المحاكم الأهلية إلى عما كنا هذه ونحيت الشريعة الإسلامية واستقرت الأوضاع الجديدة وأصبحت ما لوفة للناس الذين ما عداها ينكرونها أو يعملون على تغييرها وسارت الأمور على هذا النحو حتى يومنا هذا ويلزم القول أنه لا يوجد سند شرعي لتطبيق القوانين الوضعيه ، في مصر ، ذلك أنه أولاً لم يسبق إستيلاج القوانين الوضعيه وتطبيقها في مصر إستفتاء الشعب أو أخذ رأيه أو موافقته على ذلك ، رغم أن موافقة شعب مصر على تنحية الشريعة الإسلامية وإحلال القوانين الوضعيه محلها أمر غير جائز شرعاً وقد أدخلت تلك القوانين إلى مصر بناء

على امر حاكم غافل مستبد لا سند لها من الشرعية القانونية وبما أن الدستور
المصرى المعمول به (دستور ١٩٧١) لا يوجد به نص يوجب أو يحجز تطبيق
القوانين الوضعية المخالفة للشرعية الإسلامية وذلك حتى قبل التعديل الأخير
(إضافة مادة الشرعية الإسلامية مصدراً للقوانين) حتى ولو أقرضنا خلوه من
النصوص التي توجب تطبيق الشرعية الإسلامية ، وتفصيل ذلك أنه باستقراء
أحكام الدستور تبين أنه قد ناط بصفه أساسية وظيفة التشريع بالسطة التشريعية
ولم ير بين نصوص الدستور ما يوجب أو يحجز لمجلس الشعب أن يسن قانوناً
مخالفاً للشرعية الإسلامية والنص سالف الذكر لا يتعدى مخالفة الشرعية الإسلامية
فقد أعطت الشرعية الإسلامية لأولى الأمر حق التشريع إلا أنها لم تعطهم هذا
الحق مطلقاً من كل قيد فحق أولى الأمر في التشريع مقيد بأن يكون ما يضعونه
من تشريعات متفقاً مع نصوص الشرعية ومبادئها العامة وروحها التشريعية وتعين
حقيقتهم في التشريع على هذا الوجه يجعل حقيقتهم مقصوراً على نوعين من الشرعية
(١) تشريعات تنفيذية (٢) تشريعات تنظيمية على أساس مبادئ الشرعية الإسلامية
فبما لم يأت منه نصوص خاصة وبشروط في هذا النوع من التشريعات أن يكون
قبل كل شيء متفقاً مع مبادئ الفريعة العامة وروحها التشريعية وعلى ذلك فإن
النص الدستوري المشار إليه وجميع نصوص الدستور ليس فيها ما يعد سنداً
شرعياً لتطبيق القوانين الوضعية المطبقة في مصر لا يقوم على أى سند من الشرعية
ولما يستند إلى الثبات الواقعي واعتقاد الناس عليها والفهم لها واستمرار تطبيقيها
لزمين طويل وغفلة الناس عن مخالفة تلك القوانين للإسلام بل وأكثر من ذلك
فإن الدستور المصرى المعمول به لا يقف عنه حد تقديم السند الشرعى للقوانين
الوضعية وإنما يبتطلها ويقوض أساسها ويهدم كل قيمة لها . فأولاً وردت عدة
نصوص في الدستور توجب إحترام ومراعاة أحكام الشرعية الإسلامية ، منها
الأسرة أساس المجتمع وتكفل الدولة التوفيق بين وجبات المرأة نحو الأسرة
وعملها في المجتمع ولا شك أن نص الدستور بأن (الإسلام دين الدولة) كاف في
حد ذاته لإبطال القوانين الوضعية المخالفة للشرعية الإسلامية ، ذلك بأن الدولة
باعتبارها كائن معنوي لا يتصور أن يكون لها دين وإنما مفاد هذا النص
أن الإسلام هو دين الغالبية الساحقة للمصريين ، ولما كان الإسلام شريعة وعقيدة ،

الأمر الذى أكدته الدستور باحتبار مصدر التشريع فإنه يجب أن يستمد قوانين الدولة من الشريعة الإسلامية وأن تكون جميع القوانين المعمول بها فى الدولة متفقة وأحكامها وإن جميع القوانين المخالفة لها باطلة ومعدومة الوجود ومجردة من كل قيمة ، بل أن الأمر أصبح بالغ الوضوح بعد التعديل الأخير الذى أصبحت بمقتضاه المادة الثانية للدستور تنص على أن (مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع) .

وحيث أن البعض يرى أن القوانين الوضعيه وأجبة التطبيق ، وهذا رأى فى نظرنا لا يستند إلى أى - - شرعى أو يقوم على سند عقلى أو منطقى اللهم إعتياد الناس على القوانين الشرعية وإستمرار تطبيقها لزمن طويل - والعقبة على الطريقة التى دخلت بها بلادنا ومخالفتها للإسلام الذى ندين به ، وبوى إنصار هذا الرأى أن القوانين الوضعيه القائمة واقع لابد أن ينص فى الدستور صراحة على الغائى وأحلال الشريعة الإسلامية محلها ورغم أن هذا الرأى مردود عليه بما سلفنا فإنه يضاف إليه التعديل الدستورى الأخير الذى ينص على أن (الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع) .

وقد ترتب عليه أن أصبحت الشريعة الإسلامية على قمة المصادر الرسمية للتشريعة ولم يعد هناك مكان للمصادر الأخرى فى ظل الشريعة الإسلامية الغنية بأحكامها الدقيقة المفصلة لكل شئ ، ذلك أنه من المستقر عليه فى فقه التمهيد أن التشريع لا يلغى إلا بالتشريع فى درجته أو أعلى منه مرتبة .

وقد كانت المادة الأولى من القانون المدنى تعتبر الشريعة الإسلامية مصدراً رئيسياً من الدرجة الثالثة وعدلت هذه المادة بمقتضى التعديل الدستورى الأخير والغى الترتيب الوارد بالمادة الأولى من القانون المدنى وأصبحت الشريعة الإسلامية هى المصدر الأول للتشريع التى يقوم أساسها البنائى القانونى فى الدولة ولم يعد يسبقها أى مصدر آخر .

وقد قرئت محكمة عليا فى العديد من أحكامها أنه إذا تعارضت القوانين الأدنى مرتبة والسابقة فى الدستور مع أحكام الدستور وجب التزام أحكام الدستور

واحدان ما سواهما بما يعنى أعمال الأحكام المخالفة للدستور وعدم اعتبارها وتجردها من كل قيمة والتصرف على أساس إنعدامها وعدم وجودها وأنه إذا لورد الدستور نصا لزم أعمال هذا النص يوم نفاذ الدستور وتغيير النصوص المخالفة للنص الذى أوردته الدستور قد نسخت ضمنا بقوة نفاذ الدستور .

وحيث أنه ترتيبا على ما تقدم فإن القوانين السابقة على التعديل الدستورى الذى نص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع تعتبر منسوخة فى أحكامها المخالفة للشريعة الإسلامية وتعطل بما يتفق وأحكام الشريعة الإسلامية .

وحيث أنه وأحذا بما سلف بيانه من قرارات قانونية فإن القدر المتيقن من الذى لا يمكن أن يشار بالنسبة له أى خلاف أن التعديل الدستورى سالف الذكر قد ترتب عليه فور نفاذه بطلان جميع القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية وبمجرد صدور هذا التعديل فقد لفظت تلك القوانين أنفاسها الأخيرة وفازت الحياة .

(الدعوة - يوليو ١٩٨١)

الفصل الخامس

الاقتصاد الربوى

منذ سيطر النفوذ الاجنبى على مصر والبلاد العربية والاسلامية فقد وضع يده على خيوط الاقتصاد الوطنى جميعاً ، وحولها إلى مصادره وخزائنه وجعلها سداً للديون التى كان قد إقترضها الحكام وأهل النفوذ ، وكانت مؤامرة الاستدانة دائماً مقدمة للاحتلال والسيطرة ، وقد حفظ التاريخ الحديث ثلاث مؤامرات أحدها على خديو مصر إسماعيل وعلى شاه إيران وعلى باى تونس كانت مقدمة للسيطرة الاستعمارية والاقتصادية على هذه الاقطار وقد تبع هذه السيطرة توجيه الاقتصاد وجمه غربية خالصة ، باستنزاف مصادر الثروة من البلاد الاسلامية بأنجس الاسعار وفتح أسواق تجارية للمنتجات الواردة من البلاد المسيطرة وسيطرة مجموعات من الاجانب على الاسواق والمواد الاساسية والقيام بعمليات المرباة للتجار والزراع تحت تأثير المغريات الوافدة وفى مقدمتها الخمر والراقصات والمنتجات الكمالية .

وهكذا صنع الاحتلال البريطانى نظاما ربويا إقتصاديا مسيطراً تتحرك فيه التجارة والزراعة والصناعة فى البلاد خلال فترة الاحتلال ، ما عدا محاولات ، قليلة جرت بانشاء صناعات وطنيه كالتي قام بها طلعت حرب وأحمد عبود وغيرهما غير أن مصر فى المرحلة التالية لم تستطع أن تستقل إقتصاديا ، وظلت بخاضعة لنفوذ الاقتصاد الغربى ثم جاءت مرحلة الارتباط بالاقتصاد الشيوعى ، وفى كلا المرحلتين عاشت مصر مرحلة قاسية من أشد مراحل التبعية والبحث عن مصادر لاستيراد العملة الصعبة وقامت على أملاكها مصادر الطعام الاساسى كالقمح فى سبيل زراعة محاصيل أخرى تدر موارد إجنبية ، ولا يزال الاقتصاد المصرى يعاني من عاملين :

العامل الأول : التضخم والآخر السيولة ، وكانت عملية الحصول على القروض من الدول الغربية ولازل عاملاً هاماً في توجيه الاقتصاد وعدم القدرة على تحريره فضلاً عن هجر الدول العربية ذات الموارد النفطية الواسعة عن استثمار عائداتها في البلاد العربية والإسلامية .

ولا ريب أن اختواء الاقتصاد الإسلامي وسيطرة الدول الغربية والاشتراكية عليه من أخطر العقبان التي تحول بين المسلمين وبين امتلاك أروادهم وتكوين مجتمعهم القادر على الحركة الحرة ، وعلى استثمار مواردهم الواسعة المذخورة الآن في البنوك الأجنبية والتي هي - ناذ حقيقى للاقتصاد الغربى ، دون أنفاج المسلمين بها أساساً لبناء حضارتهم الجديدة .

ويعيش العالم الإسلامى فى مجموعتين : مجموعة لها مواردها الضخمة التى لا تحصل منها إلا هلى قدر معين بينما تودع مخزائها فى المضارب الغربية . ومجموعة فامية تحتاج إلى قروض لرفع مستوى حياتها الاجتماعية ، وتوظيف مواردها فى تسديد بعض هذه الديون .

وقد تجاوزت ديون العالم المتقدم على العالم النامى ٤٠٠ مليار دولار :

وقد نمت بريطانيا من الهند ومصر وهولندا من أندونيسا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وأمريكا من جنوب ومن أفريقيا قدراً ضخماً من الموارد (كالبتروى والكوبلت والمنجنيز) وكانت من المصادر الحاسمة من مصادر التصنيع والتقدم الذى حققته الدول المستعمرة ، وتصل الدول الكبرى على إشباع فائض المال العربى عن طريق : المواد السكالية والسلاح .

وهناك ٥٠ مليون أفريقى وأسبورى من الدول الفقيرة يتساقطون من الجوع .

وهكذا نجد أن العالم الإسلامى كله يقع فى قبضة الدولتين الكبيرتين والنظامين الرأسمالى والشيوعى ، وإن المسلمين مازالوا عاجزين عن التحرر من سيطرة الاقتصاد الغربى بهيئة .

وهكذا نجد أن المسلمين خسروا : منهمم الاقتصادى الأصيل ، الذى عاجهم القرآن ، وطبقة المسلمون أربعة عشر قرناً ، وسيطر عليهم النظام الرئوى العالمى بكل مخاطره وأثاره وفساده ، وأندفعوا وراء الاستهلاك والترفيه ومظاهر الحضارة وكلها عوامل تدمر الشخصية ويقتل فيها عناصر التماسك والقوة وتجعلها خاضعة متحللة منهارة .

غير أن حركة البقطة الإسلامية قد كشفت للمسلمين مدى الأخطار التى تحيط بالاقتصاد الإسلامى لوقوعه فى براثن الربا وسيطرة الدول الغربية عليه ، والاثار المترتبة على ذلك فضلاً عن غضب الله وعقابه ومن ثم إنطلقت صيحة الامتناع عن الادخار إلا فى البنوك الإسلامية وقد اضطرت كثير من المصارف إلى إنشاء دوائر خاصة لادخار الإسلامى جعلت أعمالها فى دائرة المطابقة المسموح بها من الإسلام .

(٢)

نعم ، لقد واجهت حركة البقطة الإسلامية هذا النظام الرئوى وكشفت عن سمومه وأخطاره ، حيث يتكامل خطره مع القانون الوضعى والتعليم العلمانى وفساد معطيات الحضارة ووسائل التسليه والترفيه وتبنت فى السنوات الأخيرة تياراً اقتصادياً إسلامياً جديداً يقوم على نظام الإسلام وهو وإن كان لا يزال بخطوطه الأولى ولكنه يتقدم بسداد وحزم ليقدم النموذج الإسلامى للعالم كله فقد حققت المصارف الإسلامية فى ثلاث سنوات أكثر مما سحقت المصارف الرئوية فى خمسةة عام .

وقد ضمت دار المال الإسلامى ٢٤ مصرفاً (بالإضافة إلى ١١ مصرفاً أخرى) فى ٤٤ دولة إسلامية و ٣٠ شركة تكافل وعشرين شركة استثمار وأربع شركات للأعمال .

وتحاول هذه المصارف جميعاً تجميع أموال المستثمرين المسلمين لتوطينها وفق أصول الشريعة بعيداً عن الربا وقد بلغ رأس مالها المطروح ألف مليون دولار

وانضم شبكة متكاملة لخدمة الاغراض المالية والتجارية والاستثمارية في مجال الزراعة والصناعة على أساس إسلامي كبديل للنظام الربوي والاقتراض بالفائدة وتشكون مشاريعها بالمشاركة في الربح والخسارة . (١٤٠١ هـ) .

ولكن عالم الغرب لا يسلم بسهولة بل أنه يحاول أن يثير الفبار في وجة هذا الاتجاه لصرف المسلمين عنه ، كما يحاول فرض سيطرته من ناحية أخرى حيث يحاول دون تمكن البلاد الإسلامية من الحصول على التكنولوجيا وبفرض ربط تصدير النفط بالحصول على بعض المشاريع التكنولوجية في مجال الصناعة والزراعة ولكنهم يرفضون تماما تزويد المسلم بالعلم الاستراتيجي مع أن النقط إلى جانب أنه وقد فهو سلطة إستراتيجية عميقة التأثير وبعمدة المدى .

(٣)

يقول الدكتور أحمد التجار الأمين العام لاتحاد البنوك الإسلامية : أن كثيراً من إساتذه الاقتصاد الغربيين في ألمانيا ويوغسلافيا وفرنسا وإنجلترا وأمريكا يفهمون حقيقة حركة البنوك الإسلامية باكثر مما يفهمها اساتذة الاقتصاد في كثير من البلاد الإسلامية .

وأن هناك من تزعج من أذخال الإسلام ومفاهيمه في الاجهزة الاقتصادية بإدعاء أن أمور الاقتصاد يجب أن تقوم على المنطق والأرقام ولا يمكن أن تقوم على العقائد ، وفي مؤتمرات عقدت في لندن وباريس وأمريكا تبين أنه من السهل إقناع الاقتصاديين الغربيين بالفكرة ولكن من الصعب إقناع بعض الاقتصاديين المسلمين بها .

أن تجربة البنوك الإسلامية بدأت في نطاق محدود ولكنها كانت بداية طريق جديد من الفكر الاقتصادي العالمي لأنها تميزت بدخول الاسلام بما يشتمل عليه من ثروة ووحية وخلقية في مجال النظام المصرفية والفكر الاقتصادي الذي يحل مبدأ (المشاركة محل الفائدة) فالبنك الاسلامي يعمل ليشتري طالب التمويل بالخدمة لتلبية مشروعة ويقدم جديد البنك يقدم خبرته وأمكاناته على صورة

يمثل فيها التعاون ضرورة للطرفين ويريد على ذلك أن يأخذ النقود صفة الجبرية والبنك الاسلامي لهذا يوجه نشاطه كله نحو التنمية :

البنوك التجارية تدعى أنها تشارك في الاستثمار ولكنها في الحقيقة تباع النقود مقابل الثمن ان يريد ، والريح الذي تحققه هذه البنوك ليس نتيجته مشاركة في الحياة الاقتصادية ولكن نتيجته الانجار في النقود باعتبار أن النقود في ذاتها سلعة تباع بربح هو الفائدة ، وعلقة القوائد الممنية هي التي أدت إلى ظاهرة التضخم العالمية ، فإذا التينا نظام القوائد ووضعنا نظام المشاركة سيكون قد وضعنا الأساس الاقتصادي السليم للتنمية .

إن حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم حدد جوهر التعامل الاقتصادي فقال : الذهب بالذهب والفضة بالفضة والحنطة بالحنطة والقمح بالقمح والتمر بالتمر والملح بالملح ، يدا بيد ، مثلا يمثل ، فإن إختلفا فبيعوا كيف شئتم . .

والاصناف التي عددها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بوظيفة النقود فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمي النقود من أساءة إستخدامها حتى لا تختل المقاييس وبهذا الحديث فإن الاتجار بالنقود حرام والاتجار بغيرها حلال لأن النقود في المفهوم الاسلامي ليست سلعة ولكنها أداة لتحريك الطاقات في المجتمع وتحقيق التنمية والسبيل إلى ذلك أن يشارك رأس المال في العمل في تحقيق التنمية وهذا ما تقوم به البنوك الاسلامية .

وإذا كانت البنوك التجارية تهتم بذوى الدخول الكبيره فإن دور البنوك الاسلامية هو أن تمد يدها إلى كل مسلم مهما يكن دخله لأن كل شخص يمكن أن يدخر ولو بضعة قروش ، فإذا اتسعت دائرة المدخرين لتشمل المجتمع كاه فإن البنوك سوف تجد لديها من الاموال ما يكفيها لتطلق في العمل ومبادرات هذه البنوك لا توجه أموالها إلا في مشروعات إنتاجية مشورة وراجحة ، وتحسن إدارتها والاشراف عليها فإن المجتمع كله سوف تتحقق له التنمية الرشيدة من خلال هذه البنوك الاسلامية ولكن البنوك الاسلامية وهي بداية تغيير جذري

في المدايم المصرفية والاقتصادية مشكلتها الأولى الآن : هي توفير الكفايات المديرية الفاعمة لخدمة العمل فيها والتعمق في دراسة أحكام الفقه في البيوع والتجارة والافراض وغيرها . لقد بدأت البنوك الإسلامية عملها بالاستعانة بخبرات من البنوك التجارية وأصبح معظم العاملين فيها ممن تربوا في بنوك ولا يتصور أن البنوك يمكن أن تتقدم في فوائدها ، لذا كان من الضروري أن ينشئ الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية . مع بدأ متخصصا لاعداد الكوادر المتخصصة بالوعي الاقتصادي الاسلامي . وتأتى بذلك تكتمل للبنوك الاسلامية عوامل النجاح : الفلاسفة والافراد القادرون علميا وعاميا على إقامة صرح الاقتصاد الاسلامي . منسوبة من الشريعة ليثبتوا للعالم أن الاسلام قادر على علاج مشكلاته . الاقتصاد بشكل علمي متقن .

(٣)

لقد كان لهذا الاتجاه الجديد آثاره الواضحة في مواجهة عقبة من أضخم العقبات وفي وجه تطبيق الاسلام ، ومن ثم بدأت تشكل جماعات من الاقتصاديين الاسلاميين الذين يقتنون مفهوم الاسلام الاقتصادي ويشرحونه ويفسرونه ويضعونه في قوالب عصرية صالحة للتطبيق .

وبذلك انتهت تلك المرحلة التي بدأها رفاة الطباطبائي وخير الدين التونسي (١٨٣٠) تقريبا وهي مرحلة الانهار بالنظم الغربية وتبررها بدعوى أنها إسلامية الاصل ، والمعروف أنه عندما وصل رفاة الطباطبائي وخير الدين التونسي إلى باريس وانصلا بالفكر الغربي لأول مرحلة من رسالتهم المشرقة اكتشفا أن ما تلقاه هو شيء قريب مما يعلمون من فقه الاسلام وعلومه حتى ظنا أنه يمكن نقله أو اقتباسه بوضعه بضاعة المسلمين قد ردت إليهم ، وكان هذا فيما سادها حقيقة الاقتباس والنقل الذي تم في الغرب لعلوم المسلمين ومفاهيمهم ، ذلك أن الغربيين عندما أخذوا علوم المسلمين قد أخضعوها لأمرين :

اولا : أخضعوها لأطار فكرهم المسيحي ولبوناني والروماني القديم ثم أخضعوها لا هوائهم فزعموا أنها طابع الاسلام "تأثم على الآخرة البشرية

والرحمة والغيره على العرض) فإن الفكر الغربي في هذه المفاهيم الثلاثة خاضع للفكر اليوناني قديم الذي تجدد تحت اسم قتل الضمياء على يد نيتشه ، أو الإباحة في العلاقات بين الرجل والمرأة أو من حيث إستغلال العنصر على الاقوام الأخرى يدعو الرجل الأبيض صانع الحضارة في هذه العناصر الثلاثة تجاوز الفكر الغربي مفاهيم الإسلام وخضع لمفاهيم الفكر البشري القديم المتجدد إذ ذلك ، أما شيخنا (الطمطاوى والتونسي) فانهما لم يتنبا إلى هذه الفوارق حتى جاء الدكتور محمد عبد الله العربي وجيل آخر من الشباب المسلم الذي درس القانون في الغرب دراسة أكاديمية بعد مائة عام (١٩٣٠) وقالوا : أن الامر مختلف تماما ، وإن المسلمين لا يستطيعون الاعتماد على الفكر الغربي في بناء المفاهيم المستعثة في القانون أو الاقتصاد أو السياسة أو العلم أو الحضارة .

بقول الدكتور العربي : أن الفكر السياسي الغربي يرى أن الأديان السماوية ليست لها رسالة في أمر الدولة وشؤون الحكم فهذه من شؤون الدنيا التي يتفرد البشر بتنظيمها على أساس ما يقصر لقيصر والله لله ، واسكن الإسلام وطبع الأصول التي يجب كل مجتمع إنساني أن يسير على نظامها .

والمسلمون اليوم يستأنفون بناء نظامهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي في إطار الإسلام بعد أن خضعوا طويلا نتيجة الاحتلال الأجنبي للانظمة الغربية الوافدة .

(٤)

في إطار حركة اليقظة الإسلامية يتجمع العلماء الآن والخبراء لقديم خبرتهم وفهمهم للمنهج الاقتصادي الإسلامي وبناء المنهج الإسلامي في المعاملات الاقتصادية ، ذلك المنهج الذي اتفق الجميع على أنه طوق النجاة الأنظمة الاجتماعية العالمية شرقه كانت أم غربية ، شريعة أو اشتراكية أو رأسمالية وقد كشفت بحاث الخبراء عن أن تراثنا الإسلامي الوفير مليء بالكثير من الحلول لمشكلاتها وإن الإسلام يقدم النموذج الأمثل وقد عرضت الابحاث الإسلامية لمفهوم المنهج الاقتصادي قدمت المقومات التي تحقق لإتحام هذه العقبة ، وتفتح الطريق إلى التطبيق الإسلامي .

وقدم الدكتور شوقي الفنجري تصوراً صحيحاً جامعاً للاقتصاد الإسلامي
فيقول أنه كالعلة الواحدة ذات وجهين :

أولهما : وجه ثابت يتعلق بالمبادئ والأصول الاقتصادية الإسلامية حسبما
وردت بنصوص القرآن والسنة كأصول الحرية الاقتصادية المقيدة ، وأصل
التنمية الاقتصادية الشاملة وأصل ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع .

ثانيهما : وجه متغير يتعلق بالتطبيق ، أي كيفية أعمال الأصول الاقتصادية
الإسلامية ومواجهة مشكلات المجتمع المتغيرة كبيان نظام الملكية العامة ومدى
تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، وإجراءات تحقيق كفاية الانتاج أو متابعة
تنفيذ خطط التنمية والاقتصاد وبيان مقدار حد الكفاية ومن ناحية أخرى
هذه المجموعة من الحقائق :

أولاً : أن دور دارسي الاقتصاد الإسلامي (مذهبا ونظاما) هو دور
الكاشف لا المنشئ ، فهو ليس كأى باحث إقتصادي حر في بحثه يتوصل إلى
الحدود الاقتصادية كيفما يشاء وإنما هو مقيد في الكشف عن الحكم في المسائل
الاقتصادية بنصوص القرآن والسنة وذلك إذا وجد النص فإن لم يكن فهو مقيد
بالاجتهاد لاستظهار الحلول الاقتصادية الإسلامية لتلك القضية وذلك بالطرق
الشرعية المقررة من قياس وإستصلاح وإستصحاب ، ولا يعتبر الحل الاقتصادي
إسلاميا إلا بقدر التزامه بنصوص القرآن والسنة وإتباع العارق الشرعية المقررة .

ثانياً : الاقتصاد الإسلامي اقتصاد متميز له ذاتيته المستقلة ، فإن بحوث
الاقتصاد الإسلامي مازالت تنصف بالصفة العلمية محدودة للغاية وذلك
لأن تدريسه كمادة مستقلة هو بدورة حديث للغاية ، ذلك أن جامعات العالم
الإسلامي تدرس الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ولا تدرس الاقتصاد
الإسلامي .

وللاقتصاد الاسلامي وجهان :

الوجه الأول : مجموعة الأصول الاقتصادية الاسلامية المستقلة من صريح

نصوص القرآن والسنة وهي على ماسبق بيانه إلهية بحته (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ومن ثم فإنها منزله عن الخطأ وصالحه لكل زمان ومكان .

الوجه الثاني : هو مجموعة التطبيقات الاقتصادية الإسلامية سواء كانت في صورة نظام أو نظم على المستوى العلمى أو في صورة نظرية ، أو نظريات على المستوى الفسكرى ، فهذه كلها إجتياديه بحيث يحوز الخلاف حولها ويقل التغيير والتبديل باختلاف الأزمنة والامكنة ويقبل اختلاف الاجتهادات حسب الظروف والتقدير ، بحيث لا نتجاوز الاصل الثابت بنص القرآن والسنة وهو ما لا يتناول سوى التفاصيل والتطبيقات وهو ما عبر عنه الاصوليون بقولهم (تغير الاحكام بتغير الأزمنة والامكنة) وقولهم بأن إختلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان وقد عبر عنه الشيخ ابن تيميه :

(أنه إختلاف تنوع لا إختلاف تضاد) وقد كان ابن حزم يتخذ لإتجاهها جماعيا بينما يتخذ ابن خلدون لإتجاهها فرديا .

ثالثا : الاقتصاد الإسلامى يجمع بين الثبات والتطور ، الثبات من حيث الأصول أو المذهب الاقتصادى والتطور من حيث التطبيقات أو النظم الاقتصادية

(٣)

قدرة الاسلام على حل مشاكل المجتمع الاقتصادى :

لا جدال فى أن الإسلام يعد مصدرا أساسيا لتقديم حلول فعالة لمشكلات الهامة فى كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية ، فالإسلام نظامه الاقتصادى الذى يحقق هذه النتائج عندما يلتفت ما خلاص وقد شهد غير المسلمين بل المسلمين بأن الإسلام مازال حتى الآن لقوة الروحىة والخلقية التى تحجب التقدم والتكافل ، فيقول هاملتون جب : « ولكن الإسلام مازال فى قدرته أن يقدم للإنسانيه خدمة سامية جليلة ليس هناك أى قوة سراه يمكن أن تنجح مثله نجاحها باهرا فى تأليف الاجناس البشرىة المتنافرة فى جهة واحدة أساسها المساواة » .

الموارد الرئيسة متوافره لدينا ولدينا التقنية والمعرفة العلمية ولدينا التاريخ ومع ذلك فتحسن نتطلع إلى الآخرين عند اختيارنا للمنهج الذي نهتدى به بدلاً من البحث عنه في واقع تراثنا وحضارتنا ومعقداتنا ، وعلى ذلك يتعين علينا إدراك القيم الإسلامية ومبادئ الاقتصاد الإسلامى ثم تطبيقها عملياً فههنا الإسلامى أولى بالاتباع (عبد العزيز حجازى) .

يستطيع الإسلام اليوم والعالم يبحث عن النظام الاقتصادى العالمى ومع الخبرة التى يعيشها عالم المسلمين وسط النظم الوضعية التى يطبقونها ، أن يقدم المنهج الذى يحقق الرفاهية للشعوب ويسد الفجوة بين الاغنياء والفقراء ويقرب المسافة بين الشعوب المتخلفة والنامية والمتقدمة ، تلك التسميات التى ارتبعت فى الاذهان يقوانين الاحصاء وأنبعدت عن قوانين السماء :

والسؤال هو : هل حقق التقدم الاقتصادى المعاصر «سعادة الإنسان» ، وابن السكينة التى يتطلع إليها البشر ، بل أين الرفاهية الحقيقية أى يتطلع لها الإنسان ، أن الشعوب القادرة تضر بزوجاتها وما تفيض به على الشعوب المحتاجة فهو قليل ، وهى تضع الحواجز السياسية بين العالم الغنى وعالم الفقر ، وتهلك الثروة التى وهبها الله لها .

(٣)

للإسلام رأى فى قضايا التنمية والاستثمار والانتاج والاستهلاك والتحويل والشكافل والإدارة والمحاسبة ، وفى قضية الانسان والسكان .

ويرى المنهج الإسلامى على أسس واضحة :

المحور الأول : العبودية لله (الخضوع والطاعة) والتوحيد للخالق الرازق لا شريك له ، ومن غير هذا الايمان بالوحدانية والقدرة الالهية يفقد المنهج الإسلامى ودعائمه الأولى ويختصر الفكر الاقتصادى فى أمور وضعية ، يعيشها وتشكو منها ويحاول التغلب عليها أو للتخلص منها فلا يقدر ، من أجل هذا لا بد أن يقوم الفكر الإسلامى فى الاسلام قبل كل شئ على العقيدة بالتوحيد .

المحور الثاني : إنطلاقاً من مفهوم العبودية لله سبحانه وإن الثروة من خلق الله وإن المال مال الله وهو للمالك لئكل شيء ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، وإن الإنسان خير خلق الله لاستخلفه في الأرض لأعمارها والعمل بشريعة الله ، وخلق في أحسن تقويم وعلمه البيان وترك له حرية الاختيار وفتح له آفاق العمل وطالبة بأن يكدح إلى ربه كدحاً ، وإن ليس له الأمامسى . وإن سعية سوف يرى وأنه سيثوق الجزء الاوفى ، وهكذا تتأكد الركيزة الثانية للاقتصاد الإسلامى وهى : أن الانسان هو الهدف .

وإن تمييز الإنسان بنعم العقل والتفكير والتدبير تفرض بالضرورة التكليف والاعتراف بمجموعة من المسلمات والضرورات للقوטיפغ الحياتية للإنسان وهى :

١ - الخاضوع لحكم الله ويتطلب ذلك قدراً من القناعة والرضا بما قسم الله من الارزاق .

٢ - العمل ، السعى ، الكدح ، اجتغاء مرضاة الله .

٣ - الاعتراف بالدرجات (فضلنا بعضكم على بعض درجات) .

٤ - المحاسبة عن الأعمال (الاعتراف بالثواب والعقاب فى الدنيا والاخرة) والواضح أن الكثير من مشكلات المجتمع الحديث والمعاصر ترجع إلى الخروج عن واحد أو أكثر من هذه المسلمات أو الضرورات .

فالمجتمعات التى تعتنى بالمادية وتعتبر الإيمان بالله ضرباً من الشعوذه ، تفتقد الروح الإيمانية ، والمجتمعات التى تنتشر فيها الأمية وتقتصر فيها الافراد عن البحث والمعرفة أو تلك التى تسود فيها البطالة الظاهرة أو المقتمة أو تلك التى تسود فى الانتفاع بثرواتها يقال عنها دول متخلفة ، أما تلك التى تسيطر فيها أحكام السلطة الفوقية أو يتحكم فيها القوى الحزبية (الشمولية) فتحقيقاً للمساواه الكاذبه بين أفراد المجتمع .

وتقتضى فيها على روح الحرية والمنافسة والتكافؤ فى الفرص التى أتاحها الله

لعباده تفقد الإنسان أحد المقومات الرئيسة للحياة القديمة وكل هذه الانحرافات تؤدي بالجمتمع إلى التخلف وبالإنسان إلى الضياع وحتى تستقيم الحياة لأبد من أن يطبق منهج الله في المعاملات باعتبار أن الإنسان مستخلف في الأرض فعليه التمسك بالحقوق والقيام بالواجبات وطاعة الأوامر والابتعاد عن النواهي .

المحور الثالث : إذا كانت الثروة من خلق القادر والمال مال الله والإنسان مستخلف في الأرض فإن الانتفاع بنعم الله وخيراته يستوجب تنفيذ أوامره وتجنب نواهيه فإنه مسئول عن تنمية هذه الثروة في كل نشاط حلال وحسب أولويات يتلاقى متطلبات الإنسان حسب أمكانياته وقدرته المتوافره ، والتي يمكن توفيرها في المجتمعات الأخرى التي تسكمل بعضها مع بعض ، ومعنى ذلك بالضرورة تحديد الأهداف التي توجب من تطبيق المنهج ، ومعنى هذا أن (الرفاهية) لا يمكن تحقيقها إلا بعد تحديد (حد الكفاية) الكفاية كما تدعو إليه رسالة الاسلام (عبد العزيز حجازي) .

اللامح العامة

السمة المميزة للاقتصاد الاسلامي هي القرآن والسنة

أوكاة خير علاج للالتزامات الاقتصادية .

لا تناقض بين الدنيا والآخرة وإباحة الطيبات .

بتقاء مرضاة الله هي الأساس .

أوامر الله هي هداية لتحقيق مصلحة الإنسان وليس قيوداً تضيق

بمصلحة الإنسان لتحقيقها .

الاستهلاك والسعي لأجله ما هو فرض أو مباح أو حرام .

حسن النية والشكر عما غنط الثواب على الاستهلاك .

أن المسلم إذا إتفق تفقة على أهلها وهو يحبسها كانت له صدقة (

- أن النية تحول العادة إلى عبادة .
- دعا الإسلام إلى الانفاق : وأعطاهم التفقه على الأهل .
- الانفاق من غير كفران لأنعم الله أو تجاهل الآخرة أو رفض مشاركة المحتاجين ومن غير ترف وتعد .
- حاجات الإنسان الضرورية هي موضوع المشكلة الاقتصادية .

وقد عدده الإمام محمد بن الحسن الشيباني بقوله : إن الله تعالى - لما خلق أولاد آدم خلقا لا تقوم أبدانهم إلا بأربعة أشياء :

- ١ - الطعام ، (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين)
- ٢ - الشراب (وجعلنا من الماء كل شيء حي) .
- ٣ - الملابس (يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سوء آتكم وريشاً)
- ٤ - المسكن (وخلق الإنسان ضعيفاً) .

حاجة الإنسان إلى مسكن يقيه الحر الشديد والبرد القارس والعلاج والتعليم والأمن حاجات ضرورية تكفل بها النظام الإسلامي .

وقد أعطى الإمام الشيباني اعتبار العلاج والصحة من الضرورات (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) و (ولا تقتلوا أنفسكم) .

ثانياً : أن لب المشكلة الاقتصادية : حاجات الإنسان من غذاء وكساء وادوات لإنتاجه نتيجة قصور الإنسان في محيطه المحدود عن إنتاج كل ما يلزمه وهو يعبر عن ذلك بعبارة (أن سعى الإنسان بما هداه له الله التماس لفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من الغذاء غير موفيه له بمادة حياته ولو فرضنا فيه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم) .

ثالثاً : التمييز بين السلع الضرورية والكمالية ، فإذا ارتفع مستوى معيشتهم

وحققوا مزيداً من الرفاهية فانهم يتحولون إلى السلع الكمالية فـا تزيد أموال
الرفه والذخه وذلك من خلال نشاط الصناعة والتجارة .

رابعاً : الأرض كلها هي ميدان النشاط الإنساني فغاية هذا النشاط الواسع
المتراعى الأفاق هو ابتغاء فضل الله ومعنى ذلك أن السعى في الكسب وتحصيل
الرزق لا خطأ فيه ولا عيب بدلالة وصفه - فضل الله - ولكن لا تلبث الآية
أن تعود إلى ذكر الله حتى لا يتحول النشاط الاقتصادي تجارة أو صناعة
أو زراعه إلى عمل يتجرد من دوافع الإنسان الفاضله وحوافز الانسانيه الساميه .

(٥)

حاجة العالم إلى النظام الإسلامي :

أولاً : لقد تبين أن النظام الاقتصادي العالمي أخفق وإن العالم أمام طريق
مسدود وطالبت الدول بنظام عالمي جديد ، سبب الاخفاق هو تمسك الدول
الصناعيه بالنظام القائم وعدم موافقتها على ادخال أي تغيير عليه ، حيث في استطاعة
الغرب ضرب أي محاولة من الدول النامية للتحكم في تصدير سلعها ، حتى المنظمات
الدولية التي إنشئت لتقديم المساعدات للعالم الثالث فهي أدوات في يد الدول
المتقدمة صناعياً تستخدمها لتكريس نفوذها ومصالحها الاستراتيجية والسياسية
والتجارية وهي تحرم الدول التي تعتبرها معادية للغرب ، والدول التي تتلقى
المساعدات تقدمها لها بشروط قاسية وقوانين ربوية تجعل الدين الاصلى يصل إلى
ثلاثة أمثاله عن انتهاء السداد .

ثانياً : يرى الدكتور مصطفى السعيد أن الصيحة للمطالبة بنظام عالمي جديد
أصبحت تجد إستجابته في عالم الغرب بعد أن كانت تحت تأثير إعتقاد جازم بأن
التقدم المادى المضطرد قد شارف حد الكمال غير ان الرقى المادى لم يحقق السعادة
المرتبجة للجنس البشرى فما زالت الشعوب المتخلفة مغلوبة على أمرها تستغلها
الدول الصناعية المتقدمة وقد ضاعت روح التمييز بين الحق والباطل وأصبحت
الانانية والمبث يحقون الغير وعدم الاكتراث بالمسؤوليات الاولية وبالحفاظ على
سرية الحركة من السمات الجديده لمعجيه العهود الاول .

ثالثاً : أن موقف الإسلام من الربا موقف حاسم لا يقبل التراجع مهما برره بعض المفتين أرواء لأصحاب المصالح . وقد أجمع علماء المسلمين في مؤتمر البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٥ على أن كل الربا قليله وكثيره حرام ، لا فرق في ذلك بين ربا القرض الاتجاري أو القرض الاستهلاكي ولا بين الوديعة لأجل أوقائده صندوق التوفير فكان لابد من قيام المصرف الإسلامي الذي لا يتعامل بالربا لا أخذاً ولا إعطاء .

فرسالة المصرف الإسلامي هي :

١ - الفاء سعر الفائدة على معاملاته .

٢ - تضحيب مسار الاقتصاد لما فيه خير البشرية .

والربا هو الزيادة التي يتألفها الدائن من المدين نظير التأجيل في معاملة الدين بينهما ، أما (الربح) فهو الزيادة التي يتألفها البائع من المشتري على قيمة السلعة في معاملة البيع وبإزاء الربح تستعمل كلمة الخسارة إذا ما بيعت السلعة بقيمة أقل من قيمتها المتكلفة .

ويقول غير المسلمين : إنما البيع مثل الربا ، أي أن الزيادة التي توجد في البيع على قيمة السلعة التكميلية هي مثل الزيادة التي توجد على رأس المال في معاملة الدين وقد رد القرآن على اعتراضهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) أي أن الزيادة في المال في البيع شيء آخر فقد أحل الله الأولى وحرم الأخرى ، فمن أراد المنفعة فعليه أن يحترف البيع بنفسه أو يشارك غيره فيه ولكن حرام أن يطلب الزيادة باقراض الناس أمواله .

ولا يتيح الإسلام للإنسان أن يضع رأس ماله ويأخذ ربحاً محدوداً عليه ، فإنه إن كان مشريكاً حقاً فيجب أن يتال نصيبه في الربح وفي الخسارة معاً أي كان الربح وأيا كانت الخسارة فالربا هو كل زيادة مشروطة على رأس المال أي ما أخذ بغير تجارة ولا تعب وزيادة على رأس المال فهو ربا ، الفوائد الزائدة

على رأس المال خدمات بغير مشاوكة ولا مخاطرة ولا شيء من المتاجرة فهذا هو الربا الحرام ، والحرام لا يملك ويجب التصرف فيه بالتصدق ، وقال البعض يقدم جواز أخذه صدقه .

ولقد كانت الزكاة هي الوسيلة المخططة لتوسيع قاعدة الاستهلاك الذي يدفع بدوره عجلة الانتاج ويتيح فرض العمل لمزيد من الناس .

التنمية في إطار إسلامي هي أوسع في مفهومها من مجرد التنمية الاقتصادية والتنمية في الاسلام ليست مجرد زيادة في الانتاج ، مع أن هذا ضروري وأساسي .

ولكنه مجرد وسيلة لهدف أبعد وهو : تأسيس نظام اجتماعي هادئ ، أن مجرد الوصول بالانتاج إلى أن الاقصى ليس هو ما نطمح إليه بل الهدف المزاوجة بين زيادة الانتاج وعدالة التوزيع ، وبذلك يكون هناك استثمار كامل للمصادر من جهة وتحقيق للعدالة والمساواة لأفراد المجتمع من جهة أخرى ، لما إذا زاد الانتاج وزاد إستغلال الانسان ومعايانه فهذا ليس هو النقط من للتنمية الذي يسمى إليه الاسلام ، وهذا ما تعاني منه المجتمعات الاسلامية حالياً أن المجتمع الاسلامي قد واجه هذا التحدي من قبل عندما تدفقت الثروة على المسلمين من الافطار المفتوحة وقد واجهه عمر بن الخطاب يومها هذا التحدي لا بشيعة قيام نخبة تستأثر بالثروة بل يتوزع الثروة بحيث يفيد منها جميع أفراد المجتمع واستخدامها لتنمية أوسع ، هكذا أقام عمر بن الخطاب نظاماً حيويًا للأمن الاجتماعي . أن تكافؤ الدول الاسلامية ولو بشكل وحداتٍ متقاربة جغرافياً ضروري جداً لمستقبل اقتصادي آمن والتكامل الاقليمي المناسب يحل كثيراً من المشكلات الاقتصادية . التكامل الاقليمي والاعتماد الاقليمي المتبادل يجب أن يكون محور خطط المستقبل وأقامة المصانع قرب المواد الخام ووجود اليد العاملة . وتأمين تدفق السلع بين مختلف الاقاليم الاسلامية وتأمين الاكتفاء الذاتي لهذه الاقاليم ، إستغلالاً أمثل للمصادر .

باب السابع

تحديات في وجه الثقافة العربية الإسلامية

أولاً : مناهج الثقافة

ثانياً : ، الأدب

ثالثاً : ، اللغة العربية

رابعاً : ، التاريخ

خامساً : ، العلم

سادساً : ، الفلسفة

سابعاً : ، الفن

أولاً: مناهج الثقافة

في مجال الثقافة الإسلامية : تتجمع سحب التغريب والشعبوية ومحاولات تعظيم الطريق المضيء الذي أضاءه الإسلام ، ليبدوا مظلماً خائياً في ميدان اللغة والفنون والتاريخ الإسلامي والمضارة بمجد تلك التحديات التي تهدف إلى إخراجها جميعاً من الأصالة واحتوائها بالمطروحات الوافدة التي تفسد طابعها الإسلامي الأصيل ووجهتها الربانية شأنها في ذلك شأنها في مجال الاقتصاد والقانون والمجتمع والتعليم .

ولقد كان الهدف من ذلك واضحاً هو تأخير الفكر الإسلامي عن الوصول إلى غايته في فتح الطريق أمام تحقيق الإرادة الإسلامية في بناء المجتمع الإسلامي واستئناف الحضارة الإسلامية عطاياها من جديد .

ومن هنا فقد كان لابد من إعادة النظر في مناهج الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي ، يوضع مناهج جديدة تعبر عن أراءنا ، وعلى الجامعات الإسلامية أن تسد أمانة الالتزام الإسلامي والدفاع عن قيم الإسلام وتصحيح المفاهيم التي أفسدها النفوذ الأجنبي وكان النفوذ الأجنبي قد أنشأ هذه الجامعات على أنها مؤسسات بلا هوية ، وبجعل أبرز أعمالها دراسة فكر الأغريق والرومان في القديم وفلسفات الغرب في الحديث ، ودراسة تاريخهم وأبطالهم دون دراسة فكر الإسلام وحضارته ، أو دراساتها دراساً مشوهاً مليئاً بالادس المقصود لكي يكون المواطن المسلم حاضياً غيباً لثقافته ودينه .

(٢)

ولما كانت الثقافة العربية (إسلامية الانتماء والالتزام) فقد وأجهت من تأثير النفوذ الاستعماري الوافد تحديات خطيرة من دعوات تريد أن تنيع ذاتية الثقافة الإسلامية وتختلط بينها وبين الثقافات تحت اسم عالمية الثقافة أو دعوات تريد أن تفصل بين حلقات التاريخ المتصلة تحت اسم (المعاصرة والحداثة) وكل هذه الدعوات إنما تستهدف فكرة الارتباط الحقيقي بين الثقافة الإسلامية

العربية التي تعيشها وبين جذورها العميقة المتصلة بالاسلام والتراث الاسلامي العربي في عصوره المختلفة .

كذلك فإن هناك شبهات كثيرة مثارة حول قيم الثقافة ووجهتها وخصائصها وعلاقتها بالفكر والدين والمعرفة مما يتطلب تحريره والكشف عن وجه الحق فيه .

والثقافة ليست مجموعة من الافكار ولكنها نظرية في السلوك وبها يرسم طريق الحياة إجمالاً فيما يتمثل عليه الطابع العام الذي ينطبع عليه شعب من الشعوب ، وهي تمثل الوجوه المميزة لمقومات الامة التي يتميز بها عن غيرها من الجماعات بما تقوم به من العقائد والقيم واللغة والمبادئ والسلوك والمقدسات والقوانين والتجارب ومن ثم فكل مجتمع له ثقافته التي يقسم بها ولكل ثقافة مميزاتها وخصائصها التي تحدد شخصيتها وبإيجاز فإن الثقافة « طريقة خاصة ، تميز أمة بعينها عن أمم أخرى ، ومعنى هذا أن الثقافة العربية الاسلامية تختلف عن الثقافة الغربية في أن مقومات كل منهما تختلف عن الأخرى .

فالثقافة العربية اللغة الإسلامية المصدر تستمد كياناتها من الاسلام والقرآن واللغة العربية وتراث الاديان المنزلة ، بينما تجدد الثقافة الغربية (أياً كان نوعها غربية أو ماركسية) إنما تستمد مصادرها من الفكر اليوناني واللغة اللاتينية وتفسيرات المسيحية التي وصلتها ، — ومن هنا يبدو الفارق وأضحى بين مصادرها الثقافات ، ويتجلى بوضوح دعوة النفوذ الأجنبي إلى ما يسمى بوحدة (الثقافة) العالمية ، ولوقبل وحدة (المعرفة) العالمية لكان ذلك مقبولا ، لأن المعارف تضم المعارف والعلوم العامة التي هي ملك للبشرية كلها ، ذلك أن الثقافات « تية وخاصة ومنصله ياعلم لا تنفك عنها ، ومن أجل ذلك فهي لا تنصهر ولا تندمج في بوتقة واحدة ، ولكنها تتلاقى وتتعارف ، ويأخذ بعضها من البعض الآخر ما يصاد وجوده أو يتعارض مع الأصول الأساسية لمقومات فكره وقيمه وإذا تتيته .

ومن هنا فالتنازع بين مطروح الغرب الفاسد في دعوته إلى أن تقبل الأئمة

الاسلامية الثقافة والحضارة معا ، ونحن لا نقبل ما يتعارض مع قيمتنا ومفاهيمنا وأسلوب عيشنا وهي دعوة مسمومة مضللة تستهدف تحطيم معنويات إمتنا وتدمير مقوماتها والقضاء على شخصيتها وهدم ذاتيتها ودفعها لأن تذوب في بونقة الامة والعالمية فتفقد وجودها وتصبح غير قادرة على مقاومة الغزو والاستلاب .

وتختلف الثقافة العربية الاسلامية عن الثقافات الغربية الوافده في جماعيتها ونسكها لما فقد إستقامت على كلمة الله الحق بالتوحيد وإستمدت من القرآن الكريم قيمها الاساسية : عبادات ومعاملات واخلاقا ، نظام مجتمع ومنهج حياة ، جامعة بين العقل والقلب ، والروح والجسم ، والدين والعالم ، والدينا والاخرة .

ودلك بيننا أن الثقافات الغربية تقوم على أساس الفصل بين الاهوت والحياة وعزل الامور الروحية عن الامور الجسدية ، وتقوم على الانشطارية في عالم الفكر والانسامية في عالم الحياة كذلك فإن الثقافة العربية الاسلامية تقدم اولية الخلق على الجمالي وتوازن بين الروحي والمادى ، وتنقسم بضبط الرغبات الحسية والانسجام بين معطيات العقل ومعطيات الروح .

والثقافة العربية الاسلامية ليست شرقيه ولا غربية ، وهي ليست مركبا للثقافتين ولكنها ثقافة مستقلة لها ذاتيتها الخاصة ، إستمدت وجودها من القرآن الكريم والاسلام والالفة العربية ، وقد قامت على أساس التكامل بين القيم وهي في هذا تختلف عن الثقافات الغربية التي تعلى من شأن المادى على الروحي وتفصل بينهما وتعلى من شأن الجمالى على الخلقى . وقد وازنت الثقافة الغربية الاسلامية بين جوانب العقل وجوانب الوجدان ورفضت أعلاء المعزلة للعقل وأعلاء الصوفية للوجدان وحافظت على « المفهوم المتكامل الجامع » .

ثانيا : مناهج الأدب

إن خصائص الأدب العربي التي تميزه عن الآداب العالمية المختلفة في الشرق والغرب ترجع إلى البيئة التي نشأ فيها والفكر الذي تشكل في أطواره والتحديات التي واجهته في طريق مسافة الطويل . وقد أعطى القرآن الأدب العربي العامل الأعظم في ثباته وظهور فنونه وعلومه ومناهجه ، وهو الذي أغنى العربية بالأساليب والمضامين ، والأدب العربي لا يمكن أن يدرس في ضوء مناهج وضعت لأدب أخرى ، ذلك أن أساليب النقد والبحث إنما توضع للأدب بعد ظهورها ، ولذلك فهي مستمدة منها وليس العكس ، أن مذاهب الأدب التي يحاول النقاد عاكمة الأدب العربي إلّاها هي في جملتها مذاهب غربية وضعت مسمياتها ومناهجها بعد قيام ظواهرها في الآداب الأوروبية وهي في الحق ليست مذاهب وإنما هي أسماء عصور كالكلاسيكية والرومانسية وغيرها وهي تتمثل في مجموعها بتاريخ الأمم التي وضعت هذه المذاهب ، فلماذا تنقل لتكون قوانين يخضع لها أدبنا الذي يختلف في تكوينه وطابعه وتاريخه وبيئته ومظاهر حياته عن هذه الآداب ، أن اختلاف المصادر والمنابع بين الأدب العربي والآداب الغربية يجعل من العسير خضوع الأدبين لمقاييس واحدة أو لقوانين واحدة ، والمعروف أن الآداب الغربية جميعا تستمد مصادرها من الأدب الهليني والفلسفة اليونانية والخصارة الرومانية فقد أنتجة الأدب الأوروبي الحديث منذ أول ظهوره في عصر النهضة إلى هذه المنابع وربط نفسه بها ، ولا ريب أن الأساس التي تقوم عليه الآداب الغربية بمختلف فنونه وبيئاته تختلف اختلافا واضحا عن الأساس التي يقوم الأدب العربي الذي أستمد مصدره أساسا من القرآن الكريم والإسلام والعقيدة العربية الأصيلة التي تلاقت مع مفاهيم الإسلام وانصهرت معها .

وقد واجه الأدب العربي عددا من النظريات الوافدة في مجال النقد الأدبي منها بعض الأدباء في نطاق الدعوة إلى تجديد الأدب العربي ، وقد خالفت هذه النظريات منطلق الأدب العربي وجذوره ، وعارضت ذاتيته الإسلامية العربية الخالصة واصطدمت بمزاجة النفس والعقل ، ومن هنا فقد سقطت وأحدة بعد

أخرى ، ولم نجد مجالاً للعمل والثناء والتشكيل مع الأدب العربي ، ذلك أن هذه النظريات في أصولها قد انطلقت من طوابع الأدب الأوروبية وذاتيتها وتشكلات وفق مضامين تلك الأداب وأعتمدت أساساً على النظريات التي بدأت في دائرة العلم الطبيعي ثم فرضت نفسها على الفلسفات والأدب وهي النظريات التي اعتبرت الإنسان حيواناً خاصاً لظروف البيئة خضوع مختلف الأشياء لها ، وهي نظرية مادية خالصة لا تتفق مع روح الأدب الذي يقوم على أساس ترابط واضح بين المادية والروحية وبين العقل والقلب والتي تعتمد قاعدة التوحيد الإسلامية أساساً لمنطلقها .

ويقوم منهج النقد الأدبي العربي (الحديث) الذي فرضه بعض الأدباء بعد الحرب العالمية الأولى على الأدب العربي على أساس مادي خالص فهو مبنى على أساس النظريات التي استمدت منهاجها من نظرية دارون في التطور وأصل الإنسان : هذه النظرية التي قامت في دائرة العلم الطبيعي ثم نقلها الفيلسوف هربرت سبنسر إلى مجال المجتمع فطبقها على مبادئ الاختلاق ثم جاء برونتير الناقد الفرنسي فطبقها على الاجناس الأدبية ، هذا فضلاً عن المفاهيم التي اعتمد عليها دعاة المذهب الغربي في النقد الأدبي ، والتي استمدوها من برونتير هذا ومن تين وسانت بيغ وهم يرون أن الإنسان ماهو إلا أثر من أثار البيئة بمضاهي الاجتماعي الواسع وأنه لا يكاد يفرق عن النبات والحيوان في انقضاء الحول وإنعدام الإرادة وما يتصل بهذا من أن الفضيلة والرزيلة ليست إلى حد كبير إلا نتاجاً لعملية تلقائية مثل الاحماض والقلويات فضلاً عما ترتبط هذه النظرة جميعها به من أثر نظرية التشوُّب والارتقاء من حيث إنزال الإنسان من مكان البطولة إلى مكان الحيوان الذي يعيش تحت رحمة القوى المحيطة به وقد نما هذه النظريات الباحث الفرنسي اليهودي (دوركايم) ، من مفاهيمه التي تلقاها بعض أدبائنا هؤلاء في جامعة المربون .

وجعلوا من كل هذا الخليط أساساً لنظريتهم في النقد الأدبي التي جرى تطبيقها على المتنبي وأبن خلدون والمعري ثم جرى تطبيقها على الشعر الجاهلي وعلى أدب القرن الثاني للهجرة ، وكان لها ذلك الأثر العميق من التصارب الذي أصاب القيم

٢٠ م — طريق النهضة

الأساسة للأدب العربي والفكر الإسلامى والثقافة والتي ذهب الباحثون المسلمون في تمقّب آثارها فلم يصلوا إلى هذا المعنى إلا منذ وقت قريب - بين تبين محاولة إخضاع الادب العربي للمنهج الاجتماعى الذى رسمه دوركايم - والذى يعترف بأن الإنسان حيوان اجتماعى وإن عتلف قيم المجتمع ليسب أصيلة فيه ، والمنهج النفسى الذى التقطه الادباء من نظرية فرويد - والذى يرى إن الإنسان عبد لشهوته وإن الجنس هو المحرك الاول لكل تصرفاته .

وقد غلب المذهب الاجتماعى على دراسات الادب والتاريخ ، وغلب المنهج النفسى على دراسات التراجم والشعر ، ومن هنا ظهرت تلك الآراء الغربية التى تبسك بها بعض الادباء والتي لا تفق من قريب أو بعيد مع مفاهيم الفكر الإسلامى والثقافة العربية الإسلامية .

وقد عارض كثير من الباحثين هذا المنهج الوافد في نقد الادب العربي

كذلك هناك خلاف حقيق حول إخلافية الادب فقد كان من أبرز مادعا إليه المذهب الغربى في الادب هو تحرير الادب من طابع الانحلاق ودفعه إلى تصوير الفرائز والأهواء في غير ما قيد وذلك باسم حرية الادب التى أطلق عليها مصطلح الفن للفن ، وقد إستهدفت هذه الدعوة التى أتت نطاشها وقامت من أجلها المناظرات والمحاضرات فضلا عن ذلك الفيض الضخم من القصص الفرنسية المكشوفة التى جرى ترجمتها وتقديمها بأسعار زهيدة وأقامتها بين أيدي الشباب والفتيات إستهدفت الاستخفاف بالقيم الأخلاقية والفنم لكل ما يتصل بالمعائد الدينية والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة إلى الإطلاق بدون حرج والجرأة على المقدسات بل أن ذلك قد جرى تطبيقه في بيئات مختلفة منها بيئة العلم الأماسية وقد لقيت نظرية حرية الادب ومعارضه لإخلاق نقداً وإعراضاً مصدره تعارضها مع طابع الادب العربي أصلاً وكشف الباطنون عن أن حرية إق نواس وإشار لم يكن مصدرها الادب العربي أو مفاهيم الإسلام الاجتماعية وإنما مصدرها تطلعاتهم الحسية واهدافهم الشعوية إلى إردوا الجهر بها لهدم مقومات الادب العربى الأصيلة وأعلاء مفاهيم المحوسية والآباحية التى تحرر منها الادب العربى بعد الإسلام .

ثالثاً : مناهج اللغة العربية

وأجبت اللغة العربية محاولات ضخمة من أساليب التغريب والغزو الفكرى ،
وغلبه في فصل اللغة الفصحى اللغة المكتوبة والفصل بين بيان القرآن الكريم وبيان
الكتابة العامة ، والهدف هو عزل القرآن الكريم عن الحياة الفكرية والأدبية ،
على النحو الذي عزلت به الكتب القديمة عن اللغات والمعاصرة ، ومن ذلك الدعوة
إلى العامية ، فقد حرص عدد كبير من المشرقين أن ينصحو ، المسلمين والعرب ،
بالخلاص من اللغة العربية كما تخلصت الشعوب الأوروبية من اللغة اللاتينية ، وتغليب
لهجاتهم في كل قطر حتى تصبح كل لهجة منها لغة إقليمية كما فعل الأوروبيون
باللاتينية حين أوردوها المتحف وإقاموا من لهجاتهم لغات هي الفرنسية
والإنجليزية والألمانية الحالية ، ولطالما ألح بعض دعاة التغريب على هذا المعنى
فردوده واتخذ به بعض كتاب العرب ، مع أنه ليس هناك شبه للمقارنة بل
هناك فوارق عيقة منها (أولاً) أن اللاتينية ماتت كلغة للشعب بموت الدولة
الرومانية وبقيت لغة الكنيسة والعلماء ، أما الشعب فكانت اللغة على لسانه
تتكيف بتكيفات مختلفة حسب الأمكنة أو الازمنة والعناصر .

• وقد حاول الاستعمار والتغريب أن يقول بأن اللغة العربية لغة أمة هي
الأمة العربية وإن كل قطر من شأنه أن يكتب لغته وإن هذا الأمر يستدعي
أن يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراه محققاً لهذه الغاية ، وطرح
القضية على هذا النحو يحمل طابعا خطيرا من التثوية والتزييف والتجاوز .

وقد يمكن أن يكون صحيحاً في أي بلد من بلاد العالم وفي مواجهة أي لغة
ولسكنه يصبح هسياً جداً حين يطرح بالنسبة للغة العربية ، ولوان اللغة العربية لم
ترتبط بالقرآن والإسلام لسكان يمكن أن يكون هذا القول فيه مجال للنظر .

أما وقد إنزل القرآن منذ أربعة عشر قرناً باللغة العربية فانتشاً عالم الإسلام
الفكرى والاجتماعى والدينى فقد أصبح للغة العربية وضع مختلف لاشبهة له في
أى لغة أخرى ؛ إذ لم يعد للعرب وحدهم حق التصرف في اللغة العربية ولم تعد
اللغة العربية لغة إقليمية تخص قطراً بل لم تعد الأمة العربية نفسها مطلقة الإرادة

في التصرف فيها هذه هي الحقيقة التي وأجبت محاولة التغريب والغزو الثقافي منذ قام ولدكوكس في مصر وماستبول في الشام وكولان في المغرب ثم تابعهم بعد ذلك سلامة موسى والحدودي مارون غصن ولويس عوض وغيرهم بماجمة اللغة العربية .

وقد حوربت اللغة العربية الفصحى منذ وصل الاحتلال الغربي إلى بلاد الإسلام حوربت في البلاد الإسلامية نايقافها وتنمية اللهجات القديمة واللغات الغربية فكل مستعمر قد عمد إلى فرض تعليم لغة ، أما في البلاد العربية فقد حوربت اللغة العربية بحصرها في الجوامع والاستعاضة عنها بالعامية الدراجة ، وكذلك جاءت الدعوة إلى إلغاء الحرف العربي والاستعاضة عنه بالحروف اللاتينية وجرت حملة واسعة بالأدعاء بعبقر اللغة العربية من إداة مهمتها إزاء المصطلحات الحديثه وصعوبة تعلمها وتمالت الأصوات بالدعوة إلى عصير اللغة العربية وأدخال الكلمات العامية إليها وقد تصدى لهذه الحملات عدد كبير من المفكرين المسلمين والعرب في مقدمتهم علي يوسف ومصطفى صادق الرافعي وأحمد زكي الملقب بشيخ العروبة وعبد العزيز جابوش وعبد الدين الخطيب والدكتور محمد محمد حسين وكشفوا زيف هذه المحاولات كلها وأبانوا عن مقدرة اللغة العربية ومرونتها وعارضوا كل هذه الشبهات .

ومن هذه الدعاوى المسمومة دعوى « تطوير اللغة » وهناك من يفسر هذا فيقول :

أنه تطوير الفصحى حتى تقرب من العامية لا العكس الذي إلهو من الأمور الطبيعية وإنما يعني أصحاب هذه الدعوة المربية التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا او يزيد فإذا تحللنا من القوانين والأصول التي صانت لغتنا خلال هذه القرون المستطاوله كان منيعة ذلك تبليبل الالسنه وتوسيع رقعة الاختلاف بين الاقطار العربية حتى تصبح عربية الغد شيئا يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الاول أو عربية اليوم ، وتصبح قرله القرآن

والتراث العربي والإسلامي كله متعذره على غير المتخصصين من دارسي الآثار
ومفسري اللاسك .

كذلك فلا بد من الإشارة إلى محاولات النفوذ الأجنبي لمقاومة نمو
اللغة العربية .

والتسكين للغات الأجنبية : الفرنسية والإنجليزية على الخصوص فقد قطع
الاستعمار الغربي الطريق على توسع العربية بين مسلمي العالم حيث كان من الطبيعي
أن يمتد بامتداد الإسلام إلى مختلف المناطق بحسبانها لغة الثقافة والدين .

رابعاً : مناهج التاريخ

إن أخطر ما واجه كتابه التاريخ في مرحلة الاحتواء والتغريب تلك
المحاولات الوافدة لتفسير تاريخ الإسلام من خلال نظريات وضعية تتطابق مع
أيدولوجياتها وبيئتها وإبرز ذلك لتفسير الغربي اللبيرالي القائم على الفردية
والحرية والنظرة الاستهلاكية والتفسير الماركسي القائم على النظرة المادية وكلا
التطريبتين قاصرة وغير صالحة لتفسير التاريخ الإسلامي الذي تقوم وقائمه على
مفاهيم مختلفة تماماً عن مفاهيم المادية والفردية والتي تستمد روحها من الإيمان
العميق بالله والتصحبة في سبيل العقيدة وبذل النفس رخيصة في سبيل
إعلاء كلمة الله .

ذلك إن الإسلام الذي يقوم منهجه على تكامل الروح والمادة ، والحياة
والموت والدنيا والآخرة والنفس والجسد ، والثواب والمنتغيرات والسكلى
والجزئى ، لا يمكن أن يفسر بمنهج جزئى إنشطارى كمناهج الغرب ، سواء
كان مادياً أو روحياً خالصاً .

ولذلك فإن هذه المحاولات كلها التي تحاول أن تضع الإسلام في صف
الديمقراطية مرة أو الاشتراكية مرة أو الحرية مرة ، كلها قاصرة فالإسلام له
ذاتية الخاصة وتكوينه الجامع المنفرد الذي قد يلتقي ثمة مع جانب من هذا

أو ذاك ولكنه لن يكون إلا هو وحده الذى تجر المناهج المادية ونظريات التفسير الجزئية عن إستيعابه وفهمه .

ولقد وأجه التاريخ (الإسلامى) حملة ضحمة من حملات التعريب والغزو الثقافى تستهدف إلى أناره الشبهات والشكوك حوله ، بهدف وضعه موضع الازدراء والانتقاص ، فى نظر أهله ، وحتى يفقد أهميته من حيث أنه قوة أنبعاث وبقظة .

وكان هدف التعريب ولا يزال ينصب على (إختلاق تاريخ إسلامى منفرد) .

حتى إن ينتزع من المسلمين ثقتهم فى ما ضيهم الفاجر ومن أنفسهم كسليين ، ويسلبهم من تراثهم الفسكرى وتاريخهم الإسلامى فيصبحون بلا ماضى فتتدهف معنوياتهم ، وبذا تسهل السيطرة عليهم فكرياً وثقافياً ، مقدمه للسيطرة عليهم عسكرياً واقتصادياً ، وقد جرت المحاولات لا حلال مناهج الغربى فى تفسير التاريخ الإسلامى بدلاللدراسات الإسلامية وفرضت كتب التاريخ الغربى فى المدارس والجامعات وجعلت مناهج الغرب فى دراسة التاريخ هى الجواز إلى تخريج المؤرخين العرب والى صدارتهم .

وقد إمتلت هذه الدراسات بالتناول على أعلام الإسلام وقادته وتوابمه والتشهير بهؤلاء العظماء فى كل عصر ، عن طريق تزييف طائفة من الأخبار المشكوك فيها والقصص والاعتماد على مصادر غير أصيلة أو مطعون فى صحتها لا لتماس هذه الشبهات حول بطولات رجال التاريخ الإسلامى ، وأباح بعض المنتصدين فى الجامعات ، للخيال أن يذهب مذهبه فى إبتكار الصور التى تقرب للناس حقائق التاريخ ، وبذلك جرى تصيد الروايات من هنا وهناك لمحاولة دعم إراء محرفة معدة أساساً لا نارة الشبهات وما تزال هذه المحاولة تتخذ للتأمر على التاريخ الإسلامى قديماً وحديث .

فقد أشار الشيخ أبو بكر بن العربى فى كتابه (العواصم من القواصم) إلى هذه المراجع المشبوهة حين قال : لنحن نوا من المفسرين والمؤرخين وأهل

الادب فأنهم أهل جهالة بحرمات الدين وعلى بدعة مصريين فلا تبالوا بما رويوا ولا تنقلوا رواية إلا عن إمامة الحديث :

وثمة خطر آخر خطير وأجة التاريخ الإسلامى فى العصر الحديث :

ذلك هو مفهوم التاريخ فى الفكر الغربى ، فقد ظهرت عدة تفسيرات تحاول أن تفرض نفسها على فهم التاريخ منها التفسير الجغرافى ، والتفسير البيولوجى والتفسير الاقتصادى والتفسير الاجتماعى والتفسير الدينى .

وقد حاول كل من الباحثين أن يؤكد تفسيره وتغلبه على كل العوامل ويرى البعض أن العامل الجغرافى هو العامل الأول إعتاداً على التضاريس الأرضية ومصادر الثروة وتوزيع الحياة والاحوال الجوية ويرى غيرهم أن أثر الوراثة هو العامل الاوحد أو الام .

ويريد آخرون أن عامل البيئة هو القوة المؤثرة فى حياة الناس .

ويريد ماركس : إن العامل الاقتصادى هو العامل الاساسى فى حركة التاريخ .

ويريد توينبى (التفسير الاجتماعى والحضارى) أن مواضع التاريخ الصحيحة هما المجتمعات الإنسانية ومدنيتها لا الشعوب والأقطار ، ويرى فرويد أن العامل الاساسى ليس سوى أزمات نفوس الأفراد التى دوت إلى الانقلابات الهائلة فى التاريخ ويرى أصحاب نظرية التفسير البيولوجى للتاريخ : أن التاريخ سينتاول حياة الإنسان من حيث هو إنسان ويتحدث فى أثر الزمن فيما هو إنسانى بحيث والبيولوجيا هى تبحث عن أثر الزمن فى السكائنات الحية من حيث النمو والاحتلال والتطور وهناك تفسير هيجل السياسى ، وكل هذه النظريات مجرد إحتالات وفروض ، وتظرات محدودة قاصرة ، ومركزة على جانب واحد ، ولعلها جميعا تمثل مجموع العوامل المؤثرة فى التاريخ على أقدار قاصرة وادوار متفاوته ، ولقد صجرت كل نظرية من هذه النظريات فى أن تحقق الغرض أو أن تثبت سيطرتها بمفردها على تفسير التاريخ .

أما مفهوم الإسلام لتفسير التاريخ فهو لا يأخذ بعامل واحد من هذه العوامل

ولا يمكن مفهوم جماع يستمد طابعه الاساسى من الفهم لإرادة الله العليا المحيطة بالسكون والأشياء وبالزباط الوثيق بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة وبين إرادة الإنسان ذات الأثر الجوهرى فى التعبير وبين العوامل المادية والروحية والتفسيه جميعاً ، فليس لعامل واحد مهما كان قدرة الافراد بالتأثير وترى النظرية الإسلامية أن العوامل المعنوية : روحية وأدبية ونفسية لها آثارها التعبيرية التى تريد كثيراً عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية التى يركز عليها الفكر الغربى فى مرحلته المادية التى يعيشها فى هذه القرون .

خامساً : مناهج العلم

حاولت اطروحات الفكر الغربى الوافد أن تفسد مناهج المسلمين للعلم من خلال محاولات كثيرة قائمة على المغالطة والانحراف :

أولاً : ادعى الغربيون أن المسلمين لم يقدموا إلا ترجمات العلوم اليونانية إلى الغرب وأنهم لم يكن لهم دور حقيقى فى بناء منهج العلم الحديث وكانوا فى ذلك متعسفين لإزاء الحقيقة التى يعرفها العالم كله وهو أن المنهج العلمى التجريبى أنشأه المسلمون وأنه نشأ فى أحضان الإسلام وقام على مفهوم القرآن :

« قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض ،

« قل هاتوا برهانكم ، « أن يتبعون الا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ،

ثانياً : حاول الغربيون طرح مفهوم مادى للعلم ينسكرك خالق الكون ومنابع الحياة — جل شأنه — والوقوف عند المحسوسات وإنكار ما وراءها من دين وغيبات ووحى رسالات السماء واعتبار ذلك كله من الوهم الذى يفوق فيه الجهلاء .

واستعمل مفهوم العلم المادى علواً كبيراً حتى ادعى أنه يستطيع أن يفسر الحياة وأن يحكم الحياة ثم لم يلبث العلم أن تحطمت فى وجهه هذه الزهرة الكاذبة حين هجر عن فهم كنه الحياة فعاد العلميون يقررون أن العلم يقف عند تفسير ظواهر

الاشياء وقرر العلماء أن العلم إنما يقدم مجموعة من الفروض الطبيعية لتفسير الطبيعة.

ثالثاً : حاول الفلاسفة أن يقدموا للبشرية مفاهيم إجتماعية ولامرجيات سياسية واقتصادية على أنها نظم وتشريعات تحمل عمل الدين وقد تبين فساد هذه المفاهيم وعجزها عن تحقيق إقامة المجتمع السليم ، وبأن عوارها ، ولم تثبت أن احتياجات إلى الإضافة والحذف ثم كشفت الأيام عن أنها تحمل أهواء البشرية وأنها لا تستطيع أن تسامى المنهج الرباني .

رابعاً : انحرف العلم عن الطريق الصحيح في تجربته الحضارية المعاصرة ، وأتجه نحو أمرين غاية في الخطورة أولهما الإسراف في الاستهلاك وتحويل الموارد الضئيلة من اللطيفات والموارد إلى أدوات التجميل والتحليل والفساد والترف فكان ذلك من أخطر عوامل إهدار وتبديد الثروة البشرية .

ثانيهما : إتجه العلم إلى صناعة أدوات التدمير والقتل والإبادة والتوسع في مجال القنابل الذرية والهيدروجينية وبذلك أصبح العالم عرضة للدمار .

ثالثهما : وضع مقدرات العلم المادية الواسعة في أيدي الدول صانعة الحضارة وحرمان الأمم الأخرى منها خاصة وأن المواد الأولية لهذه الصناعات والاختراعات صادرة من البلاد المختلفة وقد استطاع النفوذ الأجنبي نهب هذه الثروات بأقل الأثمان وحرمان أهلها منها وإعادة بعض منتوجاتها إلى هذه البلاد بأغل الأثمان ، كذلك فقد سيطرت الدول الكبرى على المواد المالية الناتجة عن مصادر الثروة والاحتفاظ بها في مصرفها دون أن تمكن هذه الدول من إقامة صناعات بها في بلادها .

خامساً : كان لفتوحات العلم أثرها البعيد في الفسك الغربي وبلغ هذا الأثر غاية في الإدهاء بقدره العلم على القضاء على الدين وإعطاء الطبيعة موضعاً الله سبحانه وتعالى من أسباب الإرادة والقوة والحركة ، فاختفى بذلك تماماً من افق العلم وأبحاثه ونظرياته : المصانع الأكبر والحالات الأولى الذي خلق من العدم

ومن غير مادة موجودة، وكان لدينا آثاره العامة على الحضارة والمجتمع والحياة حين ألقى شأن العلوم المادية مع القديس العقل وتاليه الطبيعة بينما تراجعت العلوم الإنسانية في كل ما يتصل بالنفس والروح والمعنويات والدين والأخلاق وكان هذا من أكبر وأخطار التي واجهت العالم المعاصر وربما أطلق عليه أزمة الإنسان الحديث .

وكان من أخطر نتائج هذا الانحسار المظلم محاولة تفسير العلوم الإنسانية بالأساليب التجريبية أو تطبيق تجارب الحيوان على الإنسان وقال الباحثون أن جسم البشري قد تضمّن نضجاً خارقاً للعادة ، بينما إنكمش عقل البشري وروحها فلا تستطيع فهم الحياة .

وقد تأكد الآن أن العلوم الإنسانية لا تفسر بالمذاهب المادية وأن العلم عاجز عاجزاً كاملاً عن القضاء على الدين وقد أكد الدين الحق أنه هو الذي يستطيع أن يضع الإطار الأخلاقي للحياة والعلم ، ويرسم المنهج الذي تقوم عليه العلاقة بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان .

وقد أقام الإسلام منهج العلم ومنطقه من حرية البحث والتجربة على أساس الأخلاقية : أخلاقية القيم والتقوى الربانية حتى لا يستعمل نفسه أو تستغل به طائفة من الناس فيهددوا البشريه أو يحرموها ثمرته ، وحتى لا يكون أداة لآبادة الأمم أو إثارة القلق والاضطراب في المجتمعات .

سادسا : منهج الفلسفة

لم يقف الفكر الاسلامي أمام علوم الامم الا اذا تعارضت مع مفهوم التوحيد وعندما ترجمت الفلسفات القديمة من آثاره اليونان والهنود والفرس وهي تشمل العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية وما يسمى فلسفة الالهيات فإن هذه الاخيرة هي التي حدث الخلاف بشأنها بين الاسلام وبين الفلسفات الهلينية والغنوصية على السواء لانها عجزت تماما عن ان تصل إلى تحديد الصلات بين الله سبحانه وتعالى وبين الكون والبشر على نحو صحيح ، فكان هناك القول بالتعدد في الفلسفة الشرقية والقول بأن الله (جل شانه) لا يحيط علنا بالجزئيات تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا لذلك عجزت عن أن تفهم أن العالم مخلوق لله فقالت بقدم العالم وعجزت عن تحديد العلاقة بين الله سبحانه وتعالى وبين العالم وقالت بوحدة الوجود وأن الله سبحانه حال في الكون وهذه كلمة تتعارض مع فكره التوحيد الاساسيه التي جاءت بها الاديان لذلك عجزت عن فهم الغيب فقالت بالدهرية وانكرت بمت الأجسام وكما قالت الفلسفة بجنمية ارتباط السبب بالمسبب وجهلت قدرة الله تبارك وتعالى على خرق الأسباب ، وعندما نقلت الفلسفات الشرقية والغربية إلى افق الفكر الاسلامي جرت المحاولات في إزائها في مفهوم الاسلام ولكن هذه المحاولات عجزت ينتجة الفساده الجنزى مع مفاهيمها ومن هنا كانت ردود الفعل الاسلاميه على ماخالفات فيه الفلسفه مفهوم التوحيد وكذلك اختلف مفكرو الاسلام وعلماؤه وفقهائه مع الفلسفه في مسائل كثيرة واهمها مسائل الاخلاق فانكروا المذاهب الابيقورية وانكروا الاديان الوضعيه التي تقوم على الاداب الاخلاقيه منفصلة عن عقيدة التوحيد كالبوذية وانكروا مفهوم الفناء الذي جاءت به الفلسفات الهنديه .

ومفهوم النسك الذي الذي يعتزل الحياة وانكروا التناسخ والحلول والاحقاد ومشاعية الملك للنساء والاموال وانكروا اعلاء العقل وإفراده

بالنظر كما انكروا افراد الحدس والوجدان بالنظر ، وعارضوا
المثل الاعلى اليونانى الذى يقوم على الجمال والعري والاباحية وعباده قوة
الاجسام وتأليه الابطال وانكروا اللاأدوية والشك الهدام .

وكان هذا هو موقف الاسلام من الفلسفة عندما ترجمت في القرن
الثالث الهجرى فقد رد منها الفلسفة الالهية التى تسمى علم الاصنام وقبل منها
الفلسفة الرياضية والطبيعية وقام علماء المسلمين ينكرون هذه المفاهيم
ويعارضونها وفي مقدمتهم أحد بن حنبل والشافعى والنزالى وأين نتيجة
بما يكشف أن للإسلام منهج الفكرى الاصيل والمستقل والمتميز عن
المفاهيم الفكرية الأخرى ؛ وكيف أن الاسلام لم يقبل التبعية لاي منهج
فكرى آخر فضلا عن الفوارق العميقة بين منهج حضارة اليونان القائمة
على الوثنية وعبودية الفرد والاباحية ، فكيف يمكن لحضارة الاسلام
القائمة على التوحيد والاخاء البشرى والمستولية الاخلاقية أن تقبل
منهج اليونان .

ولما جاء الفيلسوف الاجنبى إلى عصر والعالم الاسلامى وكان من أخطر
محاولاته طرح مفاهيم الفلسفات اليونانية والهلينية والغنوصية مقدمة لفلسفة
الخلافة جاء المستشرقون إلى الجامعة المصرية القديمة ليعلنوا أن الفلسفة العربية
هي الا فلسفة اليونانية مكتوبة بالعربية ، وكان تركيزهم على السكندى
والفارابى وابن سينا وما كان هؤلاء الا تلاميذ للمدرسة اليونانية وجاء
عالمى السيد قزحج باسمه أبرز كتب ارسطو واستطاعت الدعوة إلى أن
(ارسطو) هو شيخ الفلاسفة والمعلم الاول للمسلمين ودعا لعلى السيد المسلمين
بالمعرب إلى إتخاذ ارسطو وفلسفته منطلقا إلى النهضة الجديدة وكانت كتابات طه
حسين وغيره من بعد دعوة ملحة إلى هذا الطريق والحقيقة أن ارسطو
لم يكن منطلق النهضة الفكرية المعاصرة في عصر النهضة أو ما بعدها ،
ذلك أن أول عمل قام به هذه النهضة هو نقض ارسطو وتزييف الحملة
على منهجه مع إعتبار منهجه حامل التجميد الذى عاث فيه الغرب معتقلا قرونا
حتى جاء منهج التجريب الاسلامى الذى أطلق الطاقات إلى عصر العلم الحديث

ولقد كان علماء المسلمين انطلاقاً من القرآن الكريم هم الذين إنشأوا المنهج العلمي التجريبي الذي كان أول - جري في بناء الحضارة والعلم الحديث بشهادة (دراير وبريفولت وجوستاف لويون) في القديم وسارتون وهونكر وجارودي وغيرهم في العصر الحديث وما صدر في هذا الشأن كتاب عنوانه (شمس الله تشرق على الغرب) وكتاب (أوروبا أدت في آسيا) إذن فلم يكن لخلق السيد صادقاً في دهواه ولم يكن طه حسين أميناً حين نقل إلينا هذا المعنى ، ذلك أن المسلمين نقدوا أرسطو منذ عصر الترجمة وما تقدمه به الغربيون كلن بعض ما قاله المسلمون وقد رفض الغربيون أرسطو كقائمة لرفض أريجانون اليونان وقبول المنهج التجريبي الإسلامي الذي رفعهم إلى ذروة التكنولوجيا الآن وصديق الدكتور محمود قاسم حين قال :

لقد نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين ذلك أن أرسطو هو الذي سيضع للمسلمين مرة أخرى داخل القوقعة المنطقية التأملية المغلقة ويحرمهم من ثمرات التجريب الذي أنشأه ونمىه العرب والمسلمون .

سابعاً : منهج الفن

يقوم المفهوم الاسلامي للفن على استحالة التناقض مع الفطرة ، فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب الاتخالف أو تناقض دين الاسلام في شيء ، فإذا خالفت الفنون الدين في أصوله ودعت صراحة أو ضمناً إلى رذيلة من أمهات الرذائل التي جاء الدين لمحاربتها وعاقبت الإنسان عن أن يعمل بالفضائل التي جاء الدين لايحاجها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقي في النفس والروح إذا خالفت لفنون الدين في شيء من هذا أو شيء غير هذا فهي بالصورة التي تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الفطرة إلى التي قطار الله الناس عليها - هذا هو الفن كما عبر عنه الدكتور محمد أحمد الغمراوي ومفهوم الفن في الاسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر يتكامل مع والادب الإجتماع والاخلاق والدين والحضارة وهو في الاسلام له طابعة الاصيل الواضح المبين لمفهوم الفن في الطاقات والحضارات الأخرى : قوامه الاخلاق وطابعه التوحيد يتساقى بالمزائر ويرتفع بالنفس الانسانية إلى السكياك دون أن يتعمد عن الواقع - والفن في نظر الاسلام أداة لتجمل الحياه ووسيلة الاسعاد الروحي والنفس يتحرير الانسان من عالم الاهواء والمزائر ، وإطلاقة في نظرة حرة إلى الكون والوجود يعرف منها قدره الله تبارك وتعالى وعظمة ويزود بها ايماناً .

غير أن النفوذ الأجنبي الذي أظل البلاد الاسلاميه ، حاول أن يريف مفهوم الفن العربي الاسلامي بادخلال مفاهيم الوثنيته والماديه التي عرفها الفن في الغرب فقد كان الفن اليوناني بطابعه المادى والوثني يجعل الأولويه للتأثيل المسيحية أعجاباً بالاجساد وعبادة لصور الجمال ومظاهر القوة ولكن الفن الاسلامي مستمداً من مقوماته الاساسيه يحمل البيان والشعر والادب في مقدمة الفنون ، الكلمه البليغة والنسكه الموحية ، وذلك انتقالاً بالانسان

من عالم المادة إلى عالم الفكر ، فالتأمل أوسع العوالم والتفكير في خلق الله اعظم معطيات العقل والروح : (نون والقلم وما يسطرون) وبذلك أصبح رائد الفن : البيان الذي يتمثل في اسمى صوره بالقرآن الكريم وبذلك دفع الاسلام الفكر البشرى إلى الامام إنتقالا من مفهوم الماديات إلى مفهوم المعنويات ، وسلك المعنويات والماديات اطار جامع متكامل . وبذلك فقد حرر البشرية من مفهوم المادية الخاصة التي تقدر الجسد والشهوات والغرائز والثنيات وتقيم لها المهرجانات والطقوس ودفع البشرية إلى الانتقال من تجسيد البطولة في صورة مادية إلى تكريم عمل الانسان نفسه .

وأبرز سمات الفن في الفكر الغربى لاتجسد في مجال الفكر الاسلامى مجالا لها ، فالاسلام لا يقر الصراع بين الالهة والإنسان أو بين القدر والإنسان على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى ، ولا يؤمن المسلم بأن الانسان يثبت ذاته بمصارعة القدر والالهة ولا بان البطل الصالح يتحطم في يد القدر والالهة وكل هذه المعانى المساوية مستمدة من فكرة (الخطيئة) الاصلية ، كما أن المسلم لا يؤمن بتعدد الآلة ولا بتجسيد الآلة في صورة وشن حسمى ملموس كالتماثيل العديدة في العقائد الغريبة في ذلك الحائط العجيب بين المسيحية والهلينية - كذلك فإن المسلم لا يعبد الجسد ولا أى نوع أى من العبادات الوثنية التي يقدم لها القرابين وكل ما يتصل بذلك من أساطير الجسد والجمال عند الاغريق وهى ساقطة بالمبازل لاتجسد في افق الإسلام قبولاً ، المسلم لا يؤمن بمباداة الطبيعة أو المحسوسات ، كذلك فإن الإسلام لا يقر تجسيد البطولة في صوره مادية ليس فقط حفاظا على مفهوم التوحيد من خطر الاتصال بالتماثيل والاصنام التي كانت تمثل عبادات ما قبل الإسلام . ولكنه ارتفاعا بالفس الإنسانية من أن تتمثل في مفهوم مادى . بينما جاء الإسلام محرواً للبشرية من التجوئة بين الماديات والمعنويات .

وهكذا حقق الفن الإسلامي مذهبا جديدا مستمدا من حقائق الإسلام
 فكان فنا متغالفا وتجريدا معبرا وليس جامدا ، وأن المرقشة في الفن
 الإسلامي حيث لا مبدأ لها ولا منتهى ، إنما تمثل مفهوما من مفاهيم
 التوحيد لأنها تسعى وراء الله (تبارك وتعالى) الذي هو الأول والآخر
 ومنه تبدأ الأسباب وإليه تنتهي المسببات ، والرقش حين يمتد بلا نهاية
 إنما يسعى وراء الصورة للثقل وهذه اللانهاية إنما تحمل دلالات هامة
 للروح الإعلامية التي أمنت بالله تبارك وتعالى غير المنظور وغير المحدود
 والمضي إليه توجهت قلوب المؤمنين لترتفع إلى مستوى هذا المثل الأعلى
 عن طريق العمل الصالح أو طريق الاجتهاد والابداع .

وهكذا يتضح لنا أن الفن الإسلامي ليس مجرد زينة أو ترفيه
 بل هو تعبير عن عقيدة ومبادئ دينية عميقة
 وهذا الفن الإسلامي الذي نشأ في ظل الحضارة الإسلامية
 لم يكن مجرد تقليد للفن اليوناني والروماني بل كان
 محاولة جديدة للتعبير عن القيم والمبادئ الإسلامية
 التي تختلف عن تلك التي كانت سائدة في الحضارات
 السابقة
 وهكذا يمكننا القول بأن الفن الإسلامي هو
 تعبير عن الثقافة الإسلامية التي نشأت في ظل
 الحضارة الإسلامية
 وهذا الفن الإسلامي الذي نشأ في ظل الحضارة الإسلامية
 لم يكن مجرد تقليد للفن اليوناني والروماني بل كان
 محاولة جديدة للتعبير عن القيم والمبادئ الإسلامية
 التي تختلف عن تلك التي كانت سائدة في الحضارات
 السابقة
 وهكذا يمكننا القول بأن الفن الإسلامي هو
 تعبير عن الثقافة الإسلامية التي نشأت في ظل
 الحضارة الإسلامية

الباب الثامن

إقحام العقبات

كان هدف مخطط الغزو الفكري والتخريب الذي نسجه القوى الكبرى حين زحفت للسيطره على العالم الإسلامى فى جولة جديدة بعد أن انتهت بالهزيمة الساحقة فى الحروب الصليبية ، والحيلولة دون قيام الأمة الإسلامية فى القارة الإسلامية بامتلاك إدارتها وبناء مجتمعا وإستئناف بعثها الحضارى والثقافى وكانت الخطة محبوكة معقدة متصلة الآواصر ، على النحو الذى كشفت عنه حلقات هذا البحث وكانت القوى الكبرى تعرف تماما :

أولا : أن الحضارة الغربية شاخت ونضب معينها وانحرف طريقها .

ثانياً : أن هذه الأمة القائمة فى القارة الوسطى بين آسيا وإفريقيا هى الأمة التى تملك مقدرات الحضارة والنهضة وإقامة المجتمع الإنسانى الكريم .

ثالثاً : أن هذه الأمة تملك المنهج الربانى الأصيل الذى لا ينحرف ولا يضطرب والنذى يقيم العدالة والرحمة والإخاء البشرى للعالمين .

رابعا : أن هذه الأمة تملك مصادر الترواث الكبرى وتملك الطاقات وتملك التفوق البشرى .

خامسا : أن الإسلام والتحديث لا يتناقضان ، وإنما يرفض للمسلمون التغريب والتبعية والاحتواء والاندثار فى يوقه الحضارات القائمة .

سادسا : أن الصحوة الإسلامية القائمة الآن هى حركة حقيقيه ذات جذور عميقة وإنها نابعة من الرغبة فى إمتلاك الإدارة وإقامة المجتمع الإسلامى وإنها لا تشكل تهديدا للعالم غير الإسلامى .

سابعا : أن الغرب يتطالع البعض إلى أفق جديد ويطالب بنظام عالمى جديد بعد إعلان فشل النظام الليبرالى الغربى الاشتراكى والسادسكى والشيوعى وليس هناك غير الإسلام .

وهذه الحقائق ترددها الآن جميع الأنلام النورية المنصفه التى عاشت فى قلب المعركة ، بل أن هذه الحقائق وغيرها وقد دفنت عدداً من

المفكرين الغربيين الذين كان لهم دورهم الخطير في التحولات الرأسمالية والماركسيه وغيرها إلى اعتناق الإسلام باعتباره هو الملجأ الوحيد للبشرية .

ولكن هناك قوى غربية لها أهداف ومطامع تحاول أن تواف هذا التيار وتصد هذه الموجة العارمة وتعمل على تأخير النهضه ومحاولة تحطيم إمتدادتها حتى تحتوى مفاهيم الإسلام في المقاومة وجهاد الغاصب والمرابطة والاعداد واليقظة في مواجهة أى عدو أو دخيل .

وهي تعمل ببث عوامل الفساد والاباحه والتحلل والترف والحرام على هدم هذه الاجيال الجديده وتفريقها من القدرة على المقاومة والثبات وحماية الزمار ، حتى يمكن تحطيمها والقضاء عليها .

وهناك ظاهرة استنزاف ثروات المسلمين عن طريق الاستهلاك والمغالاة في الطعام ولتشرب والملبس والمخالف والمراقص والفساد فضلا عن نهب ثروات المسلمين وتخريب اقتصادهم بأحتوائه والسيطرة عليه .

ولاريب أن هذه المحاولات كلها ترمى إلى تهديم المجتمع الإسلامى والاقتصادى الإسلامى وإزالة الهوية الإسلامية والقضاء على الذاتية وغرس قيم دخيلة في نظام القيم السائده في المجتمع وفرض أعراف مغالفة للإسلام على الناس في طعامهم وشرابهم وملبسهم ومهكنهم ، وأخراجهم من قيمهم وأعرافهم وتقاليدهم التى بناها الإسلام في أربع عشر قرنا هذا فضلا عن ضآلة الحجم الذى يتحول فيه التوجيه الإسلامى حيث لاتنفص له في الصحف المساسات الكافيه ، ولا يتجاوب دعوته مع التيار العلمانى المسيطر الذى لا يريد مهاجمه فساد الأخلاق وانحراف المجتمع لأنه هو الذى يغذيها عن طريق القصة والمسرح والأفنيه مع استغلال ظاهره الانحراف الفرديه لاضفاء ظلها على المجتمع كله .

ومن ذلك ما يذيعه الشعوبيون والتغريبيون من سخوم وشبهات ترمى إلى تغيير الهوية الإسلاميه واسلام وجدان الامة وهقيلتها إلى الاستعراج

ومن ذلك قول أحدم أن الحضارة الإنسانية حضارة واحدة وأن التسك بالماضى يحول دون مواجهة تحديات العصر بهدف أن يظل المجتمع الإسلامى مجتمعاً تابعاً لإستهلاكها فقط لانتاج الغرب المتقدم .

وهم يحادلون أنهم [العودة إلى المتابع] بأنها ترمى إلى الرؤية السلفية ويريدون بالسلفية فى العصر الحديث ما كان يريد بها طه حسين حين تحدث عن القديم وغيره عن التراث وغيره عن الرجعية ولكنها مصطلحات تخفى وراء الهجوم على الإسلام علانية .

والحقيقة أن هناك هوية إسلامية تجمع المسلمين فى جميع أنحاء العالم ، هذه الهوية ترتبط بالثوابت فى فكر الإسلام وعقيدته لأنها تعمل على أساس ثابت وهى ليست إسلامية بمعنى أنها دينية على مفهوم الغرب فالإسلام دين ونظام معاً فى آن واحد وأن الاختلافات التى يدهون أنها تحول دون ثبات الهوية مع العصور أو البيئات هى خلاقات فرعية قليلة لا تزيل (الأصول) الكبرى التى رسمت ضمير الأمة الإسلامية ووجدانها وعقلها خلال أربعة عشر قرناً وأن نظرة متعمقة فى الثقافات الإسلامية الموجودة فى الهند وأندونيسيا وغرب أفريقيا لا يوجد بينها تباين حيث أنها من حيث الأساس مرتبطة بالقيم الإسلامية الأساسية أما أوجه الخلاف فى من المسموح به فى دائرة المتغيرات وهى تنصل بالجغرافيا أو عوامل المناخ أو بعض الآثار التاريخية القديمة وهى خلاقات قليلة لا تغير من الملامح العامة الأساسية وهى ضرورية لأنها تدخل فى إطار المتغيرات وهى ليست هوية دينية بمعنى الدين فى الغرب ولكنها هوية إسلامية بمعنى المفهوم الإنسانى الشامل أن الانتهاء فى مفهوم الإسلام هو المحافظة على اللغة والعقيدة والمقومات الاجتماعية من أن تهار فى وجه المتغيرات التى تقدمها الحضارة الغربية التى ترمى إلى احتواء المجتمعات الإسلامية وتذويبها فى بوتقة الامية والعالمية .

نعم لقد تراجعت الرابطة الدينية في العصر الحديث أمام رابطة الجنس والوطن واللغة ، بدأ هذه التراجع في الغرب ثم حلت وياح التهريب والغزو الفكري هذا المفهوم إلى المجتمع الإسلامي الذي تقرب وفرضت عليه العلمانية ومفاهيم الفصل بين الدين والروح والمادية والوثنيات والقانون الوضعي والاقتصاد التربوي والتعليم العلماني .

كان هذا التراجع في الغرب ناتجا من الانحراف الذي عجزت به المسيحية الغربية - وهي غير المسيحية المنزلة - من دفع المجتمع إلى العلم أو الحضارة أو التقدم وفرضت نفوذها وسيطرتها على المجتمع الغربي وعزلت الطوائف غير المسيحية فكان لابد أن ينكر هذا القيد أمام طبيعة المساواة البشرية التي أصبح الدين بعنصريته هذه حائلا دون إهلاك الإرادة الحرة أمام الإسلام فالأمر يختلف إذ أن العلم والرابطة القومية والوطنية جزء منه كما أنه إقام نظام الاخاء البشري لكل بني الإنسان وحى الاديان والعقائد وأهلها وبيعها وكنائسها ولم يقف في طريق العلم ولكنه دفعه إلى الامام وجعل خير الأرض للناس جميعا ولم يجعل لجنس ما إستغلاء خاصا أو لوطن ما سيطرة خاصة .

وإذا كانت الرابطة الدينية في العصر الحديث قد تراجعت وحلت عليها القوميات والاقليميات والوطنيات فرجع ذلك إلى أن الذي قاموا عليها في الغرب افسدوها ولم يقدموها للبشرية على صورتها الحقيقية وسوف يعيدها الإسلام مرة أخرى على صورتها الحقيقية بعد أن تبين فسادها وخطورها ونقطتيها للأرحام وآثارها البعيدة في هدم الاخاء الإنساني .

والحقيقة أن المسلمين يعمرون بعصر التحديات التي أصبحت مكشوفة إمامهم تماما ويعرفون مصدرها واهدافها ولم تعد خافية عليهم ويعرفون مظهر الذين يتآمرون ويخططون ولكن على المسلمين أن يجمعوا أراذلهم على إفتحام العقبة بتحريض مجتمعاتهم من التهريب والتبعية لمواجهة هذه الصراعات

والصدامات والفن والحروب الداخلية وهزيمة الجيوش العربية أمام اسرائيل ١٩٦٧ فليس ثمة سبيل للتغلب على هذه الصعوبات سوى الرجوع إلى الإسلام والتمسك بتعاليمه ففى وحدها القادرة على إعطاءه القوة الحقيقية أمام هذه التحديات ولا بد أن تكون روح النضال صادرة من الإيمان بالله فلا يزال الغرب يدفع بسمومه وفتنه ويزداد عنفا كلما رأى علامات التقدم والنهضة والصحو .

وهما الأفتان الثان استعلتا الحضارات منذ القديم وأصابتا الحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامى هما الترف والإسلام للتغريب .

فلا شك أن آفة الترف والأفراط فى اللهو وتغلغل العناصر الغربية فى جسم الأمة واستخدام البطانة التى هى من دون المسلمين فى المناصب الكبرى ، وما يزال التغريب هو العدد الحقيقى لإيضا للامة الإسلامية فى هذا العصر وفى كل عصر ، التغريب هو تسميم الفكر الإسلامى بالتلبس بمفاهيم الأباحين والزنادقة والشمويين والسفهاء مما يقتل ويترجم من تراث الأمم ، هؤلاء الدعاة إلى تاريخ ماقبل الإسلام والذين يفصلون بين العروبة والإسلام والذين يهدمون الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية والهدوء إلى الفكر الحر لتهديم القيم والأخلاق .

ترجمة الفلسفات الوافدة التى تثير الشكوك والفحش والى تقسم المسلمين بالفتنة الفكرية إلى شيع تتحارب ومذاهب يحمل بعضها الضغينة للبعض الآخر فتحل بذلك من قلوب المسلمين العقدة المقدسة والعروة الوثقى التى كانت من أهم أسرار قوتهم .

وهناك بعض الطوائف الدخيلة على الإسلام كالتقادينية والبهائية والباطنية التى تتلقى للمعونة والتوجيه من النفوذ الاجنبى والمبشرين وهم يعدونها لما اسموه « حروب الإسلام بالإسلام » هذه الطوائف تقس زعمائها

وترفعهم فوق مرتبة البشر وتشرح لاتباعها عالم يأذن به الله مستقلة لهم
الإسلام لخدم الإسلام .

إن المعنى الذي حاول الاستعمار إسقاطه من النفسية الإسلامية هو إبراز الإسلام
كعقيدة وتربية ، لم يكن يوماً من الأيام واحداً بالذلل ولا مسانداً للخضوع
ولامعينا على العبودية في أى وقت من الأوقات فقد رعى الإسلام معتقته على
الاعتزاز الكبير بكرامتهم ورباهم على الإيمان بأنهم خلقوا لفرحوا
وجودهم فوق هذه البسيطة ولينزعوا مكانهم تحت الشمس لا ليكونوا
عييذا ولكن ليكونوا سادة ولم يكن الإسلام حليف الطغيان ولا حليف
الظلم ولا حليف الاستعمار والظاهرة التي تكشف عنها دراسة التاريخ
الإسلامي هي المقاومة فالإسلام هو الذي استطاع أن يحرر المسلمين والعرب
من رق الدول المستعمرة ذات العدد والعدد ، رغم أن المسلمين لم يكن
لهم سند ولا مورد وإنما كانت قوتهم الأساسية التي أجهز بها النفوذ
الإجنبي هي قوة أرواح والفكر والعقيدة واليوم وبعد أن حرر الإسلام
المسلمين يجب أن يدفعهم إلى إقامة مجتمهم ونظامهم ، كان للإسلام في
المرحلة السابقة عامل تحرر وهو اليوم عامل تقدم .

.....

.....

.....

أولاً: أخطاء مناهج التعلم

أولاً: أول أخطاء مناهج التعلم هو صدورهما من فكر مادي وثني غربي، ذلك أن ما يطبق في البلاد العربية والإسلامية من مناهج توضع في كتب ومقررات هو مأخوذ أساساً من معاهد التبشير والكلية اللاهوتية ومدارس الرسائل وهو من محصلات الفكر الغربي المسيحي البرزة اليوناني الأصل بمفاهيم التي تختلف عن مفاهيم الإسلام أساساً ولا يلتقي معها إلا في أقل القليل فهي أولاً لا تستجيب لحاجات الطالب النفسية، ومتطلبات نموه في بيئة تختلف عن أسلوب الحياة من الغرب، وحيث تصدر تلك المنطلقات من عقيدة وسلوك وعرف مختلف، هناك حيث لا نعيم بالعرض ولا بالعفاف ولا بالغيرة ولا بالبركة وهذه الأشياء جميعها لا قيمة لها ولا اعتبار لها بينما هي في مجتمعنا الإسلامي من صميم القيم الأخلاقية والاجتماعية.

وهذا ما يسمى « تناقض الأساس النفسي والاجتماعي »

ثانياً: الازدواجية في النظم التعليمية : من حيث إدخال مناهج «رأبظمة» تختلف مع طبيعة المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية وهي تمثل المجتمع الغربي وتحدياته وتجب على تساؤلاته، ومن هنا دخلت مناهجنا ودراساتنا مناهج وتصورات ثقافتنا مع الإسلام.

إن ما نتطلع عليه اليوم في مطالع القرن الخامس عشر الهجري وبعد مائة سنة من النفوذ الأجنبي المسيطر على التعليم والقانون والاقتصاد نتطلع إلى الجامعة التربوية الإسلامية بدلا للجامعة العلمانية في إطار واضح قائم على :

• إعادة صياغة وتأسيس العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل النظرة الإسلامية الكلية للكون والحياة والإنسان .

• تقديم الأدب العربي للعاصر ونظرياته النقدية في إطار إسلامي .

- عرض المشاكل المعاصرة في ضوء حلول الإسلام لها .
- لأن لا يوغل علم العقيدة في مهاجمة مدارس الكلام والمنطقيين والفلاسفة بل ندرسها في إطار عصرها وتحدياته .
- نقد الفلسفات القديمة والتيارات المعاصرة .
- وضع ضوابط للافتتاح على الثقافات العالمية للاستفادة من تجربة المجتمع الإسلامي الأول في مواجهة الحضارات العالمية .
- إعادة صياغة مناهج العلوم الاجتماعية من تاريخ واجتماع واقتصاد وسياسة وتربية وعلم نفس .
- تطوير نظرية تربوية إسلامية تنبثق عن فهم الكتاب والسنة واستلزام تراث الفسك التربوى الإسلامى مع الإفادة من المعطيات السليمة للنظريات التربوية المعاصرة بعد صبغها بصبغة الإسلام .
- وهذا الفصل الواضح بين مناهج المجتمع الإسلامى وبين مناهج الغرب ضرورة حتمية للحفاظ على الذاتية الإسلامية ووجهتها للنوط بها تبليغ رسالة الله تبارك وتعالى للعالمين فإذا فقدت خصيصة القائمة على التوحيد لإنهارت مهمتها ونحن نعرف أن الروح المهيم على نتاج الغرب وحضارته بعيدة عن الإيمان بالله تبارك وتعالى ورسالاته .
- وقد انطلقت النظريات الغربية التربوية من فلسفات مادية ، وتصورات علمانية ومعظم فلاسفتها من الماديين والعلمانيين ، ونظرة إلى واقع المجتمعات الغربية تكفل الحسك على معطيات التربية الغربية : التحلل الحلقى ، الاحساس بالضياع ، الرغبة فى العدم ، تصاعد الجريمة ، تحدى القانون والعنف وشريعة اللاب فى التعامل مع الآخرين .

لقد اعتبر « فرويد » الإنسان عيداً للجنس الذى يتحكم فى مشاعره وسلوكه ويكون محور نشاطه الخاص والعام ، واعتبر « ماركس » الاقتصاد

هو محور هذا النشاط وكلاهما متأثر بتطريه دارون عن أصل الإنسان التي تهبط به إلى الحيوان ولذلك فإن مشاعره وفكره وسلوكه جميعاً يرتبط بهذه النظرية فهو إما يدور حول محور الجنس أو محور الاقتصاد .

أما نظرة الإسلام ففيها تكريم الإنسان بوصفة مخلوقاً عاقلاً مسكناً (ولقد كرمنا بني آدم)

كذلك فنحن مطالبون بصوغ النظرات الإسلامية في عالم الاجتماع والاقتصاد واستقراء التراث للوصول إلى المبادئ والنظريات التي سبقت نظريات الغرب . وأمامنا :

سبحون : آداب المعلمين .

القاسي : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين .

الخطيب البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .

ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم .

فنظرية استقلال السلطات المنسوبة إلى (مونتسكيو) في استقلال السلطة فقد سبق إليها الإسلام قبل مونتسكيو بأكثر من عشرة قرون وتعين القضاء واستقلالهم يتم من قبل الخليفة نفسه ولا يخضع لولاة الأمصار ، ولم يكن الخليفة قادراً بعد تعيينهم على التدخل في شؤون القضاء وأحكام القضاء .

كذلك فنحن مطالبون بإعادة صياغة التاريخ الإسلامي والعالمي من منظور إسلامي والإفادة من مناهج النقد التي ألفها رجال الحديث تحت عنوان مصطلح الحديث .

فالمسلمون أمة لها تراث خصب يستطيع أن يشدها إلى ماضيها ويكسبها شخصية متميزة في حاضرها .

ونحن نعلم أن عصر الأحياء في الغرب سبق عصر النهضة وبدأ من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر واستفاد الأوروبيون من منهج البحث

التجربي عن المسلمين وقد أقر (برتراند رسل) بأن العرب كانوا سادة التجريب ولكن لم يفتنوا إلى أنهم "فعلوا ذلك في إطار المنهج القرآني بدلا من التنظير اليوناني حيث أن القرآن الكريم هو الذي لفت نظر المسلمين إلى الطبيعة وقوامها الظاهرة والكامنة ودعاهم إلى الكشف عن أسرارها وقوانينها عن طريق:

الاختبار والتجريب

باستخدام العقل والحواس مبنياً أن الطبيعة مسخرة للإنسان الذي من واجبه التعرف على قوانينها والإفادة من تسخيرها له وكذلك صوغ النظرات الإسلامية في مجال الاجتماع والاقتصاد وفي مجال الأدب فإن أبرز مفاهيم الأدب الإسلامي : التزامه بالحلل والحرام وعدم الاستسلام للعصر ودعوة العصر إلى الالتقاء بالحدود والضوابط حيث لا يخضع الأدب الإسلامي لقوانين وقواعد الأدب الغربي ، وذلك لاختلاف الأطر والطرق وهي هناك قائمة على فكرة مادية محدودة ، وعلى هوى وظن فلا بد من التحرر من قيود المذاهب النقدية الغربية .

ثانيا : التحديث في إطار الأصالة

إذا كانت التربية الإسلامية هي قضيتنا الأولى فإن قضيتنا الثانية هي :
التحديث في إطار الأصالة :

ذلك إن هناك مغالطتان واضحتان ترددهما كتابات الغربيين حول الصحوة الإسلامية ، أولاهما إن هذه الصحوة الإسلامية تشكل تهديداً للعالم غير الإسلامي وهو قول مردود بدليله وحجته .

الثانية : إن الإسلام والتحديث نقيضان لا يلتقيان .

والواقع أن الإسلام قد دعا إلى أمرين دعاءً متصلاً :

التحديث والتقدم ، ولكن مفهومه لهما يختلف عما يطمح فيه التجريب

باحترام المسلمين داخل الحضارة الغربية أو إرضاءهم لمفاهيم الغرب عن العلم والحضارة . والدعوة المرزولة التي تجرى دلى السنة التمريرين اليوم ، هى أن هناك حضارة واحدة وإن دلى للمسلمين أن يقبلوا الانصهار فى هذه الحضارة وتقبلوا مفاهيمها الفكرية والثقافية قبل مفاهيمها المادية والعلمية ، ولكن المسلمين يفرقون بين المعرفة وبين الثقافة ، فالمعرفة علمية والثقافة قومية ، والمسلمون أمة عريقة لها منهج حياة ونظام مجتمع كامل متنسق مرن ، أعطاهم مختلف الاجابات والحلول لمشاكل السياسة والاجتماع والاقتصاد والزراعة ، هذه التى تسمى أسلوب العيش فهم ليسوا فى حاجة لنقل أسلوب آخر ، أو اقتباسه أو الخضوع له ، ولأن أسلوب عيشهم يقوم على عقيدة التوحيد والاخاء البشرى والالتزام الحلقى فهو يختلف عن أسلوب عيش الغرب ، ولكنهم فى مجال العلوم والمعرفة والمفاهيم المادية والتكنولوجية يتقبلون استقدام علوم الغرب ومعطياته ويصهرونها داخل بوتقة حضارتهم ، فهم لا يخضعون لها وإنما يصيرونها . وادأ خامأ يشكلونها فى دائرة منهمهم المسمى والاخلاقى حتى تكون خاضعة لله تبارك وتعالى ومقيمة لمنهجه فى الحياة : وبذلك يقبل المسلمون التحديث ذون تبعية ؛ بل يرى البعض إنه : لمكى يتحقق التحديث لا بد من رفض التغريب بل نزعهم إنه بقدر الاصرار والنجاح فى رفض التغريب يكون النجاح فى تحقيق التحديث وأمامنا تجربة اليابان الذى ظل اليابانى فيها محتفظا بحياته العائلية والاجتماعية وتقاليده وهذا أبلغ رد على الذين يطلبون من طلاب التحديث ترك القيم التى ورثوها .

إن الأمة التى تلقن أنها بحاجة إلى أن يتعلم آداب المائدة من عدوها هى أمة فقدت احترامها لنفسها ويستحيل عليها أن تحرز أى تفوق . ويقول جلال كسك الذى نقلنا عنه النص :

« التحديث : هو امتلاك كل المعرفة التى يتفوق بها الغرب وإنتاج كل المعدات التى ينتجها الغرب ، وكل ما تحتاجه أمة من الأمم لتحقيق هذا التحديث ، وهو إرادة قومية ، ونظام صالح قادر على تهيئة هذه الإرادة وتوجيهها عن طريق التصنيع أو التحديث إذا كانت البلد مستقلة أو عن طريق

تحرير الارادة القومية عبر جرب التحرر الوطني التي يتم التحديث خلالها ،
ولكن يشترط قبل ذلك أن تؤمن الامة أن تخلفها هو ظاهرة عارضة
وأن أصالتها تسكنها من تجاوز هذه المرحلة العارضة ، أما التغريب فيبدأ
من افتتاح الامة للشرقية بأنها متخلفة في جوهرها ، متخلفة في تاريخها
وصميم تكوينها ومن ثم فلا بد من أنسلاختها تماماً عن كل ما يربطها
بماضيها وتميز ذاتها ، ويرى التغريب إلى إعادة تشكيل المجتمع على الطراز
الغربي من ناحية العادات والمظاهر السلوكية مع إبقائه متخلفاً عاجزاً عن
إنتاج سلع الغرب ، عاجزاً عن اكتساب معرفة الغرب ، فإذا ما اكتسب
بعض أفراد هذه المعرفة يجدون أنفسهم غرباء عاطلين عن العمل في
مجتمعاتهم ، فيضطرون إلى النزوح إلى عالم المتفوقين ، والمجتمع الغربي هو ذلك
المجتمع الذي تزدهم طرقاته بأغزر وأحدث السيارات المستوردة وتضم
مدنه أنظم دور عرض الافلام المستوردة ويرتدى أهله أحدث المنسوجات
المستوردة وعلى أحدث الموضات الغربية ، ويشتر مثقفوه في قاصات
مكيفة بأجهزة أمريكية أو روسية حوله مشا كل المجتمع العربي والامة ويألون
صفحات من ورق مستورد يطبع بحبر مستورد وبالآلات مستوردة وحول
قضايا الوجودية ومسرح اللامعقول والجنس الجماعي وتطور حركة الهيبة
على بعد خطوات من كهوف مواطنهم حيث البلهارسيا والكوليرا أو
الترخوما وكل تراكمات التخلف منذ القرن السابع عشر وقد شهد الطرف
الشرقي من آسيا (اليابان) نجاح سياسة التحديث ، لا ، التغريب ،
فإن الطرف الغربي شاهد النموذج المضاد تماماً .

فتركيا بعد الحرب العالمية الأولى وبعد قرن من العجز عن التحديث
أندفعت بأقصى ما استطاعت في حكومة أن تهتم شعبها الشرقي في سياسة
التغريب وكتبت من الشمال إلى اليمين ، وبحروف لاتينية ، كالغرب
وخلفت الإسلام وقرأت القرآن باللانبي وليس البداة والقبعة بأمر القانون
وعطلت يوم الأحد وحولت المساجد إلى متاحف وحررت المرأة على
أوسع نطاق وجعلت الزواج والطلاق على الطريقة الغربية المسيحية ،

واشتربت لإسم عائلة كما في جوازات وبطاقات السياح الغربيين ، ولم تترك صغيرة أو كبيرة من مظاهر الغرب إلا قلدها على نحو يفوق قدرة القروء ، وظلت دولة متخلقة يفتك بها الفقر وترتفع نسبة الامية منها إلى سبعين في المائة ولما تغريت كل طاقتها بقيت خارج نطاق الدول الصناعية أو التحديثية وكان (التغريب) هو الطريق المضمون للحضارة مبركة (التحديث) وكل الدول التي تم تغريبها أو أختارت طريق التغريب ، أخطرت من ذلك ، أن التغريب يقضى على روح المقاومة في الأمم الشرقية فيجعل إستعمارها من قبل الدول الغربية المتفوقة أسهل وحكمها أيسر ، ومن هنا كان إهتمام الغرب بترويج فكرة التغريب بين صفوفنا فنذ الحملة الفرنسية وهناك إستثمارات فكرية إلى جانب الإستثمارات المالية .

وبعد الفزوة الغربية الأخيرة (الهجمة الصهيونية) ومع إلحاح الجماهير المتزايد في البحث عن حل يكفل لهم إمتلاك المعرفة التكنولوجية التي يمتلكها عدوم الصيوني والعالم المتقدم الذي يساند هذا العدو بادر أعداء (التحديث) يسدون الطريق على أى محاولة لاكتشاف الجواب الصحيح ، فكان الإلحاح من جديد على أن التغريب هو الحل وأتينا لم نتغرب بما فيه الكفاية ولهذا أنهزمتنا ، وأن كل ما نحتاجه هو جرعة كبيرة من القيم والتقاليد والعقائد القادمة من الغرب راسماليا كان أو شيوعيا وأن نقطع خطوات أكبر في الابتعاد عن تراثنا ومعوقات شخصيتنا وبدأت عملية (تزيف التاريخ) بهدف إجهاض موجة العداء المتزايدة ضد العدو التاريخي والقومي والحضاري الذي شل تقدمنا وإيقاننا في أسر التخلف خلال مائة وخمسين عاما حاسمة من تاريخ العالم ثم ومانا بأنيابيه الشرسة المتوحشة المدمجة بتكنولوجيا بدلا من تنمية هذا الوعى وتوجيه هذا النفور من الغرب بحجة الحرب الوطنية وبدأت محاولات الغرب « والخلاف حول تفسير التاريخ ليس ظاهرة ترف ولا مجرد خلاف حول تفسير الحاضر بل هو في الدرجة الأولى خلاف حول الطريق إلى المستقبل » والامم دائما تهرع إلى تاريخها في لحظات محنتها تستمد منه الأمل والدعم

النفسى بينها يلجأ خصوصاً دائماً إلى تزييف التاريخ وتشويه لتضليل الجاضر وإفساد الطريق إلى المستقبل .

الدين يروجون بعد هزيمة ١٩٦٧ للدور التحضيرى والتحرورى الذى لعبه غزو البلدان المتقدمة للشرق المتخلف هم فى الحقيقة يطرحون إجابة غير مباشرة لحيرة الجماهير المعاصرة .

وبعد هزيمة ١٩٦٧ وهى هزيمتنا التاريخية الثانية إمام الغزو الغربى المتفوق حضارياً وأن الدراسات التى انتشرت على أوسع نطاق بعد هذه الهزيمة ، لاتخفى هدفها بل تقوم بهدف إستقصاء مقومات الدول الحديث فى تاريخنا لتعرف على أى شوط قطعنا (فنعرف فإذا بقى أمامنا لبلوغ الهدف) .

المفهوم الوحيد لمثل هذا النصح هو أن علينا أن نكمل ما بدأه الرواد مع الحملة الفرنسية منذ مائه وسبعين عاماً ، والرواد فى مثل هذه الدراسات هم الذين تعاونوا مع جيش الاحتلال وعملوا فى خدمة وطلائع حركة تحرر المرأة ، والجواب إذاً هو أن نتفتح على الحضارة المتقدمة الغازية مثلاً أنفتح الرواد للحملة الفرنسية فى مطلع القرن التاسع عشر .

وترى المدرسة الاستعمارية أن التفوق والتقدم والتحديث والتحرر كلها معان وسلوك يكتسب من خلال التعاون مع المحتل وبمعيونته وأرشادته وما أبعد المسافة بين الغزوة الفرنسية ونكسة ١٩٦٧ فقد نما فى هذه الفترة شعور إسلامى ضخم زاحف لا يقر للتفوق الاجنبى ولا للتغريب هدفه ومطامعة وهو يرى أن التجربة قد فشلت نهائياً وأن على المسلمين أن يختاروا طريق الإسلام بعد تجربته إسلامى الغربى الليبرالى والماركسى وفشلها على السواء .

ثالثا : الإسلام قوة عالمية

والحقيقة التي تكشف عنها الاحداث اليوم أن الإسلام قوة عالمية حقيقية ، يجب أن تمتلك أراذلتها وتقدم نموذجا الرباني للعالمين ولا ريب أن القدرات الحقيقية للعالم الإسلامي تؤهلها للفاعلية والتأثير في الاطار الدولي وقد تبين اليوم أن الإسلام وحده كما يقول دكتور حامد ربيع هو القادر على أن يطرح تصورا ثالثا يقف بين الماركسيه والليبراليه اللتان فشلنا في تحقيق سعادة البشرية وليس يحول دون ذلك إلا معاولات الاحتواء التي تقوم بها القوى الاجنبية للضاغطة والمسيطرة على الذاتية الإسلامية المتميزة التي يجب أن نظل قوية وقادرة وبارزة ولا يضحى بها من أجل أي هدف آخر من الاهداف المطروحة في الساحة وهي التقدم والعصرية والحداثة فهذه كلها يمكن تحقيقها مع الاحتفاظ بالذاتية ودون التفريط فيها .

ولقد امتلك العالم الإسلامي قدرات حقيقية أبرزها الطاقة والثروة والكثافة السكانية والامتداد الاقليمي فالعالم الإسلامي يشكل حزاما يمتد من المحيط الهادى إلى الاطلسي وهذه المنطقة تتحكم في جميع المواصلات الجوية بين أوروبا وباقي العالم القديم فضلا عن امتلاك الموارد الاقتصادية الهامة في المناطق الإسلامية الاسيوية ولا ريب أن محاولات النفوذ الاجنبى في مجموعها ترمى إلى تبديد هذه التردد وذلك باحتوائها في مصادف الغرب وبالذوة إلى تحديد النسل للقضاء على النفو السكاني .

ويقول دكتور حامد ربيع أن الإسلام هو المقدمة الطبيعية لدول العالم الثالث وأن الإسلام كدين (وهر نظام ومنهج حياة) موجود في كل مكان ، حتى وجوده كأقليات في دول أوروبا وأمريكا لها وزن وثقل ، وهناك مفهوم الجهاد فالإسلام دين القوة بمعنى أن الحق بلا قوة لا موضع له ، وهذا ما تجرى المحاولات لطمسه واحلال مفاهيم مغايرة لافساده وتزييفه .

واشار دكتور حامد ربيع إلى غخططات للنفوذ الاجنبى .

أولاً : لاستئصال الإسلام نفسه .

ثانياً : للتصويبة .

ثالثاً : لاستبعاد قيادته الفكرية وتسميم عقولها .

رابعاً : الدعوة إلى تنظيم النسل .

خامساً : إغراء العقول للمفكره للهجرة خارج العالم الإسلامى .

سادساً : اثاره الثغرات القبلية والإقليمية داخل المجتمعات الامية بهدف تفكيكها واثارة الفلاقل فيها (بين العرب والبربر) وبين الاقباط والمسلمين (بين الاكراد والعرب) .

ويشير الدكتور حامد ربيع إلى عوامل الضعف الإسلامى .

١ - التخلف الاقتصادى والاجتماعى للشعوب الاسلامية .

٢ - النقص القيادى فى المجتمعات الإسلامية .

٣ - عدم بناء فكر سياسى متكامل يصير عنوانا على الوجود الإسلامى .

٤ - عدم وجود تنظيم دولى ثابت وقوى يعبر عن الارادة الإسلامية .

٥ - عدم خروج المجتمعات الإسلاميه إلى الوظيفة المكفاحيه .

ويقول : أن الدول الاسلامية العالميه عاثت قرنا واحداً من الزمان وهى تمتلك لاسمى مفاهيم السياسة بينما النموذج الرومانى للدولة العالميه بقى خمسة قرون وليس لديه حضارة وتثنيه ، وليس فى ذلك أن الإسلام يمتلك نظاما للقيم ولكنه فى حاجة إلى المدرسة الخلفائه القادرة على تقديم نظام الحكم السياسى وشكله وأساليب التعامل مع الواقع اليومى ويضرب المثل بأن اليهودية استطاعت أن توجد الميمنية السياسيه وأن المسيحيه قدمت فى نظريه كاثوليكيه للحركة السياسيه .

ويدعو الدكتور حامد ربيع إلى تحديد العلاقة بين الاسلام والقومية السياسية ويقول : أن الاسلام اليوم سلوك فردى فقط ، ودعوة فى بعض البلاد العربية وحضارة فقط فى بعضها الآخر أما دولة فلا وجود لها . فلا بد من تكامل الحلقات .

١ - سلوك فردى . ٢ - دعوة .

٣ - حضارة . ٤ - نظام سياسى .

٥ - دولة عالمية .

المطلوب الآن أن نورد هذه الدوائر لتتطابق وتصبح دائرة واحدة بمعنى أن لا يكون بينها فواصل كالدعوات العنصرية التى تمزق العالم الإسلامى وتتناقض مع الاسلام كدعوة عالمية ، وقد جرفت التقاليد الاسلامية . مفهوم الأمة حيث التجانس من منطلق الادراك والتصور الواحد :

(العقيدة والسلوك القائم عليها) أما القومية بمعنى العنصر والتجانس العنصرى فالاسلام يرفض القومية بمعناها القائم على التجانس العنصرى والادراكى ، إذا لا فضل لعرب على اعجمى إلا بالقوى بهذا المعنى مفهوم الأمة ينتهى بنتائج واحدة .

مجتمع واحد لا مجال لتجزئته (العقيدة والسلوك معا)

ويجب على العالم الإسلامى أن يتخطى مشكلة عدم التجانس الداخلى **ليحقق مع لبيداته** - أن الشعوبية والولاء الطائفى هما محور التخلف الحقيقى فى القدرة السياسية للعالم الإسلامى ، إن الاسلام يجب أن يستقل فى النظام الدولى جميع النظم القائمة لىكى يكسب المناعة ضد الحلات ولىكى يحقق اهدافه ابتداء من توزيع الادوار .

ويقول الدكتور حامد زبيح : « مازال العالم الاسلامى يملك عوامل قوة كائنه تكفل له أن يلعب دوراً فعالاً فى النظام السياسى العالمى وهو فى طريقه لهذه المشاركة يصطدم بالغرب الواقع له بالمرصاد ، فالعالم العربى ، وأثر الصحوة الاسلامية المعاصرة يعيش حالة خوف وقلق بالغين يصفهما البعض بالحالة المرضية ، والمتبع للعلاقة المعقدة بين العالم الاسلامى والغربى الذى أمسك بقبضة الاستعمار على العالم الاسلامى سنوات طويلة يلاحظ أن هناك تراثاً من كراهية المسلمين للغرب لا يمكن تجاهله وقد تصاعدت حالة الخوف الرأى من الاسلام فى السنوات العشر الأخيرة تصاعداً ملموساً جعلت طرح القضية أمراً لا بد منه ، وقليلاً فى الغرب هم الذين يدركون كثيراً من حقائق الاسلام ، فالاسلام ليس مجرد إفتتاح دى كما يحاول البعض أن يصوره ولكنه حضارة متكاملة أيضاً ، والحضارة تفترض وجود النظام الاسلامى الكامل ، كما تفترض صلبه لإحلال وتجديد دائمتين فهل يتطوى الاسلام على هذه الامكانيات .

ونحن نقول للدكتور حامد زبيح : نعم أن الاسلام قادر على احتيعاب العلوم والتكنولوجيا الحديثة وصهرها فى بوتقة لبناء حضارته الإسلامية ، كون أن يتغلغل عن قيمة الأساسية وذاتية الواضحة الحقيقية وأنه لن يقبل أى محاولة تؤثر على كيانه أو تحتويه أو تجعله ينصهر ، أو يتجاوز عن الحدود والضوابط التى وضعها فى الشريعة الإسلامية ومن المعروف أن الإسلام سيصنع مجتمعا متميزا وسينشئ حضارة تختلف فى جوهرها وغاياتها عن حضارة الغرب الآن وسيستعمل الاسلام فى ذلك كل عناصر القوة والايجابية ليقدم للبشرية حضارة حديثة ، إما أن يقبل التنازل عن طبيعته أو التحول عن غاياته ، بمسما يفهم منه الاستواء والانصهار فهذا لن يكون .

ونحن نعرف أن هذه المحاولات التي تجري اليوم لاحتوائه داخل نطاق الأيدولوجيات ، أو نطاق التكنولوجيا ، أو غيرها ، من موقع سيطرة النفوذ الأجنبي وامتلاكه لبعض الموارد ومصادر الثروة في بلادنا فإن هذا لا يمثل الوجه الحقيقي لمفهوم الإسلام نفسه .

وإذا قدر لهذه التجربة أن تمضي شوطاً فأنها سوف تفشل لأنها لن تكون إلا حلقه من حلقات التغريب والاحتواء العالمي والأممي .

ومن الحق أن نقول مع دكتور الياس سحاب :

إذا كان المسلمون سياخون العلوم والتكنولوجيا فإن الغرب لن يكون هو نموذجهم في صنع التقدم ولكنهم سيصبحون حضارتهم على أساس (الأطار الإسلامي القرآني) الذي سيضعون فيه العلوم التجريبية وعنه يصيدون في بناء المجتمع والحضارة .

ويقول : إنه إذا كانت صيحة الخطر التي يرددها دعاة التغريب هي ضرورة تجاوز التخلف إلى التقدم عن طريق التبعية وقبول النموذج الغربي فأننا نرفض هذه المعادلة ، ولا نقبل التخويف ، وهو أشبه بتخويفنا من الانفجار السكاني أنها دعوات كاذبة مضللة تريد منا أن نترك إيماننا وقيمنا ونضحي بها في سبيل أن تنصهر في أنسـون الأممية فنفقد ذاتنا وقيمنا ، ونحن قادرون عن طريق منهجنا الوصول القرآني أن نفعل كما فعل الملون في كل أزمة من الأزمات التي ألمت بمجتمعاتهم والتحديات التي واجهتهم ، وهي الانطلاق من الأصالة والرشد الفكري ومقوماتنا الإسلامية في سبيل استعادة قدرتنا على إمتلاك الإرادة وبناء المجتمع والحضارة على مفهوم التقدم الإسلامي المرتبط بين المعنويات والماديات وأنتا لاتضحى بذاتنا الإسلامية أبدا في سبيل بريق خادع هو قبول النموذج العرق في التقدم أو الحدائه .

وأن أسلوبنا الاسلامي في العيش والفكر والحياة سيمكثنا من الوصول إلى التقدم دون أن نفقد الأصالة الذاتية القائمة على ما يسمونه القديم والتراث والسلفية وهذه لكها كلمات لم تعد تخيفنا أو ترهبنا لأننا نؤمن بأنها تختلف عندنا عما عند الغرب . وهما عندنا تعنى الإسلام والقران أساسا وليس شيئا آخر ، والمهاجرون لها يعنون في قرارة أنفسهم مهاجرة الإسلام والقران ولكنهم اجبن من أن يصرحوا به فهم يضونه مغلف تحت هذه الاسماء : القديم والتراث والسلفية .

كذلك فحن اسنا مطالبون بأن تلاحق ركب الحضارة الغربية لنصل إلى ما وصل إليه من تقدم مادي أو نصارع في سبيل ما يقدمه في هذا المجال فذلك شأن لا يعنى الحضارة الاسلاميه ، وأتينا يعنى الحصول على القدر الكافل لتكون الحياة جديدة وعصرية مع الاحتفاظ بأطوارها الإسلامى الاصيل .

وإذا كانت التبعية سوف تجعلنا لانصنع شيئا فأن لرسالتنا الحقيقية وهى ابلاغ الاسلام للعالمين وأطلاعهم على جوهره الذى تفتقده البشرية اليوم وليس مطلوبنا منا مسايرة التقدم المادى والتهت وراء خطواته السريعة وكل ما هو مطلوب منا المحافظة على شخصيتنا من أن تنصهر في الحضارة الغربية وليس ما يمنع أن يقوم النموذج الإسلامى ليقيم للبشرية ما هي في حاجه إليه بما ينقصها في الحضارة المادية .

رابعاً الغرب يكتشف الإسلام

واليوم ونحن نستعرض العقبات التي تقف في وجه الإسلام والقيود التي قيد بها النفوذ الأجنبي هذه الأمة عن أن تحقق مطامعها في بناء مجتمعاتها الرباني وتبليغ دعوة الله للعالمين ، نجد هناك عديداً من الظواهر التي نوحى بأن كلمة الله لن تتوقف وأنه مهما حملت هذه القوى على ضرب الإسلام وتأخير نهضته واستزاف ثرواته فإنه سوف يغلب ويعلو . من هذه الدلائل الرصينة أن الإسلام يفتح آفاقاً جديدة في كل قطر وفي كل بلد من بلاد العالم في قاراته الخمس لا يني ولا يتوقف ، يدخله الناس أفواجا ، وتطوّر مآذنه حتى في البلاد التي طرد منها ، يعود الآن إلى الأندلس سلماً ويدخل غرب أوروبا ويكون جالياته في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وينمو ويتسع في الولايات المتحدة حيث لا تطلع الشمس إلا على مسلم جديد ، وخصرات من المؤمنين في كل مكان غير أن الظاهرة الكبرى هي دخول مفكرى الغرب فيه حيث دخله في الأخيرة جارودي وموريس بوكاي وأعترف به مؤلفون وفلاسفة آخرون ، ودوائر كثيرة أصرفت به وأقرت بفضله ، وتكشفت حقايق جديدة تؤكد ما جاء به وأطلع العلم على حقايق أوردتها القرآن قبل أربعة عشر قرناً وعلت صيحات في الغرب تطالب بالإسلام منهج حياة بعد فشل المنهجين الرأسمالي والماركسي ومن يطالع ما كتبه هؤلاء العلماء والباحثين في دعوة قومهم إلى التماس منهج الإسلام كل هذا يوحى بالافاق الجديدة التي يضيء إليها الإسلام في العالم حيث يتعثر في بلاده بين غزوة ماركسية وغزوة صهيونية غربية وتمشير ومحاولات لتزيق وحدته وصرف أهله عنه .

هذه التحولات في الغرب تكشف عن رأى منصف بعيد عن تعصب الدوائر الكنسية والدوائر الاستشراقية وهي تدور حول القرآن والنبي والإسلامية وحول مفاهيم كثيرة .

والختارة

أولاً : تصحيح أفكار عن دور الإسلام في النهضة والحضارة المعاصرة فيما كتبه درابر وجوستاف لويون وبرنا ردشو وسجريد هوتكه وبوكاي .

ثانياً : تصحيح أفكار من جهة اللاهوتيين فيما يتعلق بالكتب القديمة وبشرتها مقارنة بمفاهيم القرآن الكريم التي لم تستطع معطيات العلم أن تعارضها بل لقد كشفت عن معجزات استعلنت قبل أربعة عشر قرناً وعن حقائق لم يكن يعرفها إنسان في ذلك التاريخ البعيد وفعل مؤامرة (الجوار) التي حيل الغرب استدراج المسلمين إليها ليطعنوا أنه لا توجد خلافات جذرية بين مفاهيم الأديان .

ثالثاً : تصحيح أفكار من جهة التراث حيث كشف فواد سيزكين عن حقائق ذائخة قدمها التراث الإسلامي في مجال العلوم التجريبية إستفاد بها الغرب معترف بفضل مصادر الإسلام وتواته .

رابعاً : حقائق قانونية وتشريعية إحصاها العلماء المسلمون قديماً واعترف بها علماء القانون المعاصرين .

خامساً : تكشف فساد منهج الاستشراق وتخطي المستشرقين عن الاسم والتحول إلى اسم جديد وفشل التبشير وإنكشاف خططه .

سادساً : تكشف العلوم عن حقائق مغايرة للقوانين العلمية القديمة التي قامت على أساس مناهج فلسفية وخاصة الماركسية والتفسير المادي للتاريخ ، كما أن المنهج العلمي كشف زيف الوثنيات ، والاساطير والفكر اليوناني والاباحي والمادي .

سابعاً : تبين فساد التطبيق للمنهج المادي في مجال العلوم الإنسانية وقد كشف دكتور الكس كارليل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) أن هناك فوارق عميقة في الحلقة والتركيب بين الرجل والمرأة تحول دون مساواة المرأة بالرجل والعمل خارج دائرة اختصاصها .

لأننا : كشفت الأبحاث عن دور رائد للفكر الإسلامى فى مجال بناء الحضارة الحديثة وخاصته منهج التجريب ومنهج المعرفة وقد كشف ذلك كثيرون فى مقدمتهم درابر وفى الآخر جارودى فى كتابه (حوار الحضارات) .

ثامنا : تغير الموقف بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابات الغرب ويتحدث الكثيرون عن تطور إيجابى حدث فى موقف الفكر المسيحى من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الملتقى الإسلامى المسيحى فى قرطبة ، والملتقى الثانى ١٩٨٠ الذى نظمته جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية فى مدريد وقد أعلن المجتمعون التخلص من عدة أحكام مسيحية مسبقة ضد رسول الإسلام الكريم وأعلنوا النظر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأكبر قدر من الموضوعية وكانت كتابات الكاردينال (تار أنكون) رئيس إضافة دينية عليا يمثل هذه الإيجابية عن رسول الاسلام الأسبان تمثل أول نص فى تاريخ المسيحية تتكلم فيه سلطه وقد ورد الدكتور ميكل دى ايبانكا الأستاذ بجامعة مدريد الذى رد عدم التقدير الحقيقى لرسول الاسلام إلى الجهل والعداء السياسى والمبادئ الدينية المسيحية ، وقد كان المسيحيون فى الغرب يظنون أنه (صلى الله عليه وسلم) ليس إلا واحداً من زعماء الطوائف التى خرجت عن المسيحية الشرقية وأنه من الغزاه داخل الامبراطورية .

وقد دام هذا الجهل قرونا كثيرة ، وقال (كروث برناندت) أنه ربما لا يوجد صاحب دعوة قمرى للتجريح والإهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمد ، وكذلك لا توجد أية اتهامات أساسيا لسياسة لا الدين مثل الاتهامات التى وجهت للإسلام .

ولقد كانت الحروب السياسية المتكررة بين البلدان الإسلامية والمسيحية حتى الحروب الصليبية والاستعمارية الآخرة جعلها محمول

دون النظر بكل موضوعية وإحترام إلى رسول ومؤسس
الدين الإسلامي .

ويقول : لقد بدأ اجهل المسيحية بمحمد (صلى الله عليه وسلم)
يزول شيئاً فشيئاً نتيجة للدراسات التاريخية التي قام بها المستشرقون
الأوروبيون في القرن ١٩ ، ٢٠ وبالرغم من الأحكام المسبقة من
جانب هؤلاء ضد العرب والمسلمين فقد درسوا بموضوعية ندية
المراجع العربية والإسلامية وعرفوا بها في الأوساط الأوروبية
وقد اجبرهم المنهج العلمي على الاعتراف بالقيم الإسلامية النبيلة
وبرسول الإسلام الكريم ، وبما أن الكثيرين منهم كانوا من
المعتنقين وحصد التعصب الديني فقد وجدوا رغبة كبيرة في إصلاح
الاعطاء الماثلة من النبي ، تلك الاغاليط التي ما يزال يعتقد في
حمتها معظم المسيحيين . لكن يمكن القول بأن ما يكتب حالياً
في أوروبا حول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، اقله
موضوعياً ،

ومما يتصل بهذا ما نشرته مجلة الحقيقة الواضحة (وهي مجلة
مسيحية تطبع خمسة ملايين نسخة وتوزع في جميع أنحاء العالم)
تحت عنوان (المسلمون في القرن الخامس عشر الهجري) أصبح
الإسلام قوة فعالة في العالم تنتشر انتشار اسرياً حيث يزداد
عدم معتنقيه ، يوماً في أنحاء المعمورة فقل سبيل المثال يوجد
مسلم واحد بين كل خمسة اشخاص من سكان العالم ، وعدد المسلمين
الآن ألف مليون مسلم موزعين على خمسة وسبعين قطراً من اقطار
العالم ، ويردد المراقبون أن انتشار الإسلام يفوق انتشار
المسيحية في الاقطار الأفريقية فيما وراء الصحراء بنسبة عشرة
اضعاف ، وقد حان الوقت أن يطرح غير المسلمين جانباً الحرافات
والافكار الخاطئة التي حلوها سابقاً عن الإسلام الذي لم يعد مجرد

مبادئ وافكار وعقائد روحية لحسب ، بل غداً بالاضافة إلى ذلك قوة سياسية وثقافية واجتماعية لها وزنها الذى لا يمكن عقد النظر عنها فى تسير مقادير وامور العالم حاضرا ومستقبلا إن الإسلام بالنسبة لمعتنقيه فى جميع انحاء العالم انما هو (نظام حياة يومية كاملة لاتنتجراً) بينما لا يعرف المسيحيون الطريف إلى كذائهم إلا أيام الاحاد لفترة وجيزة فإن الوضع يختلف بالنسبة للمسلمين الذين هم على اتصال بروحى دائم بالخالق الاعلى يومياً من خلال أداء فرائض الصلوات الخمس اليومية وصلاة الجمعة التى تدبر مؤتمراً اسبوعياً لمسلى العالم يجتمعون فيه للصلاة وتداول الآراء فيما بينهم فى حياتهم اليومية من قريب أو بعيد ، أن نسبة الجريمة فى العالم الاسلامى اقل منها بكثير مما هو فى العالم الغربى ، وكذلك الامراض الاجتماعية التى عذا الغرب يعانى منها بشكل ملحوظ بحث اصحبت مهددة بالانحلال والتفسخ كالمسكرات والمشروبات الروحية بأنواعها وتماطى المخدرات رغم محاولات وضع التشريعات والانظمة والقوانين الوضعيه وانفاق مبالغ مالية هائلة لهذا الغرض نرى العكس بالنسبة للعالم الإسلامى حيث أن الإسلام قد سبق المشركين الغربيين منذ القرن السابع الميلادى عند ما جعلت التشريعات والانظمة والقوانين الإسلامية السجابه الناجمة لمثل تلك الامراض ونجحت منها .

وقد ذكرت المجلة حقيقة واضحة يتجاهلها المسلمون ورجال الدين المسيحى والكنيسة نحو سياستها ونظمها وهى أن العهد الجديد وأن كان قد تم وأكل وضعه قبل ميلاد الرسول محمد الكريم (صلى الله عليه وسلم) بخمسة قرون زمنية الا انه لم يهمل مستقبل الإسلام فالانجيل يشير ويظهر بوضوح إلى قيام لاتحاد عربى إسلامى فى الشرق الأوسط سيكون له دور حاسم فى مجرى التاريخ .

عاشرا : اشار هاملتون جب إلى تعدد الشواهد والادلة والبيئات الخارجية على حيوية الإسلام خلال القرون الستة الأخيرة :

١ - تكوين الامبراطورية العثمانية في الشرق الاوسط .

٢ - امبراطورية المغول في الهند .

٣ - احياء المذهب الشيعي في إيران .

٤ - انتشار الإسلام في كل اندونيسيا وشبه جزيرة الملايو .

٥ - نمو المجتمع الاسلامي في لصين .

٦ - طرد الاسبان والبرتغاليين من المغرب .

٧ - انساخ الحزام الإسلامى في كل من شرق افريقيا وغربها .

كتابه (مودرن تراندش إسلام) وتقول جونسون (:

ربما كان شكل المجتمع الإسلامى والمؤسسة الدينية جامعة وخالية من الحياة اثناء تلك القرون الستة ولكن تحت هذا الجلود الظاهري كان تيار الايمان يجرى باستمرار قويا منذ فعا والايزال يجرى حتى الآن ربما بدرجة أقل ولكن بقوة كافية .

خامسا : ذاته الإسلام وتميز الشخصية الإسلامية

يبين من كل المعارضات للفكر الغربي الزاحف يسمومه ووثنياته ومادياته والحادة وعلمايته على الفكر الإسلامى أنها تهدف إلى طمس ذاته الإسلاميه واحتواء الشخصية الإسلامية وتذويبها في اثون الأمميه والحضارة العالمية وذلك بتغيير اعراف الاجتماع ودفع المجتمع الإسلامى إلى آفة العرف وهى علامة بدأ عصور التفكك والانحراف وقد كان الإسلام حريصا على أنه لا يقع إبنائه في الاحتواء أو الاتيهار الخلقى والاجتماعى ولا تزال المهمة الشاقه والكبرى هى الحفاظ على الذاتية وبناء الشخصية الإسلامية كقمة لاقتحام العقبات ، أن الدفاع عن شخصية الأمة الإسلامية ومقوماتها وإستقلالها الفكرى والايولوجى هو أكبر مهمة تواجه الدعوة المسلمين اليوم وهى تعنى ليس فقط مقاومة الغزو الفكرى والفهوم الخارجى على معتقداتنا ومبادئنا ، وانما تعنى قبل كل شئ معالجة التخلف الفكرى والركود العلمى الذى جعل شعوبنا ادنى بكثير من مستوى مبادئها السامية وعقيدتها الخالدة ، ومما يزيد الامر تمقدا أن الغزو الفكرى يستعين بعناصر داخلية تحاول هدم شخصية الأمة وتحارب وجهة الاصاله والمدافعين عنها ، فى محاولة لدفع المسلمين إلى الاحتواء والانضمار ولكن إمتنار رفضت ومانزال ترفض وهى قادره على الصمود والمقاومة ، ورد المغالطات والدعابات الزائفة ، والاعتزاز بشخصيتها التى وضحت أمامها الطريق المستقيم .

(وأن هذا صراطى مستقيما فانبهوه ولا تنبهر السبل فتفرق بكم عن سبيله)

ولاشك ان ازدياد أقبال حبل الشباب على الإسلام فى كل مكان فى العالم الإسلامى اليوم ظاهرة عميقة المغزى يعمده الدلالة ، وهى إحدى الفرات الرئيسية لجهود حركة اليقظة ، وهى علامة على الاصاله وعلى الرشد الفكرى وعلى اتصاف الإسلام عقيدة وفكرا على العلمانية وهزيمتها لإنحسار مدعها

توطئه لثقوتها وقد ارتفعت العاجية بالراسخات كما ارتفعت الاباحة بالماركسية وكلاهما اصبح مرفوضا في افق الفكر الاسلامي ، فالمسلمون اليوم على ابواب مرحلة جديدة هي مرحلة (التطبيق) الذي يتطلع اليه المسلمون ومقاومة القوى الغازية والمسيطره .

وان فشل العلمانيين على مدى عشرات السنين رغم وجود اسباب القوة والسيطرة ووسائل التوجيه ووجود مقاليد السلطة في معظم المناطق في أيدي دعايتها هذا الفشل الواضح اليوم بازدياد الايمان بمفهوم الإسلام الاصيل كخروج لهذه الامة من من أزمتها ، لدليل واضح على أن هذه الامة قادرة على دفع الجسم الغريب ، وأنها تستمد قوتها من قيمتها الأساسية ومن المحافظة على ذاتيتها وأنها تضحى في سبيل هذا على بكثير من المعطيات المادية .

أنا نتطلع إلى الرؤية الإسلامية الشاملة كخروج من الازمة والاحتواء بعيدا عن الجازمة والانشطارية التي هي صفة الفكر الغربي : هذا المنهج الرباني الواسع الاطر الخالد على الزمن القادر على العطاء في مختلف البيئات والعصور ، هو وحده الملجأ والملاذ .

أن نقطة انطلاق هي أن يعترف المجتمع بأنتمائه إلى الإسلام وما يقتضيه هذا الانتماء من التزام وسلوك .

نريد الجبل الجديد المنحدر من الترف والربا والخر والميسر ، القائم على حدود الله ، يحل جلاله ويحرم حرامه ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبناء الاخلاق الإسلامية والارادة الفردية القادرة على التغيير .

أن هناك قوة إسلامية حقيقية اليوم : هي الثروة والطاقة والثقة المقدمة للبشرى من شأنها أن تغير مسيرة التاريخ الإنساني والعالمي خلال أقل من مائه عام فعلى المسلمين تأصيل وجهة هذه الثروة .

أن هناك محور إسلامية حقيقية الآن واجمواته امنه تتم الداخل والخارج رغبة في اجهاضها قبل أن تستوفى موعدها الحقيقي ، لابد من

ممايتها . أن الغرب اليوم يحول بين عالم الإسلام وإملاك أرائه وإقامة
مجتمعة وأستئناف حضارته ، لأبد من اساعة مناهج التعليم والثقافة
والفلسفة وتصحيح المناهج العلمية في مجال الاخلاق والتربية والاجتماع
الاقتصاد والسياسة .

وإذا كان التعليم لم يخرج عن نطاق العلمانية فعلى الثقافة الإسلامية
أن تكمل النقص ، وإذا كان المجتمع الإسلامى لم يخرج عن نطاق التبعية
فعلى الأسرة المسلمة أن تبنى افرادها ؟

هذا وبالله التوفيق ؟

عقبات طريق النهضة

عشرات المؤلفات والدراسات كتبت بأقلام أجنبية وعربية في تحليل ومراجعة (تاريخ مصر الإسلامية) منذ الحملة الفرنسية إلى نكسة ١٩٦٧ ولكن واحدا منها لم يصور حقيقة هذا الخطر الذي واجه الأمة الإسلامية منذ ذلك التاريخ ولا التحديات التي واجهت بلاد الإسلام نتيجة حملة نابليون الفرنسية ولا الاحتلال الإنجليزي وما استتبع ذلك من تبعية سياسية وخضوع فكري وثقافي وغزو اجتماعي وسياسي كان له أبعد الأثر في فرض السيطرة الغربية في مجال الاقتصاد والصحافة والتعليم والمسرح وما كان لذلك كله من آثار تفرغ شباب المسلمين من عقيدتهم السمحة واحتوانهم داخل أطر من التبعية والسيطرة تحت اسم الحضارة والمعاصرة والحداثة والتقدم فنحن هنا في هذه الدراسة ولأول مرة تكشف وجهة الإسلام في هذه المخاطر التي ألتمت بالوطن الإسلامي ومصر منذ الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطاني إلى نكسة ١٩٦٧ التي أفقدت المسلمين القدس وجعلتها عرضة للخطر الداهم : خطر فقدان الذاتية الإسلامية على النحو الذي يكشف عن تفاصيله هذا الكتاب الذي يقدمه الأستاذ أنور الجندی ضمن «موسوعته التاريخية الإسلامية» .

دار الاعتصام

٢٥٠ قرشا